المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات

مجلة علمية دولية محكمة، تصدر دورياً كل شهر، تصدر في المملكة الأردنية الهاشمية

www.ijrsp.com

المجلد الثالث

الإصدار الثالث والعشرون

تأريخ النشر : 20 – سبتمبر – 2021م

ISSN : 2709-7064

اللجنة العلمية:

أ.د. هناء محمود نايف الفريحات

د. نايف بن ناصر ابراهيم المنصور

د. هيفاء مصطفى يوسف الزيادة

أ.د وليد محمد أبو المعاطي

د. حيدر محسن سلمان الشّويلي

د. حنان عبد الغفار عطية ابراهيم

د. عبد الفتاح شهيد

أ.د جمال رجب عبد الحسيب

د. توفيق عطاء الله

د. أماني أبوزيد

د. إخلاص محمد عبد الرحمن حاج موسى

د. عبد الوهاب علي مؤمن علي

د. محمد غلبان

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064

فهرس العدد:

No	عنوان البحث	اسم الباحث / الباحثين	الدولة	رقم الصفحة
1	أثر سوء معاملة الطفل في الطفولة في الاصابة بالاضطراب التحولي (دراسة مسحية بمستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم)	الدكتورة/ سامية حجازي إدريس	جمهورية السودان	42 - 4
2	مالية منظمات المجتمع المدني (سؤال النجاعة والفعالية)	الدكتورة/ جميلة دليمي	المملكة المغربية	62 - 43
3	المعاني المدحية عند أبي تمام	الباحثة/ لطيفة إبراهيم الرشيدي	المملكة العربية السعودية	102 - 63
4	القاعدة الفقهية، وصناعة العقل الاجتهادي	الباحث/ محمد بن علي بن أحمد المسعودي	المملكة المغربية	117 - 103
5	واقع البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري (دراسة ميدانية)	الباحثة/ سباء حسين علي صادق	دولة قطر	142 - 118
6	الخروج من المعنى الوضعي بالتغليب في المعجم العربي	الباحثة/ وفاء سليمان سعيد الجهني	المملكة العربية السعودية	157 - 143
7	المثل الأخلاقي وفن المديح	الباحثة/ لطيفة إبراهيم الرشيدي	المملكة العربية السعودية	177 - 158
8	الخروج عن المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره في المعجم العربي	الباحثة/ وفاء سليمان سعيد الجهني	المملكة العربية السعودية	195 - 178

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

أثر سوء معاملة الطفل في الطفولة في الاصابة بالاضطراب التحولي

(دراسة مسحية بمستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم)

The effect of childhood maltreatment on transformational disorder (Survey study in psychiatric hospitals in Khartoum state)

الدكتورة/ سامية حجازي إدريس

دكتوراه الفلسفة في علم النفس، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، جمهورية السودان

Email: samia.higazi@gmail.com

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى انتشار درجات أبعاد سوء معاملة الطفل العاطفية والجسدية والجنسية في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة وسط المصابين بالاضطراب التحولي، وكذلك معرفة الفروق في سوء المعاملة لدى المصابين بالاضطراب التحولي، تبعاً للنوع (ذكر، أنثى) والقائم بالرعاية في فترة الطفولة.

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتمثل مجتمع الدراسة من مرضى الاضطراب التحولي المترددين على مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم. بلغ حجم عينة الدراسة (50) حالة (36) أنثى (14) ذكراً، تم اختيارها عن طريق العينة الكلية وتمثلت أدوات الدراسة في استمارة المعلومات الأولية من إعداد الباحثة ومقياس سوء معاملة الطفل إعداد ديفيد برنيتشين (1995) ترجمة أحمد جمال ماضي وعادل محمد الدسوقي، وموجهات تشخيص الاضطراب التحولي حسب الدليل التشخيصي وافحصائي الرابع (1994).

استخدمت الباحثة المعالجات الإحصائية التالية (SPSS) في: معامل ارتباط بيرسون، معامل تحليل التباين (الفا كرونباخ) لتحديد الثبات، مربع (كا)، اختبار (ت) للفرق بين متوسطي مجموعتين مستقلتين.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: تنتشر درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة وسط المصابين بالاضطراب التحولي بدرجات متباينة،

لا توجد علاقة بين نوع المصاب (ذكر، أنثى) ونوع الاضطراب التحولي، توجد فروق دالة احصائياً في كل من سوء المعاملة العاطفية والجسدية والجنسية بين الإناث والذكور لصالح الإناث، بينما وجدت فروق دالة احصائياً في الإهمال العاطفي بين الإناث والذكور لصالح الذكور.

الكلمات المفتاحية: سوء معاملة، الطفولة، الاضطراب التحولي، الطب النفسي.

The effect of childhood maltreatment on transformational disorder (Survey study in psychiatric hospitals in Khartoum state)

Abstract

This study tries to investgate the prevalence of child abuse i.e. Emotional, Phusical and sexual abuse that took place in medium and late childhod (6-12) years among the patients of conversion disorders. It also aims at investigating the difference in child abuse among patients of conversion disorder according to sex and caretaker in childhood.

The researcher used the descriptive method. The sample of the study comprises all patients of conversion disorder who visited the psychiatric hospital in Khartoum State during the period of data collection. The size of the sample is (50) patients, (36) females and (14) males.

As far as the tool of data collection that applied in this study is concerned it consists of two parts; part one is biographical form designed by the researcher, part two is the child abuse scale prepared by David Benstien (1995). Also the researcher used the Diagnostic Criteria of Conversion Disorders prepared by the American Psychiatric Diagnostic Statistical Manual for Mental Disorder, 1994 (DSM.IIII), as a reference in diagnosing conversion disorder. The data manipulated by the computer, using the Statistical Package for Social Sciences (SPSS), the following tests were applied: Pearson Correlation Coefficient. Variance Coefficient for Reliability (Alpha Cronpakh). Chi – Square. T-test. Percentages.

The analysis of the data reached the following results: The different dimensions of child abuse were found to be prevalent among conversion patients with variant degree. There is no significant statistical correlation between type of conversion disorder and the gender of the patient. There is a significant difference in the following dimensions of child abuse: emotional, physical and sexual between males and females in favor of females. Whereas, there is a significant statistical difference in emotional neglect between gender in favor of males.

Keywords: child abuse, childhood, transformational disorder, psychiatry.

1. المقدمة

تمهيد

تشكل الأسرة اللبنة الأولى للحياة الاجتماعية للطفل وتتمتع بأهمية وحيوية واجتماعية بالغة بحيث يرتبط وجود الإنسان ككائن اجتماعي بوجودها واستمراراها، ونموه المتكامل المتوازن باستقرارها، وللأسرة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى وظائف مختلفة ومتعددة منها الوظيفة البيولوجية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة التربوية والوظيفة الدينية والأخلاقية والوظيفة الاقتصادية، فإذا نجحت الأسرة في أداء هذه الوظائف بالصورة السليمة فإنها ستؤثر بدرجة كبيرة على أداء المؤسسات الأخرى لوظائفها.

تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات تربية وتنشئة الأطفال، ويأتي دور الأسرة هنا في رعاية الأكفال طوال فترة طفولتهم حيث تتميز بأنها أطول فترة طفولة بين الكائنا الحية، كما تعتبر الأسرة الوسيط الناقل للتراث الحضاري واللغة والدين والعادات والتقاليد والعقائد والمهارات والمعارف من جيل إلى جيل. وهي المسؤولة الأولى عن التربية الوجدانية للطفل وعن وضع اللبنات الأولى في التكوين العقلي والثقافي له، ويتشرب منها الطفل المثل الأخلاقية والقيم. وتعتمد سلوكيات الطفل مع المجتمع على نوع معاملة والديه له في الطفولة وعلى مدى اشباعه لحاجاته الأساسية والتي ذكرها ماسلو في تنظيمه الهرمي للدواقع الإنسانية كما ورد في محمد عماد الدين (1986) وهي دوافع تحقيق الذات ودوافع التقدير والتوفير ودوافع الحب ولانتماء ودوافع الأمن والدوافع الفسيولوجية.

وقد حدثت تغيرات جوهرية في بنية الأسرة تمثلت في تراجع دور الأسرة الممتدة وظهور الأسرة النووية، وفي ارتفاع معدلات الطلاق وانخفاض معدلات الزواج، وفي تعدد حالات سوء معاملة الأطفال بكل أنواعها. وهنالك كثير من الأسر التي يعيش فيها الأب أو الأم وحيداً نتيجة لغياب الطرف الآخر،

أو يغيب فيها الطرفان معاً ويقوم أحد الأقارب برعاية الطفل، وذلك لأسباب عديدة: مثل وقوع الطلاق، وفاة أحد الوالدين أو الاثنين معاً، أو للهجرة داخل البلاد وخارجها، من الريف إلى المدينة ومن المدينة إلى الخارج. أو قد يعيش الأطفال في أسرة بها زوج (أم) أو زوجة (أب).

1.1. مشكلة الدراسة

غالباً ما يبدأ البحث العلمي بغموض يكتنف ظاهرة ما، والذي أثار الباحثة في هذا المجال يتعلق بانتشار سوء معاملة الطفولة وسط المصابين بالاضطراب التحولي حيث لاحظت الباحثة من خلال عملها كمعالج نفسي إن بعض المصابين بالاضطراب التحولي بأنواعه المختلفة (حسي وحركي ونوبات ومختلط) قد تعرضوا لسوء في المعاملة في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة وهذا من خلال جلسات العلاج النفسي لهؤلاء المصابين.

تعتبر مرحلة الطفولة الوسطى المتأخرة (6-12) سنة من أكثر المراحل أهمية في التكوين النفسي للطفل وبناء شخصيته، وهذا ما أكده فؤاد البهي السيد (1994) أن هذه المرحلة تعتبر من وجهة نظر النمو أنسب المراحل لعملية التطبع الاجتماعي، ويكون للطفل فيها مقدرة عالية على تذكر الخبرات وصدمات الطفولة. ولذلك عندما تنطوي هذه المرحلة على صعوبات ومشكلات وسوء في المعاملة العاطفية والجسدية والجنسية والإهمال العاطفي، يتوقع أن تتفاعل هذه الضغوط خصوصاً الأحداص الصدمية، بحيث تجعل الطفل أكثر استعداداً وتهيؤاً لاضطراب التوازن مع الذات والمجتمع في المستقبل.

2.1. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1) معرفة مدى انتشار درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة وسط المصابين بالاضطراب التحولي والتي تتوقع الباحثة أن يساعد ذلك في توضيح حجم المشكلة ووضع الاستراتيجيات الشاملة للوقاية على مستوى وسائل التنشئة الاجتماعية المختلفة.
2) دراسة علاقة نوع المصاب (ذكر، أنثى) بالاضطراب التحولي ونوع الاضطراب التحولي.
3) معرفة الفروق الناتجة بين النوعين (ذكر، أنثى) في أبعاد سوء معاملة الطفل.
4) دراسة العلاقة بين سوء معاملة الطفل بأنواعها وبين القائم بالرعاية في الطفولة.
5) الوصول لإجابات علمية على الأسئلة المثارة في مشكلة الدراسة.

3.1. أهمية الدراسة:

1) تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تمكننا من فهم العلاقة الوثيقة بين نوع معاملة الطفل وبين إصابته بالاضطراب التحولي
2) يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في إرشاد وتوجيه القائمين على التربية وذلك بتوضيح الأسس التربوية السليمة.
3) مساعدة المتخصصين لرسم سياسات وقائية وتربوية واجتماعية لتجنيب الأطفال سوء المعاملة.
4) تزويد المكتبة العلمية السودانية بمثل هذا النوع من الدراسات لخلوها منها
5) استثارة الباحثين في التخصصات ذات الصلة لدفعهم للاهتمام بهذا النوع من الدراسات وذلك لأهميته القصوى.

4.1. حدود الدراسة:

فيما يلي توضيح حدود المجتمع الذي أجريت فيه الدراسة الميدانية

1) فمن حيث البعد الجغرافي تقتصر الدراسة في حدودها الجغرافية على ولاية الخرطوم.
2) أما من حيث المؤسسات العلاجية فتقتصر الدراسة على مرضى مستشفيات الطب النفسي الحكومية.
3) ومن حيث النوع تشمل كلا النوعين (ذكر، أنثى)
4) ومن حيث الفترة الزمنية تم إجراء الدراسة الاستطلاعية في شهر ابريل للعام 2002 وتم إجراء الدراسة الميدانية النهائية خلال شهري مايو ويوليو 2002
5) ومن حيث نوع الاضطراب فإنها تشتمل على كل الحالات التي تعاني من الاضطراب التحولي بكل أنواعه.

5.1. فروض الدراسة:

1) تنتشر درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة وسط المصابين بالاضطراب التحولي بمستويات متباينة.
2) توجد علاقة بين نوع المصاب (ذكر،أنثى) بالاضطراب التحولي ونوع الاضطراب التحولي
3) توجد فروق في أبعاد سوء معاملة الطفل بين النوعين (ذكر،أنثى).
4) يختلف نوع سوء معاملة الطفل باختلاف القائم بالرعاية في الطفولة.

6.1. مصطلحات الدراسة:

يتم في هذا الجزء تعريف أهم المصطلحات الواردة في هذه الدراسة على النحو التالي: الطفولة الوسطى والمتأخرة وسوء معاملة الطفل والاضطراب التحولي

1- الطفولة الوسطى والمتأخرة:

هي إحدى مراحل النمو في الطفولة، وتبدأ من (6-12) سنة، ولها متطلبات وخصائص تميزها عن بقية مراحل الطفولة الأخرى

2- سوء معاملة الطفل Child abuse:

إن كلمة (abuse) لها عدة معاني:

1) جاء معنى كلمة (abuse) في القاموس الإعلامي (1991) بمعنى انتهاك حقوق الغير، استغلال.
2) وأما في المعجم البعلبكي (1995) فقد وردت بمعنى ظلم، شتم

وقد عرفت جمعية منع وعلاج إساءة معاملة الطفل (1996) بالولايات المتحدة الأمريكية في القانون العام 104-235 القسم 111 كما يلي:

"سوء معاملة الطفل وإهماله هو أي سلوك من جانب الوالدين أو القائمين على رعايته والذي ينتج عنه أذى بدني ونفسي وانفعالي حقيقي وربما ينتج عنه وفاة الطفل.

أما التعريف الإجرائي لأبعاد سوء المعاملة فهي الدرجات التي يحرزها المفحوص في مقياس سوء معاملة الطفل الذي أعده ديفيد برينتشين 1995.

3- الاضطراب التحولي Conversion disorder:

عرف الفخري الدباغ (1989) ومحمود عبد الرحمة حمودة (1997) وأحمد عكاشة (1997) ومحمد السيد عبد الرحمن (2000) الاضطراب التحولي بأنه اضطراب ينتج عن تحول القلق والصراع النفسي بعد كبته إلى عرض عضوي أو جسمي، يكون له معناه الرمزي، ويكون ذلك بطريقة لا شعورية (أي لا يفهم المريض المعنى الكامل لأعراضه الهضوية وآلامه المختلفة)، وينفصل هذا السبب عن العرض ولا يستطيع المريض أن يربط بين الأعراض وظروفه البيئية.

4- مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم وهي

أ) مستشفى التجاني الماحي
ب) مستشفى الخرطوم قسم النفسية
ج) مستشفى الخرطوم بحري للأمراض العصبية والنفسية

2. الإطار النظري والدراسات السابقة

تمهيد:

تستعرض الباحثة في هذا الفصل المفاهيم الأساسية التي يدور حولها الإطار النظري وهي الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة، وسوء معاملة الطفل وإهماله، والاضطراب التحولي، ثم عرض الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة الحالية

وقد قسم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

- المبحث الأول: الطفولة الوسطى والمتأخرة.
- المبحث الثاني: سوء معاملة الطفل وإهماله
- المبحث الثالث: الاضطراب التحولي
- المبحث الرابع: الدراسات السابقة.

المبحث الأول: الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة

تمهيد:

رأت الباحثة ضرورة التعرض بإيجاز لمرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، ومتطلبات وخصائص النمو فيها لمعرفة مدى تأثير سوء معاملة الطفل بأنواعها المختلفة على النمو في هذه المرحلة. تتناول الباحثة في هذا المبحث الطفولة في مقدمة موجزة، والنمو الجسدي والنفسي والاجتماعي والمعرفي في الطفولة ثم متطلبات وخصائص النمو في الطفولة الوسطى والمتأخرة

مقدمة:

تمثل الطفولة أول فترة لحياة الإنسان، وهي مرحلة عمرية من دورة حياته تمتد من الميلاد وحتى المراهقة، وفيها تتكون أولى الخبرات، وأقوى التأثيرات في حياة الفرد ومزاجه الشخصي ومستقبل تفكيره وانفعالاته. لذلك تعتبر العناية بالطفل وتنشئته تنشئة متوازنة تخلو من أساليب سوء المعاملة بأنواعها المختلفة القاعدة الوطيدة التي يقوم عليها صرح نسأته السليمة في مراحل نموه التالية

وقد أوضح عبد العزيز القوصي (1981) أن الطفولة مرحلة نمو مستمر للفرد في جميع النواحي وتتسم هذه المرحلة بالمرونة والقابلية للتربية والتعليم، وهي الوقت الذي يكتسب فيه الطفل العادات والمهارات والاتجاهات والاجتماعية والجسمية

النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي والمعرفي في الطفولة:

عرف محمود عبد الرحمن حمودة (1998) النمو بأنه سلسله من التغيرات لتي تحدث بطريقة مرتبة ومتوقعة كنتيجة للنضج والخبرة. وهو ليس مجرد إضافات وتحسينات ولكنه عملية معقدة من تكامل عديد من التركيبات والوظائف. ويأخذ النمو طريقه بعمليتين متزامنتين. ومتناقضتين في نفس الوقت هما (البناء والهدم) بدءاً من لحظة الحمل إلى لحظة الوفاة. لكن في السنوات الأولى يكون البناء هو الغالب رغم حدوث الهدم معه في البداية. وبعد الوصول إلى قمة النضج ينعكس الأمر فتصبح الغلبة للهدم رغم استمرار النمو معه ويتبعه الهدم والضمور والضعف ويصور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) "سورة الروم: الآية 54".

وقوله تعالى: (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) "سورة غافر: الآية 67".

وأوضح محمد رفقي عيسى (1981) أن عملية النمو عملية معقدة يصعب فهمها ولكن توجد نظريتان مختلفتان تفسران عملية النمو:

أ) النظرية الأولى: الاستمرارية (النظرة المتصلة)

وتصف النمو على أنه تراكم خطي متصل وناشيء عن النمو البطئ من زيادة في عدد الخلايا والخبرات المعاشة.

ب) النظرية الثانية: المرحلية :ويقوم افتراضها الأساسي على تقسيم النمو إلى مراحل أو مستويات، وتتميز كل مرحلة أو مستوى بتراكيب داخلي معين. وهنا يجدر بنا أن نميز بين النمو في الحجم والنضج إذ أن النمو في الحجم هو الزيادة في عدد الخلايا وحجمها وتجميع الخبرات من كل المصادر الخارجية والداخلية.

ورد في شايفر شارس وهوارلدهلمان (1996) أن مراحل النمو المتعددة تبدأ بما يلي:

(1) فترة حديثي الولادة:

هي أقصر فترة من فترات النمو خلال الحياة كلها، وتبدأ من لحظة الولادة وتصل إلى أسبوعين.

(2) مرحلة الرضاعة:

تبدأ بعد سن أسبوعين من عمر الطفل وتمتد حتى نهاية السنة الثانية من عمره.

(3) مرحلة الطفولة المبكرة (2-6) سنوات

تبدأ من سن العامين إلى ستة أعوام ويتوقع من الطفل إنجازات على كل المستويات الجسدية والنفسية والاجتماعية والمعرفية

(4) الطفولة الوسطى والمتأخرة (6-12) سنة

أوضح محمود عبد الرحمن حمودة (1998) بأن هذه المرحلة يسميها المربون بسن المدرسة الإبتدائية وتبدأ من 6 إلى 12 سنة (أو البلوغ حيث أنها تنتهي بالبلوغ) ويسميها علماء النفس بعمر (الإندماج في مجموعة).

أما فرويد فيسميها مرحلة الكمون (Latency) وذلك لعدم بروز مناطق جسدية ترتبط بإشباعات الطفل، ففي المرحلة الأولى كان الفم وفي المرحلة الثانية كان الشرج وفي المرحلة الثالثة كان القضيب، أما في هذه المرحلة فلا ترتبط بمناطق جسدية بعينها.

ذكر محمد عماد الدين إسماعيل (1986) أن بعض العلماء قد قاموا (أمثال فرويد) بتقسيم مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة إلى

1- **الكمون المبكرة (6-8) سنوات**
2- **الكمون الأوسط (8-10 سنوات)**
3- **الكمون المتأخر (10-12) سنة**

أن الطفل في هذه المرحلة ينجز إنجازات مختلفة على المستويات التي تساعده في إستمرارية عملية النمو وأن هذه المرحلة لها خصائص ومتطلبات للنمو منها الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي والمعرفي والفسيولوجي والحسي والحركي واللغوي والإنفعالي والجنسي والديني والأخلاقي وكذلك نمو الذات، سوف تعرض الباحثة كل مرحلة على حده.

(1) النمو الجسدى

أوضح موسى وأبو ناهية (1997)، أن الطفل في هذه المرحلة يهتم بجسمه، وينمو لديه مفهوم الجسم ويؤثر في نمو شخصيته. ومن مظاهر النمو الجسمي تتعدل النسب الجسمية وتصبح قريبة الشبه بها عند الراشد وتستطيل الأطراف ويتزايد النمو العضلي وتكون العظام أقوى من ذي قبل ويزداد الطول وتزداد المهارات الجسمية التي تعتبر أساسياً لعضوية الجماعة ونشاطها الاجتماعي. وتبدو الفروق الفردية واضحة .

(2) النمو الفسيولوجي : أن النمو الفسيولوجي في هذه المرحلة يستمر في أطواره وخاصة في الجهاز العصبي وجهاز الغدد. ومن مظاهره يستمر ضغط الدم في تزايده بينما يكون معدل النبض في تناقص ويزداد تعقيد وظائف الجهاز العصبي وتزداد الوصلات بين الألياف العصبية، ولكن سرعة نموها تتناقص عن ذي قبل.

(3) النمو الحركي

أوضح محمد شعلان (1979) وحامد عبد السلام زهران (1980) أنه تعتبر هذه المرحلة مرحلة نشاط حركي واضح وتزداد فيها طاقة الطفل وقوته، وتزداد سرعة حركته وإمكانية التحكم فيها بدرجة أفضل وينمو التوافق الحركي وتزداد الكفاءة والمهارة اليدوية.

(4) النمو الحسي

يقول فؤاد البهي السيد (1994) يكاد يكتمل نمو الحواس في هذه المرحلة ويتطور الإدراك الحسي وخاصة إدراك الزمن والمدلولات الزمنية والتتابع الزمني للأحداث التاريخية وتزداد دقة السمع ويزيد طول البصر وتحسن الحاسة العضلية بإطراد حتى سن 12 سقة.

(5) النمو النفسي والعقلي:

يقول محمود عبد الرحمن حمودة (1998) نظرا لظهور الكبت في المرحلة السابقة مرحلة الطفولة المبكرة) وبروز التسامي وتفرغ الطفل التعلم سواء في المدرسة أو في غيرها وعدم ظهور غرائز لديه فإن (فرويد) أطلق على هذه المرحلة اسم (مرحلة الكمون) وعلى أي حال فإن الطفل في هذه المرحلة يكون نظرته تجاه نفسه ويصبح شخصاً مستقلاً (معتمدا على نفسه).

(6) النمو الاجتماعي:

يقول ملاك جرجس (1987) تطرد عملية التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة فيعرف الطفل المزيد من المعايير والقيم والاتجاهات الديمقراطية والضمير ومعاني الخطأ والصواب ويهتم بالتقييم الأخلاقي للسلوك. ومن مظاهر النمو الاجتماعي إزدياد إحتكاك الطفل بجماعات الكبار ويحاول اكتساب معاييرهم واتجاهاتهم ويحب الطفل صحبة والديه ويفخر بوالده.

(7) النمو الجنسي

يقول رشاد صالح الدمنهوري (1995) تعتبر هذه المرحلة مرحلة ما قبل البلوغ الجنسي، وإنها مرحلة ما قبل المراهقة، ولذلك يجب إعطاء النمو الجنسي عناية كبيرة. ومن أهم مظاهر النمو الجنسي أنه ما زال أكثر اهتمام الجنس كامناً أو موجهاً نحو نفس الجنس وقد تتجدد الأسئلة الخاصة بالولادة والجنس والجماع لكنها في مستوى أرقى.

(8) النمو الديني

ذكر أحمد زكي صالح (1992) أنه مع تقدم الطفل العمري وارتفاع مستواه العقلي يتجه الشعور الديني نحو البساطة والوحدة ويبعد عن الانفعالات ويقترب من المنطق والعقل ويأخذ سلوك الطفل الديني وأداء الفرائض شكلاً اجتماعياً ويصبح الدين بذلك وسيلة من وسائل التوافق الاجتماعي.

(9) النمو الأخلاقي

يقول محمود عبد الرحمن حمودة (1998) في هذه المرحلة تظهر المشاعر الأخلاقية عند سن 8 سنوات أو أكثر. فالطفل بين السنة السادسة والسنة السابعة من عمره لديه بعض المشاعر الأخلاقية ولكنها تعتمد على وجود الوالدين .

(10) النمو الإنفعالي

تقول عزيزة سمارة وآخرون (1999) تعتبر هذه المرحلة مرحلة هضم للخبرات الإنفعالية السابقة ومرحلة استقرار وثبات إنفعالي، يتضح فيها ميل الطفل للمرح وتنمو لديه الاتجاهات الوجدانية ويحاط الطفل ببعض مصادر القلق ويستغرقه في أحلام اليقظة وتقل في هذه المرحلة مخاوف الطفل وتؤثر الضغوط الإنفعالية في النمو الإنفعالي له

(11) النمو المعرفي:

يقول محمود عبد الرحمن حمودة (1998) يسميها (بياجيه) مرحلة العمليات العيانية (7-11) سنة حيث تصبح العمليات العقلية مرنة ويصبح الطفل قادراً على تركيز إنتباهه على أكثر من جانب للموقف. ويصبح التفكير قابلاً للمراجعة لدرجة أنه يمكنه أن يعود لبداية العملية العقلية إذا رغب في تكرارها.

(12) نمو مفهوم الذات:

تقول نبيلة دعبول وآخرون (1992) يدرك الطفل في هذه المرحلة مدى تأثير الجماعة الذي يعزز مفهومه عن ذاته ويقوم الوالدان والمدرسون بدور مهم في نمو الذات لدى الطفل، وتنمو الذات الاجتماعية عن طريق عملية الامتصاص الاجتماعي ويزداد شعور الطفل بقيمته ويزداد الشعور بالحب والعطف والحنان ويسعى الطفل لتعزيز صورته في أعين الآخرين.

المبحث الثاني: سوء معاملة الطفل العاطفية والجسدية والجنسية

تمهيد

يتم في هذا المبحث إستعراض المفاهيم الأساسية التي تدور حولها أساليب المعاملة الوالدية، وسوء معاملة الطفل العاطفية والجسدية والجنسية والإهمال العاطفي، والتي تود أن تركز عليه الباحثة في هذا المبحث.

تعريف المعاملة الوالدية

تعريف أحمد عكاشة (1997) والذي أشار فيه إلى أنها الأسلوب الأمثل الذي يكفل للطفل تحقيق حاجات ومطالب النمو تحقيقة سليمة، ويضمن له الوصول إلى أفضل مستوى من مستويات النمو الجسمي والنفسي والمعرفي والعقلي، ويحتاج إشباع تلك الحاجات إلى والدين يسرهما وجود الطفل ويفخران بدورهما كوالدين ويحيطان الطفل بالحب والرعاية.

أساليب المعاملة الوالدية

إن الأساليب والطرق التي يتبعها الوالدان في معاملة أبنائهم وتنشئتهم اجتماعياً تعد من أهم العوامل الأسرية المحددة لسلوك الطفل وتكوينه النفسي وكيفية مواجهته للأزمات. وأضاف كمال إبراهيم (1989) وحسان محمد (1991) إن أساليب التنشئة الاجتماعية التي ينتهجها الوالدان في تنشئة أبنائهم وتربيتهم تمثل أنماطاً ثابتة تعكس اتجاهات معينة في معاملتهم لأبنائهم في مختلف المواقف الحياتية

العوامل التي تؤدي إلى اختلاف أساليب المعاملة الوالدية

ذكر نبيل السمالوط (1981) أن النسبية الثقافية بين المجتمعات والتي تتمثل في هوية المجتمع وتتجسد في ثقافته وعاداته وقيمه ومعاييره هي التي تحدد سلوك الأفراد. ويؤكد علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتتطور من خلال الإطار الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه ويتكامل معه ؛ فالفرد يولد مزوداً باستعدادات جسمية وعصبية ونفسية تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من البيئة المادية والاجتماعية والثقافية وأهمها تلك التي تأتيه من بيئته الصغيرة التي ترعاه في سنواته الأولى، وهي الأسرة التي تتكون من خلالها شخصية الطفل وتنمو وتتطور.

المعاملة الوالدية في الإسلام:

افسلام بتعاليمه الراسخة القوية يأمر كل من كان في عنقه مسئولية تربية الأطفال خاصة الوالدين أن يتحلوا بالرحمة والرفق ويحسنوا معاملة أبنائهم، حتى ينشأوا أسوياء ويشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام.

قال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها وزجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً) "النساء الآية: 1".

ذكر محمد السيد سلطان (1997) ورناد الخطيب (1977) أن منهج الإسلام وتصوراته ومبادئه التربوية في التنشئة الاجتماعية هي الإطار الأساسي لتربية الإنسان. والتربية في الإسلام تعتمد على تنشئة الطفل وبنائه بناءً عقلياً وروحياً وجسمياً ونفسياً.

كما كفل افسلام للطفل حقه في اسم حسن ليحميه من كل ما يهدد أمنه، ويعكس له رغبة الوالدين تجاهه، وقد أوصى الإسلام وأكد كثيراً وطالبنا باختيار الاسم الحسن لأطفالنا؛ فقد روى عن الرسول (ص) أنه قام بتغيير أسماء كثير من الأفراد الذين كانت لهم أسماء غير مقبولة في الجاهلية. وفي هذا الأمر قال رسول الله (ص) (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم) رواه أبو داود في سننه.

فيما يلى استعراض لأساليب المعاملة الوالدية غير السوية التي تناولتها الباحثة في هذه الدراسة وهي:

سوء معاملة الطفل

Child Abuse أوضح هلث (Health) (1989) أن المفهوم السائد الذي يحصر سوء معاملة الطفل في جانب الإيذاء البدني فقط (الضرب) مفهوم محدود وقاصر وغير صحيح إذ أن مفهوم سوء معاملة الطفل يشمل التوبيخ واللوم والنقد غير الهادف والإهمال العاطفي وعدم التوجيه التربوي والأخلاقي ويشمل أيضاً سوء المعاملة الجنسية التي يتعرض لها الطفل.

عرف هارت (Hart) (1999) سوء معاملة الطفل هي كل فعل يؤثر على الطفل عاطفياً أو جسدياً أو جنسياً أو إهمالاً بمختلف الأنواع، يتمثل سوء معاملة الطفل في أربعة أنماط رئيسية هي:

معدلات وإحصائيات سوء معاملة الطفل. تذكر الباحثة أنه لا توجد أي إحصائيات دقيقة وواضحة وموثقة عن سوء معاملة الطفل وإهماله في السودان (مجتمع الدراسة) إلا أن ذلك لا ينفي عدم ممارسة أساليب سوء معاملة الطفل بكل أنواعها، ولخصت الباحثة بعض الإحصاءات العالمية التي رصدت حجم هذه المشكلة ومدى انتشارها فيما يلي:

أظهرت دراسة كرجتون ونويز (Creighton & Noyes) (1989) أن حالات سوء معاملة الطفل في إنجلترا في الفترة من 1985 – 1987، كان توزيعها كالآتي :25% حالات سوء معاملة جسدية، 50% سوء معاملة عاطفية. 25% إهمال.

(1) سوء المعاملة العاطفية

أوضح شيري (Sherry) (1995) أن سوء المعاملة العاطفية هو اتجاه في السلوك يؤثر تأثيراً مباشراً في النمو النفسي والعاطفي للطفل ويعتبر سوء المعاملة العاطفية آخر الأنواع اكتشافاً ومع ذلك فهو الأكثر انتشاراً واقواها تدميراً.

أوضح كاربينو (Carbino) (1996) أن لسوء المعاملة العاطفية أشكالا عديدة منها:

أ. **الرفض**
ب. **التجاهل**
ج. **الإرهاب**
د. **العزل**

(2) سوء المعاملة الجسدية

عرف فريدريش (Friedrich) (1994) أن سوء المعاملة الجسدية هو حدوث أذي بدني عمدي نتيجة استخدام الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل أساليب عنيفة وقاسية كالضرب والعض والرفس والحرق.

(3) سوء المعاملة الجنسية

يعرف كلارك (Clark) (1998) يعرف سوء المعاملة الجنسية بأنه إساءة استخدام الطفل جنسياً بقصد المتعة، وتترك هذه الممارسة آثاراً عميقة في نمو الطفل الصحي والجسدي والعاطفي والنفسي.

أوضح جيلس وهاربو (Gells and Haripo) (1998) أن لسوء معاملة الطفل الجنسية أشكالاً عديدة ويمكن تلخيصها في الأتي:

أ. **سوء المعاملة الجنسية غير الملموسة**

ب. **سوء المعاملة الجنسية الملموسة**

ج. **الفعل الجنسي**

(4) الإهمال العاطفي:

عرف كافاناف (Kavanagh) (1994) الإهمال العاطفي للطفل هو فشل الوالدين أو القائمين على رعايته في إمداده بالحاجات الأساسية كالطعام والشراب والحماية والملبس والعلاج، وإهماله تربوياً ووجدانياً، ويأخذ إهمال الطفل العاطفي ثلاثة أشكال: الإهمال البدني، الإهمال التربوي، الإهمال الوجداني.

أ) **الإهمال البدني**

ب) **الإهمال التربوي**

ج) **الإهمال الوجداني**

المبحث الثالث: الاضطراب التحولي

تمهيد

تناقش الباحثة في هذا المبحث الإضطراب التحولي في توطئة تاريخية، ثم تعريف الإضطراب التحولي ومدى إنتشاره، وتصنيفه وتشخيصه إنتهاءً بالأسباب والمال والعلاج.

تعريف الإضطراب التحولي

يقول أحمد عكاشة (1986) كما ورد في محمد السيد عبد الرحمن (2000) تعد الحالة أنا (Anna) أشهر حالات الإضطراب التحولي، ويتضمن هذا الإضطراب تغيير أو فقدان أحد أعضاء الجسم وظيفته دون أن يرجع ذلك إلى عوامل فسيولوجية،

وقد استخدم مصطلح (تحول) للإشارة إلى تحول القلق والصراع بعد كبته إلى عرض عضوي أو جسمي ويكون ذلك بطريقة لاشعورية ؛ أي لا يفهم المريض المعنى الكامل لأعراضه العضوية وآلامه المختلفة.

معدلات وإحصائيات الإضطراب التحولي : بالرجوع إلى مكتب الإحصاء والبحوث بوزارة الصحة الاتحادية، لم يتوفر للباحثة أي إحصاءات منفصلة عن معدل الإضطراب التحولي وإنتشاره بمستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم، ووجدت إحصاءات عامة لكل الأمراض العقلية والنفسية بدون تفاصيل. أنظر جدول رقم (١) في الفصل الثالث. وقد لخصت الباحثة بعض الإحصاءات العربية والعالمية التي رصدت حجم هذه المشكلة وإنتشارها.

تصنيف الإضطراب التحولي

تمهيد

في السابق تم تصنيف هذا الإضطراب على أنه أنواع مختلفة من (التحول الهستيري) لكن من الأفضل الآن تجنب هذا المصطلح (هستيريا) ما أمكن بسبب دلالاته المتباينة والمختلفة وسمي إضطراب (التحول - الإنشطار النفسي).

صنف الإضطراب التحولي حسب التصنيف العالمي العاشر للأمراض العقلية والسلوكية (ICD,10) (1992) إلى الآتي:

ف/44 إضطرابات إنشقاقية (تحولية) F/ 44 DISSOCIATIVE (CONVERSION) DISORDERS
ف/ر 44 فقدان الذاكرة الإنشقاقي أو (النساوة الإنشقاقية) F/ 44 DISSOCIATIVE AMNESIS - O
ف/ر 44 الشرود الإنشقاقي DISSOCIATIVE FUGE, 1
ف2 ر 44 الخدر (السبات) الإنشقاقي DISSOCIATIVE STUPOR, 2
ف 3 ر 44 إضطرابات الغشية والتلبس (الإستحواذ - المس) TRANCE AND POSSESSION DISORDERS, 3
ف 4 ر 44 إضطرابات الحركة الإنشقاقية DISSOCIATIVE MOTOR DISORDERS, 4
ف 5 ر 44 التشنجات الإنشقاقية DISSOCIATIVE CONVLSIONS, 5

ف 6 ر 44 الخدار وفقدان الإحساس الإنشقاقي DISSOCIATIVE ANAETHESIA AND SENSORY LOSS, 6
ف ٧ ر 44 إضطرابات إنشقاقية وتحولية مختلطة MIXED DISSOCIATIVE (CONVERSION) DISORDERS, 7
ف 8 ر 44 أخرى OTHERS, 8
80 ر متلازمة جانسر GANSER SYNDROME, 80
81 ر تعدد الشخصية MULTIPLE PERSONALITY DISORDERS, 81
82 ر إضطرابات إنشقاقية عابرة في الطفولة والمراهقة TRANSIENT DISSOCIATIVE (CONVERSION) DISORDERS OCCURRING IN CHILDHOOD OR ADOLWSCENCE, 82
88 ر أخرى محددة OTHERS SPECIFIED, 88
ف 9 ر 44 غير محددة UNSPECIFIED, 9

كما ورد في الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية الرابع (DSM, IV)) (1994) أن الإضطراب التحولي هو إضطراب جسمي نفسي. ضمن إضطرابات متعددة. ويحدد الدليل ثلاثة أنواع رئيسية للإضطرابات الجسمية وهي:

(1) الإضطراب الجسمي

(2) الإضطرابات الجسمية الزائفة أو المصطنعة Factitious

(3) **الإضطرابات الإنشقاقية (الإنفصالية)**

تشخيص الإضطراب التحولي

التشخيص هو التقييم العلمي الشامل لحالة مرضية محددة، ويتضمن المعلومات والأعراض بنوعيها الكمي والكيفي ويتم بوسائل متعددة منها الاختبارات المقننة، والمقابلة ودراسة الحالة والملاحظة والسجل المدرسي والظروف العائلية والسجل الطبي ويقوم بتحديد مكانها وطبيعتها ونوعها ودرجة حدتها.

موجهات تشخيص الإضطراب التحولي حسب التصنيف العالمي العاشر للأمراض العقلية والسلوكية (1992) (ICD,10)

أ) أن الملامح السريرية كما تم تحديدها للإضطرابات الفردية في الفقرة (ف 44).
ب) أن لا يكون هناك دليل على إضطراب جسماني يمكن أن يفسر الأعراض.
ج) أن يكون هناك دليل على سبب نفسي في شكل ارتباط واضح من ناحية زمنية مع أحداث ضاغطة ومشاكل أو علاقات مضطربة (حتى ولو أنكرها الشخص).
د) من الصعب العثور على دليل المسبب النفسي حتى لو كان هناك شك قوي في وجوده، وفي حالة وجود اضطرابات معلومة في الجهاز العصبي المركزي أو الطرفي فإن تشخيص اضطراب التحول.

أسباب الإضطراب التحولي

عرفت (الهستيريا) سابقاً والإضطراب التحولي حالياً بانها مرض نسائي وعزيت أسبابه إلى اختلال في وظائف الرحم، وبسبب جفاف السائل المنوي من الرحم. وبعد ما تغلبت الكنيسة على المجتمعات وسيطر التفكير التأملي والروحي عرفت الهستيريا بأنه مرض يصيب النماء سببه الجن.

تفسير فرويد

أورد كل من مصطفى سويف (1985) وريتشارد سوين (1988) وفخري الدباغ (1989) وأحمد عكاشة (1997) ومحمد السيد عبد الرحمن (2000) رأي فرويد الذي يفسر أسباب (الهستيريا) الإضطراب التحولي بأن هناك صراع بين الذات العليا والنزعات الجنسية ينتج عنه الكبت، وعندما يكون الكبت جزئياً تحاول تلك النزعات أن تعبر عن نفسها تعبيراً غير مباشر عن طريق تحويلها إلى عرض جسمي.

التفسير الفسيولوجي للأعراض التحولية

ورد في أحمد عكاشة (1997) أن المرضى الذين يصابون بالإضطراب التحولي يتميزون عن غيرهم بوجود قشرة مخية ضعيفة، والقشرة المخية تقوم بدور مهم في كف وإحباط وتنظيم مراكز تحت القشرة في المخ، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الضعف إلى إثارة هذه المراكز البدائية الموجودة فيما تحت القشرة المخية وتصبح هذه المراكز دون سيطرة عليا وتصاب بعدم التوازن والاندفاع والتهور.

تفسير الإضطراب التحولي على ضوء النظرية السلوكية

أوضح ولسون وآخرون (Wilson, t.etal) (1996) بأن النظرية السلوكية تفترض أن الأشخاص الذين يعانون من الاضطراب التحولي يتبنون الأدوار الاجتماعية التي يتطابق فيها سلوكهم مع سلوك الأفراد الذين يعانون أعراضاً مماثلة حدثت بسبب أمراض جسمية أو بمعنى آخر، فالأشخاص ذوو الإضطراب التحولي يتصرفون كما يتصرف المرضى الحقيقيون وقد حدد السلوكيون سؤالين حول الإضطراب التحولي:

1) هل الأشخاص قادرون بالفعل على تبني مثل هذه الأدوار في مواقف ضاغطة ؟
2) تحت أي الظروف يمكن أن يتصرف الأشخاص بهذا الشكل ؟

للإجابة عن السؤال الأول يعتقد السلوكيون أن الأفراد يستطيعون تقليد الأعراض التحولية دون أن يكونوا موجهين لا شعورياً أو أن يكونوا متمارضين، وتأييداً لهذا الإفتراض قام السلوكيون بدراسات عديدة توضح أن مرضى الإضطراب التحولى هم أشخاص سريعو الإستجابة لمطالبهم الخاصة demnand characteristicsفي المواقف الاجتماعية أو بعبارة أخرى أنهم أشخاص سريعو التأثر والإستجابة بطرق يفترض أن تكون مناسبة في مواقف معينة.

وللإجابة عن السؤال الثاني يفترض السلوكيون أنه لكي يقوم الأشخاص بهذه الأدوار فإنه يجب أن يكون لديهم خبرة بهذه الأعراض ويجب أن يتم تعزيزهم على مثل هذا السلوك.

مآل الإضطراب التحولي Prognosis

يمكن القول أن الفحص يتناول ماضي المريض وحاضره (وماذا حدث وماذا يحدث) وأن التشخيص يتناول حاضر المرض (ما هو المرض) مع نظرة إلى مستقبله. أما المآل فإنه يتناول مستقبل المرض ماذا سيحدث في ضوء ماضيه وحاضره

علاج الإضطراب التحولي

مر الإضطراب التحولي تاريخياً بتطورات كثيرة إبتداءاً من إعادة تسميته وإنتهاءاً بتصنيفه وتشخيصه وطرق علاجه، لذلك رأت الباحثة أن ترد في هذا الجزء من الدراسة التطورات التاريخية التي طرات على علاج الإضطراب التحولي

الاتجاهات الحديثة في علاج الإضطراب التحولي

(1) علاج الإضطراب التحولي بالتحليل النفسي:

لقد بدأ فرويد أولى المحاولات في تفسير حالة الإضطراب التحولي الهستيريا (سابقاً) وزميله برويز عام (1895). وأورد علي كمال (1988) وريتشارد سوين (1988) وحامد عبد السلام زهران (1997) رأي فرويد ومدرسة التحليل النفسي في علاج الإضطراب التحولي، ويتضمن هذا الأسلوب من العلاج الطرق التالية:

1. **التداعي الحر free association**

يعرف أحمد عكاشة (1997) التداعي الحر بانه أسلوب فني إبتدعه فرويد للكشف عن العوامل المكبوتة في اللاشعور والتنفيس عن القلق، والعوامل الدفينة اللاشعورية المسببة للأعراض المرضية.

2. **التفريخ الإنفعالي Abreaction**

هو تفريغ لإطلاق عقال التوترات الناجمة عن الشحنات الإنفعالية والذكريات المؤلمة التي تسبب الألم النفسي وغالباً ما تكون لا شعورية.

أ) **طريقة التفريغ بالتنويم الخفيف (بالباربينوريت) :** إذ يحقن المريض بكميات خفيفة وتدريجية من (البنتوثال) أو الفاليم 0.5 غرام مذاب في 10 - 20 سي سي من الماء المقطر بمعدل 1 سي سي في الدقيقة.

ب) **طريقة المنبهات العصبية :**ويتم ذلك باستعمال مادة محفزة عكس مفعول المنومات ويكون تحفيزها لمراكز المخ سبباً في دفع الذكريات المكبوتة في اللاشعور إلى الوعي مثل السد الذي ينهار جزء منه فيتدفق الماء عنيفاً وسريعاً.

(2) العلاج السلوكي للإضطراب التحولي :

ذكر ريتشارد سوين (1988) إن ولبي (Walpe) يميز بين نوعين من مرضى الاضطراب التحولي، النوع الأول يتصف بدرجة عالية من القلق، وهؤلاء هم الذين يستجيبون إستجابة طبية للعلاج السلوكي، أما النوع الثاني فيتصف بدرجة منخفضة من القلق، وهؤلاء يكون من الأجدى معهم استخدام وسيلة التفريغ الإنفعالي Abreaction أو التنفيس والتنويم المغناطيسي.

(3) العلاج الجماعي والبيني للإضطراب التحولي

أوضح حامد عبد السلام زهران (1997) أنه في حالات الإضطراب التحولي يجب أن يعمل باستمرار على إثارة تعاون المريض وتنمية بصيرته ومساعدته في أن يفهم نفسه ويحل مشكلته ويحاربها بدلاً من أن يهرب منها ويقع ضحية لها.

(4) العلاج عن طريق العون للإضطراب التحولي

يقول بلوك (Block) (1979) يعتبر هذا الأسلوب وسيلة علاجية يقصد بها إعادة التوازن الإنفعالي الفرد والعمل على إزالة الأعراض المرضية إذ يتضمن هذا الأسلوب العلاجي الطرق التالية:

أ) **التوجيه:**

ب) **تغيير البيئة**

(5) العلاج السلوكي المعرفي للإضطراب التحولي

هو إدخال العقل والمنطق في العلاج النفسي، وتفسير الأفكار الخاطئة واللامنطقية التي يتبناها المريض من خبرته المبكرة وذلك بغرض تعديل سلوكه إذ يعتمد العلاج السلوكي المعرفي على تغيير مفاهيم المريض وإعادة تشكيل مدركاته حتى يتثني التغيير في سلوكه.

1.2. الدراسات السابقة

1) دراسة كامل (1991) بعنوان الخصائص الديمغرافية والاجتماعية للأسرة المسيئة تكونت عينة الدراسة من (722) طفلا (212 أنثى - 510 ذكراً) من الأطفال الذين أسيئت معاملتهم، تتراوح أعمارهم بين (3 - 19 سنة). توصلت نتائج الدراسة إلى الآتي: إن إساءة معاملة الطفل أكثر إنتشاراً بين الأسر منخفضة المستوى الاجتماعي والاقتصادي. إساءة معاملة الطفل توجد بدرجة أكبر في الأسر كبيرة المجتمع والتي يزيد عدد أطفالها على 5 أبناء

2) دراسة قاسم وزملائه (1994) بعنوان علاقة بعض العوامل الاجتماعية والديمغرافية وعلاقتها بإساءة معاملة الطفل الجسدية: تكونت عينة الدراسة من (119) حالة في كوالا لامبور بماليزيا تتراوح أعمارهم من (6 - 18 سنة) خلصت الدراسة إلى الآتي: ترتبط إساءة معاملة الطفل إرتباطاً موجباً بنوعية الطبقة الاجتماعية المشاكل الأسرية مثل (الطلاق والإضطرابات النفسية وتعاطي المخدرات علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة في إساءة معاملة الطفل)

3) دراسة أحمد (1994) بعنوان علاقة إساءة معاملة الطفل وتقديره لذاته ومستوى الإكتئاب لديه: تكونت عينة الدراسة من (60) طفلاً (30 طفلاً ممن أسيئت معاملتهم 30 طفلاً من الأطفال العاديين كمجموعة ضابطة، وعينة أخرى تتكون من (105 من الوالدين)، (105 من الأقارب). وأسفرت النتائج إلى الأتي: أن الآباء أكثر إساءة لأبنائهم من الأقارب. أن إساءة معاملة الطفل تظهر عادة في ظل المستوى الاجتماعي والمنخفض. الأطفال الذين يتعرضون لإساءة في المعاملة ينخفض تقديرهم لذاتهم ويرتفع مستوى الإكتئاب لديهم

4) دراسة سيجلمان Spigelman (1994) بعنوان الحالة الأسرية وعلاقتها بإساءة معاملة الطفل: تكونت عينة الدراسة من (108) طفلاً تتراوح أعمارهم ما بين (10 - 12 سنة)، قسمت العينة الكلية إلى مجموعتين، الأولى تكونت من (54) طفلاً يعانون من حرمان أسري جزئي نتيجة لطلاق الوالدين، والثانية ضابطة تكونت من (54) طفلا من أسر عادية.

وقد أوضحت النتائج الآتية:

أ) ارتفاع مستوى العدوان والإكتئاب لدى الأطفال الذين تعرضوا لإساءة المعاملة.

ب) يكونون شخصيات مضطربة مع إنخفاض في تقدير الذات ويتنبأ لهم بظهور بعض الإضطرابات النفسية والسلوكية.

5) دراسة إسماعيل وتوفيق (1996) بعنوان العلاقة بين إساءة معاملة الطفل وكل من ضغوط والديه (بمكوناته الفرعية المتعددة والتوافق الزواجي (بأبعاده الفرعية) تكونت عينة الدراسة من (25) أسرة مصرية (كل أسرة مكونة من أب وأم وأحد الأطفال). أسفرت الدراسة على النتائج التالية: وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة بين إساءة معاملة الطفل والعصابية لدى الأم والعدوانية لدى الأب. العزلة الأجتماعية لدى الوالدينوجود علاقة ارتباطية سالبة بين الدرجة الكلية لإساء معاملة الطفل، والضغوط الوالدية.

6) دراسة مؤمن (1997) بعنوان التفاعلات الأسرية لدى الأسر التي تسئ معاملة أطالها جسدياً وعاطفياً ومقارنتها بتفاعلات الأسر السوية: تكون عينة الدراسة من (20) أسرة (10 أسرة مسيئة – 10 أسرة غير مسيئة)

وتوصلت إلى النتائج التالية

أ) أن الأسرة المسيئة لأطفالها أقل تواصلاً وجدانياً وأقل رضا عن علاقتها بأبنائها وأكثر صراعاً بالنسبة لتنشئة الأطفال، وأقل تنظيماً وأقل تماسكاً من الأسر غير المسيئة.

أولا: التعقيب على الدراسات السابقة

1) أجريت جميع هذه الدراسات في الفترة ما بين 1991 – 2001
2) ركزت بعض الدراسات على ربط سوء معاملة الطفل بالخصائص الديمغرافية والاجتماعية والأسرة مثل دراسة كامل ودراسة قاسم وزملائه
3) أظهرت بعض الدراسات اهتماماً بسوء معاملة الطفل في علاقته بمتغيرات أسرية معينة مثل دراسة مؤمن ودراسة سيجلمان (Spigelman)
4) اهتمت بعض الدراسات بمعرفة سوء معاملة الطفل بالضغوط الوالدية مثل دراسة أحمد السيد إسماعيل وتوفيق.
5) معظم الدراسات استخدمت المنهج الوصفي

ثانياً: أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة

استفادت الباحثة كثيرة من إطلاعها على الدراسات التي سبقتها في ذات المجال، حيث إنها شكلت قاعدة إنطلاق للدراسة الحالية، إسترشادة بالنتائج التي تم التوصل إليها، الأمر الذي مكن الباحثة من اختيار المنهج المناسب للدراسة، وإضافة متغيرات أخرى.

ثالثاً: موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة

1) من الملاحظ أن جميع الدراسات التي تناولت إساءة معاملة الطفل أجريت في بيئات غير سودانية، أي عدم وجود دراسة سودانية في هذا المجال الأمر الذي يعني أن هذه الدراسة في إضافة وإثراء للبحث العلمي في السودان.
2) إختلاف عينات الدراسات العربية والأجنبية، فمنهم من طبق الدراسة على طلاب الثانويات وأطفال الروضة والمرحلة الإبتدائية والأسر المسيئة وغير المسيئة، بينما طبقت عينة هذه الدراسة على مرضى الإضطراب التحولي.
3) تفردت هذه الدراسة بموضوعها، إذ أنها تناولت الإضطراب التحولي متغيرة تابع السوء معاملة الطفل في فترة الطفولة الوسطى والمتأخرة (6 - 12) سنة.

3. منهج الدراسة وإجراءاتها الميدانية

تمهيد

تتناول الباحثة في هذا الفصل وصف منهج الدراسة وعرض إجراءاتها الميدانية، حيث يوضح المنهج المستخدم في الدراسة، ومجتمع الدراسة، والأدوات المستخدمة في جمع المعلومات وخصائص أفراد العينة الذين أجريت عليهم الدراسة، وتوضيح الأساليب الإحصائية المتبعة في تحليل البيانات.

1.3. منهج الدراسة

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي ذلك لأنه المنهج الأنسب لمثل هذه الدراسة، والذي يعرفه صلاح الفوال (1982) المذكور في مبارك ربيع (1991) بانه المنهج الذي يهتم بجمع البيانات التفصيلية عن الظاهرة موضوع الدراسة بقصد استخدام هذه البيانات لفهم الأوضاع والممارسات المختلفة وتفسيرها.

2.3. مجتمع الدراسة

يتكون المجتمع الأصلي للدراسة الحالية من جميع مرضى الإضطراب التحولي الذين يترددون على مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم، ويمكن وصفه من خلال النقاط التالية:

1) من حيث النوع: تشتمل الدراسة على كلا النوعين (ذكر، أنثى).
2) من حيث المؤسسات العلاجية: تقتصر الدراسة على مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم.
3) من حيث المرضي: تشمل الدراسة كل المرضى المصابين بالإضطراب التحولي.

جدول رقم (1) يوضح عدد المرضى المترددين على
مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم في الفترة من 1997 م – 2001م

السنوات	مستشفى التجاني الماحي للأمرض النفسية والعصبية	مستشفى الخرطوم النفسية	مستشفى الخرطوم بحري للأمراض النفسية والعصبية	المجموع
1997م	3833	2260	1820	8313
1998م	3838	2945	2411	9194
1999م	3966	2860	1712	8538
2000م	8373	3337	1942	13685
2001م	10176	4187	1207	15561

المصدر: الإدارة العامة للإحصاء والبحوث بوزارة الصحة الاتحادية

3.3. أدوات الدراسة

وقد أعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على الأدوات الآتية: استمارة البيانات الأساسية من تصميم الباحثة. مقياس سوء معاملة الطفل من تصميم ديفيد برينشتين، موجهات ومحكات تشخيص الإضطراب التحولي حسب الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية الرابع ((DSM, IV) (1994)

أولاً: استمارة البيانات الأساسية

الاستمارة عبارة عن مجموعة أسئلة محددة الإجابات مرتبطة ببعضها من حيث الموضوع بصورة تكفل الوصول إلى المعلومات التي يسعى الباحث للحصول عليها.

وقد قامت الباحثة بإعداد استمارة في شكل أسئلة عددها (9) أسئلة تهدف بصورة رئيسية لجمع معلومات عن المفحوص عليه مثل العمر، النوع، السكن القائم بالرعاية. (أنظر الملحق رقم "1").

ثانياً: مقياس سوء معاملة الطفل

الصورة الأصلية

لما كان قياس سوء معاملة الطفل أحد أركان هذه الدراسة الأساسية، كان لابد من تحديد أداة قياس مناسبة لهذا الغرض، وبعد البحث والإطلاع والتشاور في أوساط الأدوات المطروحة للقياس وقع اختيار الباحثة على المقياس الذي أعده ديفيد برينشتين (1995) لذات الغرض، والذي قام بترجمته أحمد جمال ماضي أبو العزائم وعادل محمد دسوقي. يتكون هذا المقياس من (53 عبارة) مقسمة إلى (6) أبعاد (انظر ملحق رقم " 2 ").

جدول رقم (2) يوضح أبعاد

مقياس سوء معاملة الطفل وعدد عبارات كل بعد

الرقم	البعد	عدد العبارات
1	سوء المعاملة العاطفية	12
2	سوء المعاملة الجسدية	7
3	سوء المعاملة الجنسية	7
4	الإهمال العاطفي	16
5	الإهمال الحسي	8
6	الإنكار	3

مبررات اختيار المقياس:

وقد جاء اختيار الباحثة لهذا المقياس نتيجة لعدة مبررات أهمها: أنه يحقق هدفاً رئيسياً من أهداف هذه الدراسة إذ أنه يقيس سوء معاملة الطفل بصورة مباشرة بواسطة عدة أبعاد.

مفتاح تصحيح الصورة الأصلية للمقياس:

يتم تصحيح الاستجابات على عبارات المقياس كالتالي:

تعطى الخيارات (أبداً، نادراً، أحياناً، غالباً، دائماً) الدرجات (1، 2، 3، 4، 5) على الترتيب وذلك في جميع عبارات المقياس ما عدا العبارات التي تقيس الاهمال العاطفي نقوم بعكس درجاتها أي:

أبداً = 5

نادراً = 4

أحياناً = 3

غالباً = 2

دائماً = 1

وهي العبارات (1، 4، 7، 12، 15، 17، 21، 22، 25، 28، 31، 34، 37، 41، 48، 53)

جدول رقم (3) يوضح الدرجات

المعيارية التي تحدد مستويات سوء معاملة الطفل

سوء المعاملة العاطفية	لا يوجد 29 – 12	بسيط 34 – 30	متوسط 40-35	شديد 41 وما فوقها
سوء المعاملة الجسدية	11 – 7	13 – 12	17 – 14	18 وما فوقها
سوء المعاملة الجنسية	8 – 7	12 – 9	21 – 13	22 وما فوقها
الإهمال العاطفي	38 – 16	49 – 39	60 – 50	61 وما فوقها
إهمال حسي	11 -8	13 -12	18 – 14	19 وما فوقها

الصدق الظاهري

ذكرت آن مايبرز (1990) أن صدق المقياس يقصد به الدرجة من الصحة التي يقيس بها ما يراد له قياسه أو فحصه، وقد أوضح سعد عبد الرحمن (1983)، أن هذا النوع من الصدق يقوم على فكرة مناسبة الاختيار لما يقيسه، ولمن يطبق عليه ويبدو مثل هذا الصدق في وضع البنود، ومدى علاقتها بالقدرة أو السمة أو البعد الذي يقيسه الاختبار.

حذف بعض العبارت والتعديل في البعض الآخر (انظر جدول رقم "4")

جدول رقم (4) يوضح العبارات التي تم تعديل

صياغتها، حذفها، إضافتها لمقياس سوء معاملة الطفل بناء على آراء المحكمين

الرقم	العبارة قبل التعديل	العبارة بعد التعديل	نوع التعديل
3	كنت تحظى بثقة الأسرة ويقومون بتشجيعك على النجاح	1) كنت تحظى بثقة الأسرة 2) كانت أسرتك تشجعك على النجاح	فصل العبارة إلى عبارتين
4	قد تعرضت للضرب من أحد أفراد الأسرة	قد تعرضت للضرب الشديد من أحد أفراد الأسرة	إضافة
7	رأيت أحد أفراد أسرتك (كالأم أو الأخوة أو الأخوات يتعرض للضرب)	رأيت أحد أفراد أسرتك يتعرض للضرب الشديد	حذف + إضافة
8	كان يناديك أحدهم أو يلقبك باسم (الغبي، الكسول، القبيح)	كان يلقبهم أحدهم بألقاب مشينة	حذف + إضافة
13	تعتقد أن أحد أخوانك قد تعرض لحادث تحرش جنسي من قبل	تعتقد أن أحد أخوانك قد تعرض لحادث اعتداء جنسي من قبل	حذف + إضافة
15	كان يعاملك أبويك كمعاملة أخوانك أم لا	كان يعاملك أبواك كمعاملة أخوانك	تصحيح + حذف
17	تعرضت للضرب الشديد المبرح الذي يتطلب ذهابك للمستشفى أو رؤية الطبيب	تعرضت للضرب الشديد الذي يتطلب ذهابك للمستشفى أو رؤية الطبيب	حذف
21	كان يوجد شخص داخل الأسرة أكبر منك سنا يمثل نموذجاً ايجابياً يحتذى به كالأب أو الأم أو المدرس	كان يوجد شخص داخل الأسرة أكبر منك سنا يمثل نموذجاً ايجابياً يحتذى ب	حذف
22	تعرضت للضرب بأحد الشياء الصلبة كالحزام، لوح الخشب أو خلافه	تعرضت للضرب بأحد الشياء الصلبة كالعكاز أو السوط	حذف + إضافة
27	تعرضت للضرب بشكل قاسي ولاحظ الآخرين عليك آثاره (الكمدرس، الجيران، الطبيب)	تعرضت للضرب بشكل قاسي ولاحظ الآخرين عليك آثاره	حذف
33	حاول أحدهم التحرش بك أو حاولت أنت التحرش بهم جنسياً	حاول أحدهم أو بعضهم باستقلالك جنسياً	حذف + إضافة
39	تحرش بك أحد جنسياً	قام أحدهم أو بعضهم باستقلالك جنسياً	حذف + إضافة

يعد إجراء التعديلات التي أوصى بها المحكمون أصبحت عبارات المقياس في صورته النهائية (43) (انظر ملحق رقم "3").

الصدق الاحصائي:

لمعرفة الخصائص القياسية لمقياس سوء معاملة الطفل في صورته المعدلة بتوجيهات المحكمين قامت الباحثة بتطبيقه على عينة استطلاعية عشوائية مصغرة من مجتمع الدراسة تتكون من (30) مفحوصاً (20) أنثى و(10) ذكور، وذلك بهدف التأكد من الاتساق الداخلي للمقياس، وايجاد معامل الثبات والصدق لمقياس سوء معاملة الطفل.

الاتساق الداخلي لمقياس سوء معاملة الطفل

يعتبر صدق التكوين الفرضي من أفضل الطرق في تحديد صدق الاختبار، وفي هذا يشير فؤاد أبو حطب (1977) المذكور في ايمان الصادق (2001) إلى أن أفضل الطرق التي تستخدم في تحديد صدق الاختبارات التي في مرحلة التجريب هو صدق التكوين الفرضي.ولمعرفة الاتساق الداخلي لهذا المقياس قامت الباحثة بايجاد معامل الارتباط بين درجات كل بند مع الدرجة الكلية للمقياس الفرعي الذي يقع تحته البند. والجدول رقم (5) يوضح نتائج هذا الإجراء

جدول رقم (5) يوضح معامل ارتباط بيرسون لمعرفة علاقة ارتباط كل بند من بنود مقياس سوء معاملة الطفل بمجموع البنود التي يشملها كل بعد

الأبعاد	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
سوء المعاملة العاطفية	2	0.2215	17	0.3886	32	*0.0650
	7	0.5016	25	0.6573	35	0.3383
	9	0.6725	29	0.3522	37	0.3041
	12	0.4632	31	0.3405	41	0.1694
سوء المعاملة الجسدية	5	0.3858	20	*0.1512	28	0.7266
	8	0.3583	23	0.3623		
	18	0.2843	26	0.4193		
سوء المعاملة الجنسية	14	0.3862	36	0.5182	42	0.3507
	21	0.3766	38	0.3487		
	34	0.6912	40	0.4911		
الاهمال العاطفي	1	0.2794	13	0.6740	27	0.1981
	3	0.5941	15	0.5723	30	0.6169
	4	0.4996	16	0.4467	33	0.5416
	6	0.4203	19	0.4861	39	0.5071
	10	0.5118	22	0.5683	43	0.3373

		0.5105	24	0.3128	11	

ثانيا: معامل الثبات لمقياس سوء معاملة الطفل

لحساب ثبات مقياس سوء معاملة الطفل استخدمت الباحثة طريقة تحليل التباين (الفاكرونباخ) على بيانات العينة الإستطلاعية المكونة من (30) مفحوصاً وباستخدام جهاز الحاسوب حصلت على النتائج الموضحة بالجدول رقم (6)

جدول رقم (6) يوضح معامل الثبات الأبعاد مقياس سوء معاملة الطفل
باستخدام معامل تحليل التباين (الفاكرونباخ)

الأبعاد	معامل الثبات
سوء المعاملة العاطفية	0.7513
سوء المعاملة الجسدية	0.7058
سوء المعاملة الجنسية	0.7384
الاهمال العاطفي	0.8558

ثالثا الصدقي الذاتي لقياس سوء معاملة الطفل:

أوضح رجاء محمود أبو علام (1998) أن الصدق الذاتي يساوي الجذر التربيعي المعامل الثابت وعليه فقد قامت الباحثة بإيجاد الصدق الذاتي لمقياس سوء معاملة الطفل من القيم الرقمية المعاملات الثبات التي تم توضيحها في الجدول السابق رقم (6). والجدول رقم (7) يوضح هذا الإجراء.

جدول رقم (7) يوضح معاملات الصدق
الذاتي للأبعاد المختلفة بمقياس سوء معاملة الطفل

الأبعاد	معامل الصدق الذاتي
سوء المعاملة العاطفية	0.8667
سوء المعاملة الجسدية	0.7401
سوء المعاملة الجنسية	0.8593
الإهمال العاطفي	0.9250

يتضح مما سبق أن مقياس سوء معاملة الطفل يتمتع بدرجة عالية من الثبات والصدق.

3.4. عينة الدراسة

وقد قامت الباحثة بإختيار عينة هذه الدراسة بالطريقة الكلية، حيث تشتمل عينة هذه الدراسة كل الحالات التي تم تشخيصها بانها تعاني من الإضطراب التحولي بكل أنواعه والمترددين على مستشفيات الطب النفسي بولاية الخرطوم في الفترة من 1/ مايو 2002 - 1/ يوليو 2002 والمستشفيات هي التجاني الماحي، مستشفى الخرطوم، مستشفى الخرطوم بحري للأمراض العصبية والنفسية).

والجدول التالي رقم (8) يوضح توزيع عينة الدراسة من أفراد هذه المجموعة من حيث النوع والمستشفيات التي تم اختيارهم منها

جدول رقم (8) يوضح توزيع عينة الدراسة على
حسب نوع المفحوصين ـ والمستشفى التي تم اختيارهم منها

اسم المستشفى	عدد الحالات إناث	عدد الحالات ذكور	المجموع
مستشفى التجاني الماحي	12	3	15
مسشتفي الخرطوم	10	6	16
مستشفى الخرطوم بحري	14	5	19
المجموع	36	14	50

توصيف عينة الدراسة

بلغ حجم العينة التي تم اختيارها من المجتمع الأصلي (50) حالة، منهم 36 أنثى (14) ذكر، مصابين بالاضطراب التحولي، والجدول التالي رقم (9) يوضح توصيف العينة في حجمها النهائي تبعا للنوع وبعض المتغيرات الأخرى.

جدول رقم (9) يوضح التكرار والنسبة المئوية للمعلومات الأساسية العينة الدراسة

المتغيرات	مستوى المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
النوع	ذكر	14	%28
	أنثى	36	%72
العمر	(18-15) عاماً	15	%30
	(22-19) عاماً	16	%32
	(27-23) عاماً	9	%18
	(28 وما فوق)	10	%20

المستوى التعليمي	أمي	1	%2
	خلوة	5	%10
	ابتدائي	6	%12
	متوسط	10	%20
	ثانوي	20	%40
	جامعي	7	%14
	فوق الجامعي	1	%2
السكن	محافظة الخرطوم	15	%30
	محافظة أم درمان	6	%12
	محافظة الخرطوم بحري	6	%12
	محافظة شرق النيل	9	%18
	محافظة بحري شمال	7	%14
	محافظة كرري	4	%8
	محافظة جبل أولياء	3	%6
القائم بالرعاية	والدين	29	%58
	أقارب	21	%42
تاريخ المرض السابق بالأيام	صفر	21	%42
	36 – 120 يوم	4	%8
	180 – 2555 يوم	25	%50
تاريخ المرض الحالي بالأيام	2 – 17 يوم	25	%50
	20 – 120 يوم	25	%50
نوع الاضطراب	حركي	18	%36
	حسي	17	%34
	نوبات	6	%12
	مختلط	9	%18

طريقة جمع البيانات وتطبيق الأدوات ميدانياً

قامت الباحثة بزيارة تلك المناطق ميدانياً، وبعد اختيار مجموعة المفحوصين المتضمنين في الدراسة بالطريقة الكلية التي تم ذكرها، قامت الباحثة ببداية جمع البيانات بمساعدة إحدى المتخصصات في علم النفس بعد أن تم لها شرح المقياس وطريقة تطبيقه.

تصحيح أدوات الدراسة

قامت الباحثة بتصحيح الإستمارات وفقاً للطريقة التي سبق ذكرها بالنسبة لكل أداة وبعد الإنتهاء من التصحيح قامت بتفريغ البيانات في جداول صماء أعدت خصيصاً لهذا الغرض ومن ثم أدخلت في جهاز الحاسوب لمعالجتها إحصائياً، وذلك عن طريق الإستعانة بمتخصص في هذا المجال.

اساليب المعالجة الإحصائية

اعتمدت الباحثة في تحليل بيانات العينة الاستطلاعية والعينة النهائية على جهاز الحاسب الآلي وذلك للأتي: تحري الدقة في النتائج. السرعة الزمنية. تقليل الجهد

وقد لجات الباحثة إلى استخدام عدة أساليب إحصائية عن طريق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Science (SPSS) الآتية : معامل ارتباط بيرسون، معامل تحليل التباين (الفاكرونباخ) لتحديد الثبات. مربع (كا)، اختيار (ت) للفرق بين متوسطي مجموعتين مستقلتين، النسبة المئوية

4. عرض النتائج

تمهيد

يتم في هذا الفصل عرض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الإجابة على اسئلة البحث وفروضه حيث أوردت الباحثة أولاً نص الفرض ثم أوضحت كيفية معاملته إحصائياً وأخيراً تم عرض النتائج في جداول والتعليق عليها.

الفرض الأول:

ينص هذا الفرض على الآتي: تنتشر درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة وسط المصابين بالإضطراب التحولي بمستويات متباينة. ولدراسة هذا الفرض استخدمت الباحثة النسبة المئوية لمستويات ابعاد سوء معاملة الطفل لأفراد عينة الدراسة، وقد أظهر هذا الإجراء الجدول التالي

جدول رقم (10) يوضح المستويات المختلفة لأبعاد سوء معاملة الطفل

لدى المصابين بالاضطراب التحولي وحدود النسبة المئوية لكل مستوى في مجتمع الدراسة

الأبعاد	مستويات الأبعاد	عدد الحالات	النسبة المئوية	حدود النسبة في المجتمع	
				الحد الأدنى	الحد الأعلى
سوء المعاملة العاطفية	(41 وما فوقها) شديد	13	0.26	0.14	0.36
	(40-35) متوسط	17	0.34	0.23	0.47

	(34-30) بسيط	16	0.32	0.20	0.44
	(29-12) قليل جداً	4	0.08	0.005	0.15
سوء المعاملة الجسدية	(18 وما فوقها) شديد	43	0.86	0.77	0.95
	(17-14) متوسط	5	0.10	0.08	0.12
	(13-12) بسيط	2	0.04	0.01-	0.09
	(11-7) قليل جداً	00	0.00	0.00	0.00
سوء المعاملة الجنسية	(22 وما فوقها) شديد	19	0.38	0.25	0.51
	(21-13) متوسط	24	0.48	0.35	0.61
	(12-9) بسيط	7	0.14	0.05	0.23
	(8-7) قليل جداً	00	0.00	0.00	0.00
الاهمال العاطفي	(61 وما فوقها) شديد	15	0.30	0.2352	0.3648
	(60-50) متوسط	31	0.62	0.4855	0.7545
	(49-39) بسيط	4	0.08	0.01	0.1551
	(16-38) قليل جداً	00	0.00	0.00	0.00

الفرض الثاني:

ينص هذا الفرض على الآتي: توجد علاقة بين نوع المصاب (ذكر/أنثى) بالاضطراب التحولي ونوع الاضطراب التحولي. وبدراسة هذا الفرض استخدمت الباحثة اختبار (كا^2) لمعرفة العلاقة بين المتغيرين، وقد أظهرت نتيجة التحليل الجدول التالي:

جدول رقم (11) يوضح قيمة اختبار (كا^2) لمعرفة العلاقة بين نوع الاضطراب التحولي ونوع المصابين به

نوع الاضطالحواسرابات	النوع		قيمة (كا2)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
	ذكر	إناث				
الحركة	3	15	1.80	3	0.613	لا توجد علاقة دالة بين المتغيرن
الحواس	6	11				
النوبات	2	4				
المختلط	3	6				

الفرض الثالث

ينص هذا الفرض على الآتي: توجد فروق في أبعاد سوء معاملة الطفل بين النوعين (ذكر، أنثى)، ولدراسة هذا الفرض استخدمت الباحثة اختبار (ت) للفرق بين متوسطي مجموعتين مستقلتين وقد أظهر هذا الإجراء الجدول التالي

جدول رقم (١٢) يوضح نتيجة اختبار (ت) لمعرفة الفروق

في سوء معاملة الطفل وسط المصابين بالإضطراب التحولى تبعاً للنوع (ذكر، أنثى)

الأبعاد	النوع	عدد الحالات	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
سوء المعاملة العاطفية	ذكر	14	41.7143	3.6040	4.401	48	0.000	توجد فروق دالة
	أنثى	36	34.7500	5.4583				
سوء المعاملة الجسدية	ذكر	14	22.8571	3.3709	2.436	48	0.017	توجد فروق دالة
	أنثى	36	20.1944	3.4544	2.490			
سوء المعاملة الجنسية	ذكر	14	23.2143	3.1666	3.477	48	0.001	توجد فروق دالة
	أنثى	36	18.000	5.2318				
الاهمال العاطفي	ذكر	14	36.1429	9.2392	2.304-	48	0.026	توجد فروق دالة
	أنثى	36	44.3611	8.3054				

الفرض الرابع

ينص ها الفرض على الأتي: يختلف نوع سوء معاملة الطفل باختلاف القائم بالرعاية في الطفولة، والدراسة هذا الفرض استخدمت الباحثة اختبار (ت) للفرق بين متوسطي مجموعتين مستقلتين، وقد أظهر هذا الإجراء الجدول التالي:

جدول رقم (13) يوضح نتيجة اختبار (ت) لمعرفة الفروق في سوء معاملة الطفل وسط

المصابين بالاضطراب التحولي تبعاً للفرد القائم برعاية المصاب في الطفولة (والدين – اقارب)

الأبعاد	النوع	عدد الحالات	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
سوء المعاملة العاطفية	الوالدين	29	35.48	5.74	1.75	0.086	لا توجد فروق دالة
	الأقارب	21	38.38	5.80			
سوء المعاملة الجسدية	الوالدين	29	18.31	5.87	1.85	0.070	لا توجد فروق دالة
	الأقارب	21	21.04				
سوء المعاملة	الوالدين	29	03..20	3.77	2.16	0.035	توجد فروق دالة

الجنسية	الأقارب	21	22.1	3.01			
الاهمال العاطفي	الوالدين	29	44.55	7.25	1.83	0.072	لا توجد فروق دالة
	الأقارب	21	39.95	10.17			

5. مناقشة النتائج

تمهيد

يتناول هذا الفصل مناقشة النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة الميدانية للفروض التي انطلقت منها الدراسية وتفسيرها، وسوف تناقش الباحثة تفسير كل فرض على حدة.

مناقشة نتيجة الفرض الأول:

تنتشر درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة وسط المصابين بالإضطراب التحولي بمستويات متباينة وتوضح النتيجة المستخلصة من الجدول رقم (10) والتي تشير إلى إنتشار درجات سوء المعاملة في الطفولة الوسطى والمتأخرة (6 - 12) سنة وسط المصابين بالإضطراب التحولي إلى تحقق الفرضية التي وضعتها الباحثة حيث أن كل أفراد العينة تعرضوا لسوء المعاملة العاطفية والجسدية والجنسية والإهمال العاطفي بمستويات متباينة.

تفسر الباحثة هذه النتيجة بالآتي: كثيراً ما يتعرض الأطفال في الطفولة الوسطى والمتأخرة (6 -12) سنة لأنواع معينة من سوء المعاملة من الوالدين أو القائمين على الرعاية ويمكن رد ذلك لعدة أسباب

أسباب نفسية متعلقة بالخصائص الشخصية القائمين على الرعاية ؛ فغالباً ما يسئ المصابون بالأمراض العقلية والنفسية كالفصام أو ذهان الهوس أطفالهم. وأكدت دراسة روسي وكولمر Ross and (Colliner) (1995) كما وردت في أحمد السيد إسماعيل (2001) أهمية معرفة تاريخ القائمين بالرعاية، حيث أثبتت بأن هذه الدراسة بأن الذين تعرضوا لسوء معاملة في الطفولة يميلون إلى إساءة معاملة أطفالهم.

مناقشة نتيجة الفرض الثاني:

توجد علاقة بين نوع المصاب (ذكر، أنثى) بالاضطراب التحولي ونوع الإضطراب التحولي. وللتحقق من هذا الفرض فإن النتيجة المستخلصة من الجدول رقم (11) والتي تقول بأنه لا توجد علاقة دالة بين نوع المصاب (ذكر، أنثى) ونوع الإضطراب التحولي وتأتي على عكس ما توقعته الفرضية كما جاءت على عكس ما ورد في الإطار النظري.

مناقشة نتيجة الفرض الثالث:

هذه النتيجة مع دراسة أحمد السيد إسماعيل (2001) التي أوضحت وجود فروق بين الذكور والإناث في متوسط درجاتهم في سوء المعاملة وتفسير الباحثة هذه النتيجة بالآتي:

أولاً: بالنسبة للبعد الخاص بسوء المعاملة العاطفية والتي أسفرت النتيجة عن فروق دالة إحصائياً لصالح الإناث، فإن الباحثة تفسر هذه النتيجة بالآتي: إن الفرق بين النوعين (ذكر، أنثى) له طابع اجتماعي تقافي .

ثانياً: بالنسبة للبعد الخاص بسوء المعاملة الجسدية والتي أسفرت النتيجة عن فروق دالة إحصائياً لصالح الإناث، فإن الباحثة تفسر هذه النتيجة بالآتي: إن الثقافة السائدة تستهدف غرس قيم القوة وتحمل الصعاب عند الذكور إذ نجد في بعض قبائل السودان وكجزء من العادات والتقاليد السائدة في هذه القبائل وفي مناسبات الزواج أن الذكور يضربون بالسياط بواسطة العروس أمام الحضور في حين تزغرد لهم النساء فرحاً وإبتهاجاً وتشجيعاً.

ثالثاً: بالنسبة للبعد الخاص بسوء المعاملة الجنسية والتي أسفرت النتيجة عن فروق دالة إحصائياً لصالح الإناث، تفسر الباحثة هذه النتيجة بالآتي:

أن الثقافة السائدة في المجتمع ذات الصلة بالمحارم والمخاوف الجنسية تنطلق من فكرة أساسية وهي أن الأنثى ستفقد شرفها نهائياً وإلى الأبد إذا فقدت عذريتها ولكن هذا المعيار الذي يحرم أية تجربة جنسية على الأنثى لا ينطبق بذات القوة والصرامة والنفاذ على الذكور.

رابعاً: بالنسبة للبعد الخاص بالإهمال العاطفي والتي أسفرت النتيجة عن فروق دالة إحصائياً لصالح الذكور، تعزو الباحثة هذه الفروق في الإهمال العاطفي إلى القمع والقهر الذي تعاني منه الأنثي منذ نعومة أظافرها، وإلى الكبت والضغوط الإنفعالية التي تواجهها.

مناقشة نتيجة الفرض الرابع:

أولاً: بالنسبة للبعدين الخاصين بالإهمال العاطفي وسوء المعاملة العاطفية، والتي أسفرت النتيجة عن عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين الإهمال العاطفي وسوء المعاملة العاطفية تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة.

ثانياً: أما ما يخص البعد الخاص بسوء المعاملة الجسدية، والتي أوضحت النتيجة عن فروق دالة إحصائياً في بعد سوء المعاملة الجسدية تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة. جاءت هذه النتيجة على عكس النتيجة التي توصلت إليها دراسة أحمد (1994) والتي أثبتت فروقاً دالة بين الوالدين والأقارب، وأن الآباء أكثر إساءة لأبنائهم من الأقارب لأطفالهم.

ثالثاً: بالنسبة للبعد الخاص بسوء المعاملة الجنسية والتي أسفرت النتيجة عن أروق دالة إحصائياً في سوء المعاملة الجنسية تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة وذلك لصالح الوالدين فهذه نتيجة منطقية وطبيعية، حيث إن الفطرة الإنسانية السوية تشمئز من غشيان المحارم كالأبناء.

6. الخاتمة والتوصيات

تمهيد

في هذا الجانب من الدراسة سوف تقوم الباحثة بعرض وتلخيص لجميع النتائج التي توصلت إليها من إجرائها لهذه الدراسة، كما يتضمن أيضاً بعض التوصيات والمقترحات التي ترى إنها تفيد في حل مشكلة الدراسة، وأيضا يتضمن هذا الفصل مقترحات لدراسات مستقبلية ترى الباحثة أنها ذات أهمية بالنسبة للجانب النظري والعملي لمشكلة الدراسة.

1.6. تلخيص نتائج الدراسة

1) تنتشر درجات سوء معاملة الطفل بأبعادها المختلفة وسط المصابين بالإضطراب التحولى بدرجات متباينة.
2) لا توجد علاقة بين نوع المصاب (ذكر، أنثى) ونوع الإضطراب التحولي.
3) توجد فروق دالة إحصائياً في كل من سوء المعاملة العاطفية والجسدية والجنسية بين الإناث والذكور لصالح الإناث، بينما وجدت فروق دالة إحصائياً في الإهمال العاطفي بين الإناث والذكور لصالح الذكور.
4) لا توجد فروق دالة إحصائياً في أبعاد سوء المعاملة العاطفية وسوء المعاملة الجسدية والإهمال العاطفي تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة، بينما وجدت فروق دالة في سوء المعاملة الجنسية تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة وذلك لصالح الوالدين.

2.6. التوصيات

1) على الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل إتباع الأساليب التربوية السليمة أثناء الاجتماعية وذلك لتجنيب الأطفال العوامل التي تمهد بظهور الاضطرابات النفسية والسلوكية.
2) يجب أن يكون الوالدان نموذجاً إيجابياً لأطفالهما كما عليهما مساعدة الأطفال على التعبير عن مشاعرهم المكبوتة لتفادي الصراع والضغوط النفسية حتى لا يلجأون إلى وسائل هروبية الأمر الذي يؤدي إلى ظهور الأعراض التحولية.
3) توعية الوالدين بمراحل النمو المختلفة وإحتياجات كل مرحلة من عمر الطفل وخصائصها ومتطلباتها مع مراعاة التسوية في المعاملة بين الذكور والإناث.

4) وضع برامج تثقيفية إرشادية للوالدين توضح أهمية الأساليب التربوية السليمة التي يجب أن تمارس تجاه الأطفال ويمكن عرض هذه البرامج من خلال مؤسسات الإعلام وأجهزة التوجيه المختلفة.
5) وضع إستراتيجية شاملة تتعلق بإعداد برامج توعية للأسرة والمجتمع عبر وسائل التنشئة الاجتماعية المختلفة (الأسرة، المدرسة، دور العبادة، وسائل الإعلام المختلفة) لتوضيح النتائج والآثار السالبة المترتبة على سوء معاملة الطفل.
6) إجراء مزيد من الدراسات حول موضوع سوء معاملة الطفل بأبعاده المختلفة في السودان حتى نتمكن من تحديد حجم هذه المشكلة ومعرفة معدل إنتشارها.

3.6. الدراسات والبحوث المقترحة :

تقترح الباحثة الموضوعات التالية كدراسات مستقبلية في نفس المجال:

1) إجراء دراسة عن السمات الشخصية للفرد الذي يسئ معاملة الأطفال تبعاً للقائم بالرعاية في الطفولة.
2) دراسة العلاقة بين نوع المصاب (ذكر، أنثى) ونوع الاضطراب التحولي.
3) دراسة أثر التفكك الأسري وعلاقته بسوء معاملة الطفل.
4) معرفة العلاقة بين استعمال المخدرات والكحول وبين سوء معاملة الطفل.
5) معرفة الفروق بين الوالدين (أب، أم) من حيث طريقة كل منهما في أبعاد سوء معاملة.

7. المصادر والمراجع

المراجع العربية

1) القرآن الكريم.
2) صالح، أحمد (1992). علم النفس التربوي، (ط 2)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
3) عكاشة، أحمد (1986). الطب النفسي المعاصر (ط 5)، القاهرة: الأنجلو المصرية.
4) عكاشة، أحمد (1997). الطب النفسي المعاصر، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، دار اللواء للطباعة.
5) بيك، أرون (2000). العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، القاهرة، دار الآفاق العربية.
6) ميخائيل، أسعد (1990). الإحصاء النفسي وقياس القدرات الإنسانية، بيروت: دار الآفاق الجديد.
7) رحمة، أنطوان (1992). أثر معاملة الوالدين في تكوين الشخصية، مطبعة الحياة – بيروت.
8) أقلاديوس، أنيس (1989). السينما والمسرح وأمراض النفس، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

9) زهران، حامد (1978). علم نفس الطفولة والمراهقة، القاهرة: عالم الكتب.
10) زهران، حامد (1980).علم نفس النمو، (ط 1)، القاهرة: دار المعارف.
11) زهران، حامد (1997).الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ط 3)، القاهرة: عالم الكتاب.
12) قميحة وأخرون (1993). الطب النفسي، (ط 1) دمشق: دار النابغة للدراسات والتحقيق والنشر.
13) أيوب، حسن. السلوك الاجتماعي في الإسلام، (د.ت)
14) عبد المعطي، حسن (1998). علم النفس الإكلينيكي، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
15) فرحات، حسين (1995). قراءات في أساليب البحث العلمي، عمان: مكتبة الفلاح.
16) أبو علام، رجاء (1998). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، (ط 1)، القاهرة: دار النشر للجامعات.
17) الدمنهوري، رشاد (1995). التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، القاهرة : دار المعرفة الجامعية.
18) الخطيب، رناد (1977). تربية طفل الروضة، نشأة وتطور تاريخي، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
19) جلال، سعد (1994). المرجع في علم النفس، القاهرة : دار المعارف.
20) عبد الرحمن، سعد (1983). القياس النفسي، (ط 1)، الكويت : مكتبة فلاح.

المراجع المترجمة

1) مايبرز، آن (1990). علم النفس التجريبي، ترجمة خليل إبراهيم، بغداد : مطابع التعليم العالي.
2) سوين، ريتشارد (1988). علم الأمراض النفسية والعقلية (ط ٢)، ترجمة : أحمد عبد العزيز سلامة القاهرة : دار النهضة العربية.
3) شايفر شارس و هورالد هلمان (1996). مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة عليها ترجمة نسيمة داؤود ونزيه حمدي، عمان : مطبعة الجامعة الأردنية.
4) فلسفي، محمد (1983). الطفل بين الوراثة والتربية، ترجمة فاضل حسين الميلاني، بيروت : دار التعارف للمطبوعات.
5) كونجر وآخرون (1986). أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، (ط 1)، الكويت.

الرسائل الجامعية

1) طه، أيمن (1999). المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بتوافقهم الذاتي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الخرطوم.
2) مصطفى، إيمان (2001). أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتفوق الدراسي لطلاب المرحلة الثانوية بولاية الخرطوم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الخرطوم.

3) علي، عبد الرحمن (1993).الاتجاهات الوالدية وأثرها على التحصيل الدراسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية بولاية الخرطوم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية التربية.

4) جوانة، فائتة (1992). أساليب المعاملة الوالدية و علاقتها ببعض سمات الشخصية للفتاة الجامعية السعودية، رسالة دكتوراه منشورة - كلية التربية الرياض.

5) حسن، محاسن (1999). أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء و علاقتها بجناح الأحداث بولاية الخرطوم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم - كلية الآداب.

1) في كل من الريف والحضر(1995)، دراسات وبحوث في علم النفس، دار الفكر العربي.

المراجع باللغة الإنجليزية

1) American psychiatric diagnostic statistical manual for mental disorders (DSM.IV). Washington (1994).

2) Ammerman, R.T. and Herson, M (1990). Research in child abuse and neglect, An Evaluation of factors contributing to child abuse neglect.

3) Angus G, and wood Ward, S (1995). child abuse and neglect, Australia, child welfare series No.13. Australian Institute of health and welfare, AOPS, Conberra.

4) Baar - Debarah.E (1979). Interaction patterns in families of normal and aggressive adolescent males. Paper presented at the Annual convention of the American psychological Association (87th, New Yourk, NY.

5) Block S (1992). Assessment of patients for psychotherapy. Brit, J psychiatry.

6) Brassard MR, Hart SN, hardy, DB (1999). the psychological maltreatment rating scales, child abuse Neglect.

7) Carbino J, Guttmann E, seeley JW (1996). The psychologically Battered child, san Francisco, Jossey. Bass.

8) Clark - Stewart. A. and Fiedman (Susan) (1998). child development : Infancy through Adolescence John Wiley and sons, New Yourk.

9) Claussen AH, crittenden PM (1995). physical and psychological maltreatment, relations among Types of maltreatment, child abuse Negl.

10) Corby, B (1998). child abuse to words aknoweldge Base, open university press, buckingham.

11) Daro, D (1998). American Academy of child and adolescent psychiatry, child sexual abuse.
12) Eron Freed Learned, D and other (1979). How learning conditions in Early child hood, paper presented at the Annivers meeting of the American psychiatry Association (50 th, New Yourk N. Y may.
13) Ferguson KS, Dacey CM (1997). Anxiety, depression, and dissociation in child health care, providers reporting ahistory of child hood psychological abuse, child abuse negl.
14) Fin Kelhor (1996). D A source Book of child sexual abuse, sage publications, New Yourk.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.1

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

مالية منظمات المجتمع المدني (سؤال النجاعة والفعالية)

The finances of Civil Society Organizations (Question of Efficiency and Effectiveness)

الدكتورة/ جميلة دليمي

أستاذة مؤهلة، شعبة القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية - سلا، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية

E-mail: j_dalimi@yahoo.fr

ملخص الدراسة:

منذ تسعينيات القرن الماضي سُجل ارتفاع هام في عدد الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، وتطور في أدائها وقدراتها، وتنوع في أدوارها، وتعدد في مجالات تأثيرها. وبات من الصعب تجاهل مكانة منظمات المجتمع المدني باعتبارها فاعل وشريك أساسي في قضايا الشأن العام من خلال الأدوار التي أصبحت تضطلع بها للمساهمة في إعداد وتفعيل وتقييم السياسات العمومية.

امتد الاهتمام بمنظمات المجتمع المدني وانتشر على المستوى المحلي والاقليمي والدولي. ويعزى ذلك لتطور الرؤى فيما يتعلق بهذا الفاعل، الذي أصبح وجوده مطلباً أساسياً لتحقيق الرفاه والتنمية ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ليس خاف على أحد مكانة العمل المدني في عصرنا، كونه يكرس الممارسات الديمقراطية، ويشجع مشاركة المواطنين، ويخلق مناخاً يقوي مسألة ربط المسؤولية بالمحاسبة، ويعزز لمساءلة أكبر للحكومة سواء داخليا أو خارجيا، حيث استطاعت منظمات المجتمع المدني إيصال صوتها على الساحة الدولية في كثير من المؤتمرات الدولية.

يقتضي نضج أدوار منظمات المجتمع المدني، توفرها على الموارد المالية حتى يتسنى لها الاضطلاع وتحقيق سياسة القرب، الرامية إلى محاربة الفقر وتحسين ظروف عيش المواطنين في وضعية هشة أو صعبة، وتشجيع الأنشطة المدرة للدخل، وتطوير البنيات التحتية والخدمات الاجتماعية الأساسية، وكذا إسهامها في تطوير البيئة القانونية الداعمة للنهوض بالأدوار المنوطة بها، ولصد والحد من انتهاكات حقوق المنظمات، ولامتلاك بيئة قانونية قوية، وضامنة لحقوقها العالمية والدستورية.

تعاني معظم منظمات المجتمع المدني من إشكالية التمويل حيث يسجل نقص في الموارد المالية المتاحة لهذه المنظمات الأمر الذي يحد من إمكانياتها ويجعلها غير قادرة على القيام بالدور المناط بها.

لا يمكننا الحديث عن نجاعة وفعالية أدوار منظمات المجتمع المدني، ومدى إسهامها في تجويد السياسات العمومية دون موارد مالية لتغطية تكاليف قيامها بأدوارها ووظائفها.

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على موقع مالية منظمات المجتمع المدني في التشريع المغربي ومقارنته ببعض التشريعات العربية. للتعرف على طبيعة ومصدر التمويل المالي لهذه المنظمات، ومدى قدرته وإسهامه للقيام بأدوارها.

الكلمات المفتاحية: منظمات المجتمع المدني، السياسات العمومية، التمويل الذاتي، النجاعة والفعالية، التمويل الأجنبي، صفة المنفعة العامة، الإحسان العمومي.

The finances of Civil Society Organizations (Question of Efficiency and Effectiveness)

Dr. Jamila Dalimi

Professor at Mohamed V University Rabat, Faculty of Legal, Economic and Social Sciences – Salé, Morocco

E-mail: j_dalimi@yahoo.fr

Abstract:

Since the nineties of the last century, there has been a significant increase in the number of associations and civil society organizations, whose performances and capacities have developed, roles have been diversified, and fields of influence have multiplied. It has become hard to ignore the status of civil society organizations since they are considered as a key actor and partner in the public affairs through their roles in the contribution to the preparation, activation and evaluation of public policies.

The interest in civil society organizations extended and spread at the local, regional and international levels. This is due to the development of visions regarding this actor, whose presence has become an essential requirement for achieving wealth and development at economic, social, political and cultural levels.

The status of civil work, in our era, is obvious as it perpetuates democratic practices, encourages citizen participation, creates an atmosphere that strengthens linking responsibility to accountability, and promotes greater accountability of the government, whether internally or externally, as civil society organizations have been able to convey their voice on the international scene in many international conferences.

The maturity of the roles of civil society organizations requires the availability of financial resources that enables them to carry out and achieve a policy of proximity, which aims to combat poverty, improve the living conditions of citizens in precarious situation, encourage income-generating activities, develop infrastructure and basic social services, as well as contribute to the development of the legal environment that supports the advancement of their roles, and to prevent and limit violations of the rights of organizations, and to have a strong legal environment that guarantees their universal and constitutional rights...

Most civil society organizations suffer from a funding problem, as there is a shortage of financial resources available to them, which limits their capabilities and makes them unable to perform their roles.

We cannot talk about the efficiency and effectiveness of the roles of civil society organizations, and the extent of their contribution to the improvement of public policies without financial resources that cover the costs of carrying out their roles and functions.

This paper seeks to shed light on the position of civil society organizations' finances in Moroccan legislation, and compare it with other Arab legislations in order to know more the nature and source of financial funding of these organizations, and the extent of its contribution to enable these organizations carry out their roles.

Keywords: Civil society organizations, public policies, self-financing, efficiency and effectiveness, foreign funding, character of the public benefit, public charity.

مقدمة

ترك جان بودان عبارة منقوشة في الفكر المالي الكلاسيكي **"المالية هي عصب الجمهورية "**[1]. وفي الأدب السلطاني ارتبط المال بالجند والجند بالمال واعتبر من مقومات الملك. أشار معظم الأدباء إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع الطرفين، بتأكيدهم على ضرورة تفقد الملك لجنده وإكـرامـه لهم، وتخصيص أرزاق وجرايات يعيشون بها زمن السلم"[2]. فارتباط أدوات المالية العمومية بشكل وثيق بتنفيذ السياسات العمومية ليس حديث العهد بل تم التوصل إليه منذ العصور القديمة. فهل يمكننا افتراض علاقة بين مالية منظمات المجتمع المدني المغربي وصناعة السياسات العمومية؟ فما مسار هذه العلاقة؟ وهل أدوات مالية منظمات المجتمع المغربي قادرة على التأثير في صنع السياسات العمومية؟

شكل تاريخ 15 نونبر 1958 منعطفا مهما في تاريخ المغرب الحديث، حيث تم إصدار ثلاثة نصوص قانونية تنظم ممارسة الحريات العامة المتعلقة بالصحافة والنشر. والتجمعات العمومية، وتأسيس الجمعيات، ليتم بعد ذلك تكريس هذه الحقوق والتنصيص عليها في أول وثيقة دستورية عرفها المغرب منذ سنة 1962. انخرط المغرب منذ الاستقلال في تكريس الحق في تأسيس الجمعيات والانضمام إليها، وتنظيم شروط وكيفيات ممارسة هذا الحق.

أولى الملك محمد السادس منذ اعتلائه العرش سنة 1999، اهتماما خاصا للمجتمع المدني الذي أضحى فاعلا أساسيا في تحقيق التضامن الاجتماعي، حيث أشار في خطابه يوم 30 يوليوز 2000 إلى ضرورة تفعيل دور المجتمع المدني وإعادة الاعتبار للتضامن الاجتماعي والمجالي. كما أكد جلالته في الرسالة الملكية الموجهة للمشاركين في الأيام الدراسية حول التدبير الجمعوي يوم 14 فبراير 2002 على كون الجمعيات ثروة وطنية هائلة وقوة اقتراحية فاعلة لتحقيق التقدم والتحديث ومدرسة نموذجية للديمقراطية والتضامن. كما شكلت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أعلن عنها الملك يوم 18 مايو 2005، ورشا تنمويا واقتصاديا واجتماعيا ضخما، يهدف إلى تقليص الفقر والهشاشة والاقصاء الاجتماعي، وخطابا مؤسسا لمنظور جديد لدور المجتمع المدني، باعتباره فاعل محوري في تحقيق تنمية مستدامة، كما جعلت من الجمعيات المجتمع المدني شريكا في بناء التنمية على المستوى المحلي[3].

نص الدستور المغربي لسنة 2011 على الديمقراطية التشاركية باعتبارها آلية مكملة للديمقراطية التمثيلية. إذ مكن الدستور جمعيات المجتمع المدني من أدوار جديدة، جعلته يتبوؤ مكانة متميزة باعتبارها رافعة للتنمية المجتمعية، حيث نص الفصل 12 من الدستور على أنه "***من حق الجمعيات المهتمة بالشأن العام والمنظمات غير الوزارية في إطار الديمقراطية التشاركية المساهمة في إعداد قرارات ومشاريع لدى المؤسسات المنتخبة والسلطات العمومية وكذا في تفعيلها وتقييمها***". على هذا الأساس، اكتسبت الديمقراطية التشاركية قيمة دستورية، أضحت حقا مكتسبا يقوم على الإشراك الفعلي لكل مكونات المجتمع في تدبير الشأن العام، كشكل من أشكال التعبير الديمقراطي المتطور،

[1] - السيد عطية عبد الواحد. *دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية والتوزيع العادل للدخول: التنمية الاجتماعية وضبط التضخم*. دار النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الأولى. 1993. ص 144.
[2] - عز الدين العلام. السلطة والسياسة في الأدب السلطاني. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. 1991. ص 133.
[3] - التقرير السنوي الأول للشراكة بين الدولة والجمعيات برسم سنة2015.

والوساطة المجتمعية للفاعل المدني في إعداد السياسات العمومية وتتبعها وتقييمها، وكذا قيمة مضافة تغني النقاش العمومي وتساعد في تطور هذه السياسات وتوفر شروط تقبلها وجدواها.

إن جمعيات المجتمع المدني مدعوة إلى تحمل مسؤوليات كبرى في تفعيل الديمقراطية التشاركية، ويمر تحقيق هذا الهدف عبر تعبئة مواردها المالية. فهل مكن ارتقاء المغرب نحو ديمقراطية تشاركية إلى تزويد منظمات المجتمع المدني بمالية ناجعة وفعالة تدعمها في صنع السياسات العمومية؟

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تبسيط الإطار القانوني المنظم لمالية منظمات المجتمع المدني؛
- التعرف على بنية مصادر تمويل منظمات المجتمع المدني؛
- إبراز مجهودات صناع القرار في تعزيز موارد منظمات المجتمع المدني لتمكنها من الاضطلاع بأدوارها في تعزيز الديمقراطية التشاركية وتكريس خدمات القرب لرفاه المواطن وضمان عيشه الكريم؛
- تحديد الأدوار والمسؤوليات للمؤسسات المعنية في مراقبة التمويل العمومي المخصص لمنظمات المجتمع المدني.

نعرف مالية منظمات المجتمع المدني خلال هذه الدراسة، بالأفعال التي تقوم بها المنظمات، سعيا للحصول على موارد لتمويل نفقات تسييرها وتغطية تكاليف أنشطتها، وتحدد وتنظم وفقا للتشريعات المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني. هناك مبدأ عام يؤطر مالية المنظمات، يسمى بحظر النفع الخاص. يكرس هذا المبدأ مجموعة من القواعد والضوابط التي تتوخى عدم توزيع الأرباح فيما بين أعضاء المنظمة، فيسري تطبيقه خلال فترة قيام المنظمة بأنشطتها القانونية أو عند حلها أو تصفيتها، ويشكل الخاصية الوحيدة التي تميز منظمات المجتمع المدني عن غيرها من الكيانات القانونية الأخرى. ضمنت معظم التشريعات[4] المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني في العالم العربي في نصوصها بنودا تلزم باحترام هذا المبدأ.

[4]- ندرج أمثلة للمقتضيات المتعلقة بحظر النفع الخاص. كما يلي:

المادة 31 من القانون الجزائري " ... يعتبر استعمال موارد الجمعية وأملاكها لأغراض شخصية أو أخرى غير تلك المنصوص عليها في قانونها الأساسي، تعسفا في استغلال الأملاك الجماعية ويعاقب عليه، بهذه الصفة، طبقا للتشريع المعمول به."

المادة 5 من القانون الليبي "يحظر على الجمعية القيام بما يلي: .... ممارسة الأعمال التجارية بغرض توزيع الأموال والأرباح على أعضائها أو استغلال الجمعية بغرض التهرب الضريبي".

المادة 8 من القانون العراقي "يحظر على المنظمة غير الحكومية ما يأتي: ... ممارسة الأعمال التجارية لغرض توزيع الأموال على أعضائها للمنفعة الشخصية أو استغلال المنظمة لغرض التهرب من دفع الضرائب...".

الفصل 1 من القانون المغربي "الجمعية هي اتفاق لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم او نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم".

ليس خاف على أحد مكانة العمل المدني في عصرنا، كونه يكرس الممارسات الديمقراطية، ويشجع مشاركة المواطنين، ويخلق مناخاً يقوي مسألة ربط المسؤولية بالمحاسبة، ويعزز لمساءلة أكبر للحكومة سواء داخليا أو خارجيا، حيث استطاعت منظمات المجتمع المدني إيصال صوتها على الساحة الدولية في كثير من المؤتمرات الدولية.

يقتضي نضج أدوار منظمات المجتمع المدني، توفرها على الموارد المالية حتى يتسنى لها الاضطلاع وتحقيق سياسة القرب، الرامية إلى محاربة الفقر وتحسين ظروف عيش المواطنين في وضعية هشة أو صعبة، وتشجيع الأنشطة المدرة للدخل، وتطوير البنيات التحتية والخدمات الاجتماعية الأساسية، وكذا إسهامها في تطوير البيئة القانونية الداعمة للنهوض بالأدوار المنوطة بها، ولصد والحد من انتهاكات حقوق المنظمات، ولامتلاك بيئة قانونية قوية، وضامنة لحقوقها العالمية والدستورية.

تعاني معظم منظمات المجتمع المدني من إشكالية التمويل حيث يسجل نقص في الموارد المالية المتاحة لهذه المنظمات الأمر الذي يحد من إمكانياتها ويجعلها غير قادرة على القيام بالدور المناط بها.

لا يمكننا الحديث عن نجاعة وفعالية أدوار منظمات المجتمع المدني، ومدى إسهامها في تجويد السياسات العمومية دون موارد مالية لتغطية تكاليف قيامها بأدوارها ووظائفها.

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موقع مالية منظمات المجتمع المدني في التشريع المغربي ومقارنته ببعض التشريعات العربية. للتعرف على طبيعة ومصدر التمويل المالي لهذه المنظمات، ومدى قدرته وإسهامه للقيام بأدوارها، ودور المؤسسات الدستورية في مراقبة التمويل العمومي الموجه إلى منظمات المجتمع المدني.

المحور الأول: التمويل الذاتي

تعتمد المنظمة على تمويلها الذاتي بتحصيل مبالغ الانخراط والاشتراكات، وتوظيف العوائد المترتبة عن مزاولتها للأنشطة التجارية والاقتصادية.

أولا- مبالغ الانخراط والاشتراكات، هي مبالغ مالية يحدد قدرها بمقتضى الأنظمة الداخلية للمنظمات، وتؤدى وجوبا من قبل أعضائها بصفة دورية. سمحت جل التشريعات[5] للمنظمات بفرض واجبات الانخراط والاشتراكات على أعضائها بهدف الحصول على موارد مالية لتغطية مصاريف تسييرها، وتكاليف أنشطتها.

المادة 2 من القانون الفلسطيني "لكل فلسطيني الحق في المشاركة في تأسيس وإدارة الجمعيات والانتساب إليها والانسحاب منها بحرية، وذلك من أجل تحقيق هدف أو أهداف لا ينبغي منها اقتسام الربح".

[5]- نذكر المقتضيات كالآتي:

المادة 29 من القانون الجزائري: "تتكون موارد الجمعيات وأملاكها مما يأتي: ...اشتراكات أعضاءها؛"

المادة 10 من القانون الليبي " تمول الجمعية ذاتيا من إشتراكات أعضائها، ..."

الفصل6 من القانون المغربي " واجبات انخراط أعضائها؛ واجبات اشتراك أعضائها السنوي".

ثانيا- عوائد الأنشطة التجارية والاقتصادية ، هي مبالغ مالية تُحَقَقُ نتيجة مزاولة المنظمات للأنشطة المدرة للدخل والمحققة للربح. وتفاوتت التشريعات العربية في منح المنظمات الحق في مزاولة هذه الأنشطة، والتي يمكن تصنيفها حسب ما يلي:

- تشريعات منحت مزاولة هذا الحق دون قيد، ونجد كل من التشريع الليبي[6] والفلسطيني[7] والمصري[8] والعماني[9]؛
- وأخرى فرضت شروطا على ممارسة المنظمة نشاطا يحقق لها دخلا أو يدر عليها ربحا، ونذكر تشريع كل من قطر[10] واليمن[11].

المحور الثالث: التمويل المحلي

تسمح معظم النصوص القانونية للمنظمات بالاستفادة واللجوء إلى التمويل الحكومي والممنوح من لدن الخواص، باعتبارهما مكونين أساسين للتمويل المحلي.

المادة 50 من القانون الفلسطيني: "للجمعيات الحق في تنمية مواردها المالية من خلال: رسوم وتبرعات الأعضاء؛ ...".

المادة 39 من القانون اليمني: " تتكون إيرادات الجمعية أو المؤسسة من التالي: ... رسوم واشتراكات ومساهمات الأعضاء".

المادة 37 من القانون العماني " تتكون الموارد المالية للجمعية من: ... اشتراكات الأعضاء".

[6]- المادة 10 من القانون الليبي "كما يجوز أن يكون للجمعية عوائد من ممتلكاتها أو مشاريعها أو نشاطاتها".

[7]- المادة 50 من القانون الفلسطيني: "القيام بنشاطات ربحية من شأنها أن تحقق لها دخلا وتدر عليها ربحا شرط ألا توزع هذه الأرباح على الأعضاء".

[8]- حسب القانون المصري نجد:

المادة 11 "استهداف تحقيق ربح أو ممارسة نشاط ينصرف إلى ذلك، ولا يعد إتباع الضوابط التجارية لتحقيق ناتج يساهم في تحقيق أغراض الجمعية نشاطا مخالفا".

المادة 18 " يجوز للجمعية، في سبيل تحقيق أغراضها ودعم مواردها المالية. أن تقيم المشروعات الخدمية والإنتاجية والحفلات والأسواق الخيرية والمعارض والمباريات الرياضية."

[9]- المادة 37 من القانون العماني " تتكون الموارد المالية للجمعية من: ... إيرادات الأنشطة".

[10]- المادة 27 من القانون القطري "يجوز للجمعية بعد موافقة الوزارة وبما لا يتعارض مع أغراضها استثمار الفائض من أموالها داخل الدولة بما يساعدها على تمويل أنشطتها".

[11]- المادة 39 من القانون اليمني " تتكون إيرادات الجمعية أو المؤسسة من التالي: ...ثالثا: العائدات المكتسبة من موجودات الجمعية أو المؤسسة أو من نشاطاتها الاقتصادية. قد تدخل الجمعيات أو المؤسسات في نشاطات اقتصادية وتجارية يسمح بها القانون في الحالات التالية:

- أولا: إذا كان الهدف هو تحقيق ربح يتماشى مع أهداف وغايات الجمعية أو المؤسسة؛
- ثانيا: ما لم يكن هناك توزيع مباشر أو غير مباشر للأرباح المحققة من هذه النشاطات الاقتصادية سواء كان التوزيع للمؤسسين أو الأعضاء أو كبار المسؤولين أو أعضاء مجلس الإدارة أو الموظفين أو مقدمي المساعدات والإعانات المالية؛
- ثالثا: ما لم تشكل هذه النشاطات أية مضاربة أو خطورة مالية غير مضمونة للجمعية أو المؤسسة".

أولا- التمويل الحكومي

تتنوع الموارد المالية التي تمنحها الحكومات إلى موارد مالية مباشرة (امتيازات النفع العام، والإعانات)، وموارد مالية غير مباشرة (الإعفاءات الضريبية).

أ- صفة المنفعة العامة

المنفعة العامة هي صفة تُخَوِلُ للمنظمة الحصول على منافع وامتيازات حكومية، وتكتسب بناء على طلب يوجه إلى السلطات الإدارية المختصة من قبل المنظمة المتوفرة على كافة الشروط القانونية.

تجيز القوانين العربية للمنظمات طلب صفة المنفعة العامة، وتذهب في اتجاه عام يربط الاعتراف بهذه الصفة على توفر المنظمة المعنية على شروط متعددة ومتنوعة حسب كل تشريع[12]، ويظل شرط إقرار المنظمة ممارستها لهدف له طابع المصلحة العامة موحدا ضمن كافة التشريعات.

أتاح القانون المغربي إمكانية اكتساب صفة المنفعة العامة، التي تخول للجمعيات من امتيازات في علاقتها بالقطاع الخاص مثل الاستفادة من الامتيازات الضريبية والجمركية، واستغلال القاعات العمومية لتنظيم أنشطتها.

تمنح صفة المنفعة العامة بموجب القانون المغربي بواسطة مرسوم لفائدة الجمعيات التي طلبتها، وتخول لها عددا من الامتيازات والحقوق زيادة عما تتمتع به باقي الجمعيات، حيث يمكن للجمعية المعترف لها بصفة المنفعة العامة أن تقوم مرة كل سنة بالتماس الاحسان العمومي دون إذن مسبق. شريطة تقديم تصريح إلى الأمانة العامة للحكومة خمس عشرة يوما قبل موعد التظاهرة. كما يجوز لها أن تمتلك ضمن الحدود المبين لها في مرسوم الاعتراف بصفة المنفعة العامة

---

[12]- ندرج بعض هذه الشروط حسب التشريعات التالية:
المادة 12 من القانون العراقي: " يشترط في المنظمة غير الحكومية التي تسعى للحصول على صفة النفع العام ما يأتي:

أولا: أن يتضمن نظامها الداخلي أهدافا وبرامج تحقق مصلحة عامة وواضحة؛

ثانيا: أن تتسم بوحدة وانسجام الأهداف مع البرامج التي تنفذها المنظمة واستمراريتها؛

ثالثا: أن تقدم تأييد من الجهة القطاعية الحكومية ذات العلاقة يؤكد أن المنظمة تنفذ برامجها وفقا للقانون؛

رابعا: وجود الأبنية اللازمة لإدارة المرفق المخصص للمنفعة العامة وعنوان واضح لمحل إقامة المنظمة؛

خامسا: أن يكون قد مضى على ممارسة نشاطها ثلاث سنوات فعلية دون انقطاع بعد تسجيلها وفقا للقانون وأن يرتبط نشاطها بالمنفعة العامة التي تهدف لها؛

سادسا: أن يكون سجل المنظمة خاليا من المخالفات والتجاوزات؛

سابعا: أن يكون القائمون على هذه المنظمة من الكفاءات ومن ذوي الخبرة لإدارة المنظمة وفقا لأغراضها."
المادة 49 من القانون المصري "كل جمعية تهدف إلى تحقيق مصلحة عامة عند تأسيسها أو بعد تأسيسها يجوز إضفاء صفة النفع العام عليها بقرار من رئيس الجمهورية، وذلك بناء على طلب الجمعية أو بناء على طلب الجهة الإدارية أو الاتحاد العام للجمعيات والمؤسسات الأهلية وموافقة الجمعية في الحالتين. ويكون إلغاء صفة النفع العام بقرار من رئيس الجمهورية"

الأموال والمنقولات أو العقارات الازمة لهدفها أو لإقامة المشروع الذي ترمي إلى إنجازه. وقد بلغ مجموع الجمعيات المعترف لها بصفة المنفعة العامة 217 جمعية[13].

تستفيد المنظمة المعترف لها بصفة المنفعة العامة بموجب القانون من دعم ومنافع وامتيازات حكومية، حددت بدقة ووضوح ضمن بعض التشريعات[14]، في حين أحالت أخرى تعدادها إلى نصوص تنظيمية[15].

ب- الإعفاءات الضريبية

الإعفاء هو إجراء تشريعي ضريبي، يمنح في شكل إعانة تعود إلى ترك مورد ضريبي بشكل مقصود بنية التحفيز والتشجيع على تحقيق هدف معين ذي طبيعة اقتصادية واجتماعية[16]، وهو إما دائم أو مؤقت، كلي أو جزئي. وتعتبر الإعفاءات الضريبية الممنوحة لمنظمات المجتمع المدني دعما ماليا عموميا غير مباشر، باعتبارها تضحية بأموال عمومية[17] كان من المفروض أن تجبى لفائـدة خزينـة الدولة.

تظل مسألة توظيف الأداة الضريبية لتشجيع العمل الجمعوي في العالم العربي محدودة، وبروزها في النصوص التشريعية باهتا ومحتشما، إضافة إلى اقتصارها على تضمين الامتيازات الضريبية لفائدة المنظمات في علاقتها مع الدول، دون الانتباه إلى فرض امتيازات ضريبية لصالح المنظمات باعتبارها متبرع.

---

[13] - التقرير السنوي الأول للشراكة بين الدولة والجمعيات برسم سنة2015.

[14]- من بين هذه التشريعات نجد:

- القانون الجزائري وفقا للمادة 34 "يمكن جمعية معنية تعترف لها السلطة العمومية أن نشاطها ذو صالح عام و/أو منفعة عمومية أن تستفيد من إعانات ومساعدات مادية من الدولة أو الولاية أو البلدية وكل مساهمة أخرى سواء كانت مقيدة أو غير مقيدة بشروط.

وإذا كانت الإعانات والمساعدات والمساهمات الممنوحة مقيدة بشروط، فإن منحها يتوقف على التزام الجمعية المستفيدة بدفتر شروط يحدد برامج النشاط وكيفيات مراقبته طبقا للتشريع المعمول به. تحدد شروط وكيفيات الاعتراف بالصالح العام أو المنفعة العمومية عن طريق التنظيم."

- القانون المغربي بمقتضى الفصل 10 "يسوغ لكل جمعية معترف لها بصفة المنفعة أن تمتلك ضمن الحدود المبينة في مرسوم الاعتراف بصفة المنفعة العامة الأموال والمنقولات أو العقارات اللازمة لهدفها أو للمشروع الذي ترمي إلى بلوغه"

[15]- ونوردها كما يلي:

المادة 50 من القانون المصري: "تحدد بقرار من رئيس الجمهورية امتيازات السلطة العامة التي تتمتع بها الجمعيات التي تضفي عليها صفة النفع العام، وعلى وجه الخصوص عدم جواز الحجز على أموالها كلها أو بعضها، وعدم جواز اكتساب تلك الأموال بالتقادم، وإمكانية نزع الملكية للمنفعة العامة لصالحها تحقيقا للأغراض التي تقوم عليها الجمعية."

المادة 52 من القانون العماني: "يصدر قرار من مجلس الوزراء بتحديد ما تتمتع به الجمعيات ذات النفع العام من امتيازات السلطة العامة."

[16]-Stanley (S.S). Rapport au congrès sur : les dépenses fiscales et réformes fiscales et budgétaires dans les P V D. 1976. P 66.

[17]- كما يصطلح عليها بالنفقات الجبائية.

انحصر تناول مسألة الإعفاءات الضريبية ضمن تشريع كل من: قطر، وفلسطين، ومصر، واليمن، في حين لم تتم معالجتها ضمن باقي التشريعات. وضمن الأربعة نصوص التي تضمنت إعفاءات ضريبية لمنظمات المجتمع المدني في العالم العربي، نجد من بينها نصا "أجاز" إعفاء المنظمات من أداء الضرائب والرسوم ولم "يلزم" السلطات بإقرار هذا الإعفاء، ونقصد بذلك المشرع القطري[18]، أما باقي التشريعات فنجد بعضها تطرق إلى إقرار الإعفاءات الضريبية بتفاصيل دقيقة[19]،

[18]- المادة 30 من القانون القطري " لمجلس الوزراء بناء على اقتراح الوزير منح الجمعية إعانة مالية أو قرضا كما يجوز إعفاؤها من أي ضرائب أو رسوم وذلك لمعونتها على تحقيق أغراضها"

[19]- نذكرها كما يلي:
المادة 13 من القانون المصري " مع عدم الإخلال بأية مزايا منصوص عليها في قانون آخر، تتمتع الجمعيات الخاضعة لأحكام هذا القانون بالمزايا الآتية:

أ- الإعفاء من رسوم التسجيل والقيد التي يقع عبء أدائها على الجمعية في جميع أنواع العقود التي تكون طرفا فيها كعقود الملكية أو الرهن أو الحقوق العينية الأخرى، كذلك من رسوم التصديق على التوقيعات؛

ب- الإعفاء من ضرائب ورسوم الدمغة المفروضة حاليا والتي تفرض مستقبلا على جميع العقود التوكيلات والمحررات والأوراق المطبوعة والسجلات وغيرها؛

ج- الإعفاء من الضرائب الجمركية والرسوم الأخرى المفروضة على ما تستورده من عدد والآلات وأجهزة وأدوات ولوازم إنتاج وكذا على ما تتلقاه من هدايا وهبات ومعونات من الخارج، وذلك بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الشؤون الاجتماعية وعرض وزير المالية، ويشترط أن تكون هذه الأشياء لازمة لنشاطها الأساسي. ويحظر التصرف في الأشياء المعمرة منها التي تحدد بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المالية، وذلك قبل مرور خمس سنوات ما لم تدفع عنها الضرائب والرسوم الجمركية المستحقة.

د- إعفاء العقارات المبنية المملوكة للجمعية من جميع الضرائب العقارية؛

ه- تمنح تخفيضا مقداره 25% من أجور نقل المعدات والآلات على السكك الحديدية؛

و- سريان تعريفة الاشتراكات والمكالمات التليفونية الخاصة المقررة للمنازل، ويصدر بتحديد الجمعيات التي تسري عليها هذه التعريفة قرار من الجهة الإدارية؛

ي- تمنح تخفيضا مقداره 50% من استهلاك المياه والكهرباء والغاز الطبيعي التي يقوم بإنتاجها الهيئات العامة وشركات القطاع العام وأية جهة حكومية؛

ح- اعتبار التبرعات التي تقدم للجمعيات تكليفا على دخل المتبرع بما لا يزيد على 10%منه."

المادة 40 من القانون اليمني "تتمتع الجمعيات والمؤسسات التي تخضع لهذه الشروط بالميزات التالية:

- تعفى من جميع أشكال الضرائب المترتبة على العائدات التي تحققها والمترتبة على مصادر دخلها؛
- تعفى من الضرائب الجمركية والرسوم المترتبة على استراد السلع والمعدات والأدوات وقطع الغيار والمواد الخام الأساسية، سواء كانت مصنعة أو غير مصنعة، لضرورية لتحقيق أهداف الجمعية أو المؤسسة؛
- تعفى من الرسوم الجمركية على الهبات والمنح والمساعدات التي تتلقاها من الخارج والتي تحتاجها في مهمتها وذلك بناء على طلب وزير المعاشات والشؤون الاجتماعية ومصادقة وزير المالية؛
- تطبق تعرفة الماء والكهرباء المعتمدة للمستخدمين المحليين على المكاتب الرئيسية للجمعيات والمؤسسات كما تخضع لخصم مقداره 50% من قيمة الاستهلاك."

وأخرى تناولتها على وجه العموم[20].

أحصت وزارة الاقتصاد والمالية أزيد من 51 و52 امتياز ضريبيا على التوالي عن سنتي 2011 و2012. كما قامت بتقدير النفقات الضريبية الناجمة عن ذلك بحوالي 186 مليون درهم في قطاعات الصحة المجالات الاجتماعية عامة[21].

يعرف النظام الضريبي للجمعيات عدد من الاكراهات المرتبطة بالتحفيزات الضريبية لفائدة الجمعيات، سواء ما تعلق بالضريبة على الشركات أو الضريبة على الدخل حيث "يبرز غياب الانسجام في مسعى التحفيزات الضريبية لفائدة الهبات الممنوحة للجمعيات وهو مسعى يخضع لمنطق انتقائي". كما تعاني الجمعيات من "بطء استرجاع الضريبة على القيمة المضافة"[22].

ج- عقد الشراكة بين الدولة والجمعيات

يمكننا الحديث عن الإعانات وعقد الشراكة بين الدولة والجمعيات. **الإعانات** هي مبالغ مالية تخصص من ميزانية الدولة والبلديات والمؤسسات العمومية لصالح منظمات المجتمع المدني، بهدف مساعدتها على تمويل أنشطتها وبرامجها وتغطية نفقاتها الإدارية. استحداث المشرع الأردني هيئة عمومية مستقلة لتقديم إعانات للمنظمات ومساعدتها على تنمية مواردها ويسمى ب "صندوق دعم الجمعيات"[23]. باقي التشريعات معظمها اهتمت بإقرار إعانات حكومية لفائدة منظمات المجتمع المدني[24].

---

[20]- المادة 52 من القانون الفلسطيني "تعفى الجمعيات من الضرائب والرسوم الجمركية على الأموال المنقولة اللازمة لتنفيذ أهدافها الواردة في نظامها الأساسي، شريطة عدم التصرف بها خلال مدة تقل عن خمس سنوات لأغراض تخالف أهدافها ما لم تسدد عنها الضرائب والرسوم الجمركية المستحقة."

[21] - عرض السيد وزير الاقتصاد والمالية حول التمويل العمومي للجمعيات أمام لجنة مراقبة المالية العمومية (26 يناير 2015).

[22] - المجلس الوطني لحقوق الانسان، مذكرة وجهت لرئيس الحكومة حول موضوع "حرية الجمعيات بالمغرب"، نونبر 2015.

[23]- المادة 22 القانون الأردني "أ- ينشأ في الوزارة صندوق يسمى (صندوق دعم الجمعيات) يهدف إلى دعم الجمعيات ويتمتع بشخصية اعتبارية واستقلال مالي وإداري، وله تملك الأموال المنقولة وغير المنقولة واستثمارها بالطريقة التي يراها مناسبة، وينوب عنه في الإجراءات القضائية المحامي العام المدني.

ب- تتكون الموارد المالية للصندوق مما يلي:

1- ما يرصد له من الموازنة العامة؛

2- أي هبات أو تبرعات أو منح شريطة موافقة مجلس الوزراء عليها إذا كانت من مصدر غير أردني؛

3- ريع أي يانصيب خيري يتم تنظيمه لغايات هذا الصندوق وفق أحكام نظام خاص يصدر لهذه الغاية؛

4- أي مبالغ يقرر مجلس الوزراء بناء على تنسيب المجلس تخصيصها للصندوق من صافي إيرادات أي صندوق آخر يهدف إلى دعم الجمعيات؛

5- أموال الجمعيات والاتحادات التي تنقضي شخصيتها الاعتبارية دون وجود جهة تؤول إليها أموالها وفق أحكام هذا القانون؛"

[24]- ونذكر من بينها:

أما **الشراكة بين الدولة والجمعيات** فهي تشكل آلية لتأطير مجالات التعاون وتقوية مساهمة وانخراط المجتمع المدني، وكذا دعم مبادرته، كما تمثل دعامة لتعزيز مساهمته في تحقيق التنمية الشاملة. ويمكن تعريف الشراكة بين الدولة والجمعيات في مفهومها الواسع بمجموع المساهمات التي تقدمها القطاعات الوزارية والمؤسسات والمقاولات العمومية والجماعات الترابية. بغرض إنجاز مشاريع وبرامج وأنشطة محددة. سواء أكانت تلك المساهمات مالية أو غير مالية، تتم في إطار الشراكات والتعاون، أو المواكبة والتأطير، أو الدعم التقني واللوجيستيكي، أو المساهمة بالمقولات والعقارات.

1- الإطار المنظم لعقد الشراكة بين الدولة والجمعيات

شكل منشور السيد الوزير الأول رقم 7/2003 المتعلق بالشراكة والتعاقد المبنيين على النتائج، والاستهداف الأمل للفئات ومجالات التدخل ذات الأولوية. والمرونة المبنية على مبادئ الحكامة الجيدة وتبسيط مساطر تلقي الدعم العمومي. وتحسين التنسيق والمراقبة وتكريس البعد المجالي للشركات.

يرتكز هذا المنشور على المبادئ التالية:

- إقامة إطار شراكة يتسم بمرونة أكثر وباحترام لمبادئ الحكامة الجيدة؛
- تحسين التنسيق والمراقبة من خلال إطار تعاقدي يحكمه منطق النتائج؛
- تعزيز البعد المجالي للشركات في إطار تعزيز اللامركزية.

وهي مبادئ عامة فرضت مقتضيات المنشور احترامها في كل مراحل تدبير مسطرة الشركات والتمويل العمومي.

حدد المنشور رقم 7/2003 مجموعة من الإجراءات المسطرية المتعلقة بالتمويل العمومي للجمعيات. وذلك وفق المراحل التالية:

1- مرحلة الإعلان عن طلب عروض مشاريع الجمعيات؛
2- مرحلة تلقي ملفات المشاريع وعملية الانتقاء؛
3- مرحلة التعاقد؛
4- مرحلة تنفيذ أشطر المشروع وتتبع الإنجاز والتقييم المرحلي؛

المادة 35 من القانون الجزائري "يخضع منح الإعانات العمومية لكل جمعية إلى إبرام عقد برنامج يتلاءم مع الأهداف المسطرة من طرف الجمعية ومطابق لقواعد الصالح العام.

ولا تمنح إعانات الدولة والجماعات المحلية إلا بعد تقديم حالة صرف الإعانات الممنوحة سابقا، ويجب أن تعكس مطابقة المصاريف التي منحت من أجلها ذات الإعانات."

المادة 10 من القانون الليبي " وعلى الدولة تخصيص المبالغ اللازمة ضمن ميزانيتها لمساعدة ودعم الجمعيات على أساس الكفاءة وجدوى المشاريع والنشاطات، وتبين اللائحة التنفيذية معايير وضوابط التمويل العام. وتلتزم الجمعية التي يخصص لها أموال عامة بتقديم تقرير سنوي مالي يبين مصادر تمويلها وأوجه صرف ما خصص لها من المال العام لديوان المحاسبة."

5- مرحلة التقييم النهائي.

تبرز قراءة المساطر المنصوص عليها بمقتضى المنشور المذكور أعلاه، وتتبع تنزيله من طرف القطاعات الحكومية احترام معظم القطاعات الحكومية سواء على مستوى اختيار مجالات الشراكة أو على مستوى تبسيط المساطر وإحداث لجان انتقاء مختلطة أو على مستوى الأمر بالصرف وتنفيذ مشاريع الشراكة والتمويل. على الرغم من ذلك تسجل بعض التفاوت بين القطاعات الحكومية بشأن تفعيل مقتضيات المنشور المتصلة بالتتبع وإحداث لجنة للإشراف والتقييم والمحاسبة والافتحاص.

2- استحداث البوابة الإلكترونية للتمويل العمومي للجمعيات

لتعزيز وتقوية شفافية وحكامة التمويل العمومي، استحدثت الحكومة بموجب المنشور رقم 04/2016 بوابة إلكترونية للتمويل العمومي الموجه للجمعيات، خاصة بالمعطيات المتعلقة بالتمويل العمومي الموجه للجمعيات www.charaka-association.ma بما يسهم في تعزيز مبادئ الحكامة الجيدة، وتكافؤ الفرص، والمساواة، وتسهيل الولوج إلى المعلومات المتعلقة بالتمويل العمومي لمشاريع وبرامج وأنشطة الجمعيات.

ألزمت مقتضيات المنشور المذكور أعلاه جميع القطاعات الوزارية والإدارية والمؤسسات والمقاولات العمومية الإعلان والنشر عبر هذه البوابة الالكترونية للمعطيات المتعلقة بتمويل مشاريع وبرامج وأنشطة جمعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، وذلك وفق الشكل والكيفيات المطلوبة خاصة ما يلي:

- نشر إعلان طلب مشاريع الجمعيات ونتائج عملية الانتقاء بالمكان والشكل المخصص لها بالبوابة الإلكترونية بالنسبة للتمويل المقدم للجمعيات باعتماد آلية طلب المشاريع؛
- نشر لائحة الجمعيات التي تَقَرَّر تمويلها باعتماد آليات أخرى غير آلية طلب المشاريع، بالمكان والشكل المخصص لها بالبوابة الإلكترونية.

ثانيا- التماس الاحسان العمومي

يقصد بالتماس الإحسان العمومي كل طلب يوجه إلى العموم قصد الحصول بوسيلة ما (ولا سيما الالتماسات وجمع الأموال والاكتتابات وبيع الشارات والحفلات والسهرات الراقصة والأسواق الخيرية والحفلات الموسيقية) على أموال أو أشياء أو منتوجات تقدم كلا أو بعضا لفائدة مشروع خيري أو هيئة أو أفراد آخرين بصرف النظر على ألعاب اليانصيب الجارية عليها نصوص خاصة بها[25].

تنظم عملية التماس الإحسان العمومي بمقتضى القانون رقم 004.71 المتعلق بالتماس الاحسان العمومي. يهدف هذا القانون لتيسير حصول الجمعيات على الأموال والممتلكات بوسائل مختلفة وخلال حملات تستهدف العموم، وفق ضوابط وشروط تتعلق أساسا بمسطرة تقديم الطلب وطبيعة التظاهرات المزمع تنظيمها لأجل التماس الاحسان العمومي.

[25] - الفصل 1، قانون رقم 004.71 المؤرخ في 12 أكتوبر 1971 يتعلق بالتماس الإحسان العمومي.

ثالثا- دعم الخواص

دعم الخواص هو عبارة عن منح مالية تتلقاها منظمات المجتمع المدني في شكل مساعدات أو تبرعات أو هبات أو وصايا من جهات محلية غير حكومية. فجل التشريعات العربية[26] سمحت للمنظمات بتلقي المساعدات أو التبرعات أو الهبات أو الوصايا، لكن بعضها اشترط قبول هذا النوع من الدعم بالموافقة المسبقة للجهة الإدارية المعينة[27].

المحور الثالث: التمويل الأجنبي

يقدم التمويل الأجنبي من قبل منظمات غير حكومية أجنبية في شكل منح مالية أو مساعدات أو تبرعات لفائدة منظمات المجتمع المدني في العالم العربي.

أشارت جل التشريعات العربية إلى هذا النوع من مصادر التمويل، وفقا لقواعد مختلفة وضوابط متفاوتة وإجراءات متعددة من تشريع إلى آخر. اتجه مضمون هذه التشريعات صوب ثلاث أصناف:

- الصنف الأول: يبيح تلقي الموارد الأجنبية: ونقصد كل من التشريع اللبناني والمغربي والموريتاني.

---

[26]- نذكر من بينها:
المادة 10 من القانون الليبي" ولها أن تقبل الهبات أو التبرعات أو الوصايا غير المشروطة صراحة أو ضمنا إلا ما تعلق منها بحسن أداء عملها وبغرض تحقيق أهدافها"

الفصل 6 من القانون المغربي "كل جمعية صرح بتأسيسها بصفة قانونية يحق لها أن تترافع أمام المحاكم وأن تقتني بعوض وأن تتملك وتتصرف فيما يلي: ... إعانات القطاع الخاص؛"

المادة 50 من القانون الفلسطيني "للجمعيات الحق في تنمية مواردها المالية من خلال: .... قبول الهبات والمنح والمساعدات غير المشروطة من أي شخص طبيعي أو معنوي؛"

[27]- من بينها نجد:
المادة 29 من القانون القطري "لا يجوز للجمعية أن تقوم بجمع التبرعات إلا بتصريح من الوزير لغرض محدد ولفترة محدودة وبما لا يتعارض مع القوانين والقرارات المعمول بها"

المادة 17 من القانون المصري" للجمعية الحق في تلقي التبرعات، ويجوز لها جمع التبرعات من الأشخاص الطبيعيين ومن الأشخاص الاعتبارية بموافقة الجهة على النحو الذي تحدده اللائحة التنفيذية لهذا القانون."

- الصنف الثاني: يشترط الموافقة المسبقة على تلقي الموارد الأجنبية: فيسمح تشريع كل من الأردن[28] ومصر[29] وقطر[30] وعمان[31] بتسلم منظمات المجتمع المدني موارد أجنبية، إلا أنها تشترط أن تحصل هذه المنظمات على الموافقة الحكومية قبل استلام تلك الأموال. الأمر الذي سيكلف المنظمة المستفيدة وقتا طويلا، في انتظار رد السلطات المعنية، بالإضافة إلى أن عدد من النصوص لم تحديد مدة زمنية للبت في طلب تلقي الموارد الأجنبية. وينبغي الإشارة إلى أن الانتظار ينطوي على إمكانية رفض هذا الطلب.

خول المشرع المغربي للجمعيات تلقي مساعدات من جهات أجنبية، شريطة أن تصرح بذلك لدى الأمانة العامة للحكومة مع تحديد المبالغ المحصل عليها ومصدرها والأغراض المخصصة لها داخل 30 يوما كاملة من تاريخ التوصل بالمساعدة.

المحور الرابع: ربط المسؤولية بالمحاسبة

اتفقت مختلف القوانين المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني في العالم العربي على تضمين مبدأ "ربط المسؤولية بالمحاسبة"، بإقرارها مقتضيات لمساءلة ومحاسبة المنظمات، وبتحديدها للمخالفات المترتب عن ارتكابها عقوبات وجزاءات.

أولا: نوعية المخالفات

المخالفات هي الأفعال التي تصدر عن المنظمة، ويترتب عليها الإخلال بالواجبات التي تفرضها النصوص التشريعية أو مقتضيات نظامها الداخلي.

فوضحت جل التشريعات العربية نوعية الأفعال التي تعتبر مخالفة يترتب عليها توقيع جزاءات وعقوبات على المنظمة، ومن بين هذه الأفعال نذكر:

---

[28]- المادة 17 من القانون الأردني: "تبرع أو تمويل من شخص غير أردني، فعليها إشعار مجلس الوزراء بذلك وعلى أن يبين الإشعار مصدر هذا التبرع أو التمويل ومقداره وطريقة استلامه والغاية التي سينفق عليها وأي شروط خاصة به، وفي حال عدم صدور قرار بالرفض عن مجلس الوزراء خلال مدة ثلاثين يوما من تاريخ استلامه الإشعار، فيعتبر التبرع أو التمويل موافقا عليه حكما".

[29]- المادة 17: القانون المصري " وفي جميع الأحوال لا يجوز لأية جمعية أن تحصل على أموال من الخارج سواء من شخص مصري أو شخص أجنبي أو جهة أجنبية أو من يمثلها في الداخل، ولا أن ترسل شيئا مما ذكر إلى أشخاص أو منظمات في الخارج إلا بإذن من وزير الشؤون الاجتماعية. وذلك كله فيما عدا الكتب والنشرات والمجالات العلمية والفنية."

[30]- المادة 31: القانون القطري "لا يجوز للجمعية الانتساب أو الاشتراك أو الانضمام إلى أي جمعية أو هيئة أو ناد مقره خارج الدولة كما لا يجوز لها إرسال أو تلقي أي قروض أو هبات أو تبرعات أو وصايا أو أوقاف أو غيرها من أموال من شخص أو جمعية أو هيئة أو ناد مقره خارج الدولة إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الوزارة وعلى الجمعية إرسال صورة من قسائم الإرسال والتسليم للوزارة موضحا بها اسم وعنوان الجهة المرسلة واسم وعنوان المتسلم"

[31]- المادة 42 من القانون العماني: " لا يجوز لأية جمعية أن تحصل على أموال من شخص أجنبي أو جهة أجنبية ولا أن ترسل شيئا مما ذكر إلى أشخاص أو جهات أجنبية إلا بإذن من الوزير وذلك فيما عدا المبالغ الخاصة بثمن المعدات والأدوات اللازمة لنشاطها وكذالك ثمن الكتب والمطبوعات فيما لا يتعارض مع قانون المطبوعات والنشر."

1- تحرير وثائق وبيانات كاذبة مع العلم بذلك؛
2- مباشرة نشاطا للمنظمة قبل تسجيلها وشهرها طبقا لأحكام القانون؛
3- مباشرة نشاطا محظورا على المنظمة أو نشاطا يخالف الغرض الذي انشئت من أجله؛
4- مواصلة نشاط منظمة صدر قرار بحلها مع العلم بذلك؛
5- السماح لغير أعضاء المنظمة بالاشتراك في إدارتها أو في مداولات جمعيتها العمومية؛
6- عدم تجديد انتخاب الهيئة التنفيذية للمنظمة في الآجال المحددة في نظامها الداخلي؛
7- التحريض في الاجتماعات التي تعقدها المنظمة على ارتكاب جنايات أو جنح بواسطة خطب أو تحريضات أو نداءات بأية لغة كانت أو بقراءة مكتوبات وتعليقها على الجدران ونشرها وتوزيعها وعرضها وتقديمها؛
8- إدارة أموال المنظمة وإنفاقها خلافا لأهدافها وغاياتها؛
9- توظيف أموال المنظمة في مضاربات مالية؛
10- توزيع موجودات وأملاك المنظمة على الأعضاء وغير الأعضاء؛
11- قبول أي تبرع أو دعم أو تمويل دون احترام الإجراءات المنصوص عليها في التشريع الوطني؛
12- جمع تبرعات لحساب المنظمة على خلاف أحكام القانون؛
13- الحصول على أموال ترد إلى المنظمة من تنظيمات أجنبية ومنظمات غير حكومية أجنبية.

تتكون هذه القائمة من جرد لأهم الأفعال المدرجة في النصوص التشريعية العربية المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني، والتي تعتبر مخلة بهذه النصوص، وخارقة للأنظمة الداخلية للمنظمات. وينبغي الإشارة إلى خصوصية مضمون كل قائمة حسب اختلاف التشريعات، فتتقاطع فيما بينها في بعض العناصر، وتختلف في أخرى.

ثانيا- طبيعة العقوبات

يمكن تصنيف العقوبات إلى عقوبات مالية، وكذا سالبة للحرية، وأخرى إدارية.

1- العقوبات المالية: وتسمى بالغرامات وهي مبالغ مالية تؤديها وجوبا المنظمة بسبب مخالفتها للنصوص القانونية أو مقتضيات نظامها الداخلي، فحسب المادة 26 من القانون الأردني يعاقب "كل من وافق على قبول أي تبرع أو دعم أو تمويل من أشخاص أردنيين وبدون الإفصاح عنه وقيده في سجلات الجمعية وفق الأصول بغرامة لا تقل عن 500 دينار ولا تزيد على خمسة ألاف دينار" ويعاقب وفق نفس المادة "كل من احتفظ أو استخدم التبرع أو التمويل المقدم للجمعية من أشخاص غير أردنيين في حال عدم الإفصاح عنه وقيده في سجلات الجمعية وفق الأصول أو في حال الاحتفاظ به أو استخدامه على الرغم من رفضه من قبل الوزير المختص بغرامة لا تقل عن 500 دينار ولا تزيد على خمسة آلاف دينار مع إعادة المبالغ التي احتفظ بها أو تم استخدامها."

2- عقوبات سالبة للحرية: نصت عدد من التشريعات العربية على عقوبة السجن أي سلب حرية العضو المخالف لمقتضياتها وللنظام الداخلي للمنظمة التي ينتمي إليها، واقترن هذا النوع من العقوبات في معظم هذه التشريعات بفرض غرامات مالية،

فحسب الفصل 35 من القانون المغربي "يعاقب مسير أو مسيرو إحدى الجمعيات الثابتة مسؤوليتهم بعده بحبس لمدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وسنتين وبغرامة يتراوح قدرها بين 1200 درهم و50.000 درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط إذا وقع التحريض في الاجتماعات التي تعقدها هذه الجمعية على ارتكاب جنايات أو جنح بواسطة خطب أو تحريضات أو نداءات بأية لغة كانت أو بقراءة مكتوبات وتعليقها على الجدران ونشرها وتوزيعها وعرضها وتقديمها في أفلام وذلك بصرف النظر عن العقوبات الأكثر شدة المقرر تطبيقها على الأفراد المسيرين الثابتة مسؤوليتهم." وسلك نفس النهج المشرع الجزائري بمقتضى المادة 46 حيث ربط بين العقوبتين المالية والسالبة للحرية فبمقتضاه يتعرض "كل عضو أو عضو مسير في جمعية لم يتم تسجيلها أو اعتمادها، معلقة أو محلة ويستمر في النشاط باسمها، إلى عقوبة الحبس من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر وغرامة من مائة ألف دينار (100.000 دج) إلى ثلاثمائة ألف دينار (300.000 دج)".

3- عقوبات إدارية: وهي العقوبات التي تمس المنظمة باعتبارها شخصا معنويا في مسارها، إما بالوقف المؤقت أو النهائي. سنحيل معالجة هذا الموضوع إلى المحطة الموالية من هذا الفصل والمعنونة ب "حل المنظمات".

ثالثا: مراقبة المجلس الأعلى للحسابات لاستخدام الأموال العمومية

يقوم المجلس الأعلى للحسابات، بموجب المادة 86 من القانون رقم 99-62 المتعلق بمدونة الأحكام المالية، بمراقبة استخدام الأموال العمومية التي تتلقاها الجمعيات، التي تستفيد من مساعدة كيفما كان شكلها من طرف الدولة أو مؤسسة عمومية أو من أحد الأجهزة الأخرى الخاضعة لرقابة المجلس، مع مراعاة مقتضيات الظهير الشريف رقم 1.58.376 المؤرخ في 15 نونبر 1958 بتنظيم الحق في تأسيس الجمعيات، كما وقع تغييره وتتميمه.

احتراما لمبدأ الحكامة الجيدة، واعمالا لمبدأ الربط بين المسؤولية والمحاسبة، أصدر رئيس الحكومة منشورا تحت رقم 2014.2 متعلق بمراقبة المجلس الأعلى للحسابات لاستخدام الأموال العمومية. الذي دعا من خلاله القطاعات الحكومية والمؤسسات والهيئات العمومية الخاضعة لوصايتها بموافاة المجلس الأعلى للحسابات بما يلي:

- قوائم الجمعيات المستفيدة من الإعانات التي تمنح لها؛
- مبالغ الإعانات الممنوحة للجمعيات؛
- الاتفاقيات المبرمة في هذا الشأن مع الجمعيات المعنية.

ذكر المنشور بوجوب إدلاء الجمعيات المعنية بحساباتها المتعلقة باستخدام الأموال والمساعدات العمومية التي استفادت منها.

في إطار قيام المجلس الأعلى للحسابات بالمهام المسندة إليه، أصدر تقريره السنوي برسم سنة 2017، والذي تضمن مراقبة مالية الجمعيات التي تلقت أموالا عمومية، سواء من القطاعات الوزارية، أو المؤسسات العمومية، أو الجماعات الترابية، بهدف التأكد من مطابقة استخدامها للأهداف المتوخاة من المساهمة العمومية.

ومن أهم التوصيات التي أصدرها المجلس في هذا الشأن نذكر ما يلي:

- ضرورة مضاعفة الدعم المقدم لصالح الجمعيات، في إطار الشفافية وتكافئ الفرص، ونهج سياسة القرب؛
- اعتماد معايير وآليات محددة للتتبع والتقييم ومراقبة صرف الدعم العمومي لتمويل برامج الجمعيات؛
- ضبط الإطار القانوني المتعلق بتمويل الجمعيات وفق مستجدات الواقع الراهن بما في ذلك العلاقة المالية بين الجمعيات والجماعات الترابية؛
- اعتماد البرمجة متعددة السنوات في إطار المقاربة الجديدة للبرنامج الحكومي لانتقاء المشاريع من خلال تفعيل مبادئ الشفافية ومساواة الجمعيات أمام الولوج إلى الدعم العمومي واشتراط توفر الكفاءة والخبرة؛
- الحرص على نشر معايير منح الدعم العمومي، وتوفير المعلومات عن حجم الدعم وطرق صرفه؛
- اعتماد طرق التدبير والمراقبة الحديثة؛
- اعتماد معايير الأمم المتحدة المتعلقة بتنظيم عمل الجمعيات لتفادي الاستفادة من التمويل المعد الجهات؛
- اعتماد أسلوب التنسيق والشراكة بين القطاعات الوزارية وكافة المتدخلين في منح الدعم العمومي للجمعيات وإعداد التقارير ونشر الأرقام والمعطيات؛
- المحافظة على التوازن بين المرونة والضبط في مجال منح الدعم العمومي؛
- إنشاء سجل خاص بالمجتمع المدني وهيأته على غرار سجل المقاولات في إطار التعاون بين جميع المتدخلين والقطاعات؛
- تعليل الجمعيات للمصاريف والمداخيل (الأوراق المحاسبية)؛
- تعليل الجمعيات للعمليات المالية ضمن المؤشرات الأساسية للمصداقية والشفافية في المعاملات؛
- استشراف التوقعات؛
- مراسلة الجهات المعنية حول أهم القضايا المرتبطة بالموضوع المشار إليه أعلاه.

خاتمة

تمكن البيئة التشريعية لمنظمات المجتمع المدني بالمغرب، من الارتقاء بأدوار هذه المنظمات إلى مستوى الشراكة والإسهام في صناعة وتنفيذ وتقييم السياسات العمومية. لأجل تيسير إسهامات جمعيات المجتمع المدني في تنزيل تلك السياسات في مختلف تمظهراتها، تعمل الدولة أمام محدودية موارد الجمعيات الذاتية، على دعم جزء مهم من مشاريع وبرامج تلك الجمعيات وأنشطتها، من خلال تخصيص جزء من اعتماداتها المالية السنوية لفائدة تمويل تلك المشاريع والبرامج، سواء من خلال الميزانيات المرصدة للقطاعات الوزارية، أو المؤسسات والمقاولات العمومية، أو الجماعات الترابية، فضلا عن الحسابات المرصدة لأمور خصوصية والتكاليف المشتركة والمؤسسات المسيرة بصورة مستقلة.

يشكل التمويل العمومي أكبر مصدر لتمويل برامج ومشاريع الجمعيات، مما يتطلب معه تطوير وتنويع مصادر التمويل الأخرى، سواء ما تعلق منها بالموارد المتأتية من الإحسان العمومي أو الدعم الأجنبي أو هبات ومنح الخواص من أشخاص ومؤسسات.

احتل موضوع تمويل منظمات المجتمع المدني مساحة واسعة من النقاش العمومي المغربي، وكان محل تقييم من العديد من الهيئات والمؤسسات الدستورية المغربية، لنجاعة تدبير الأموال العمومية الممنوحة إلى الجمعيات. ويمكن إجمال أهم التوصيات والمقترحات التي نزكيها وتقدمت بها بعض القطاعات الوزارية والمؤسسات والمقاولات العمومية ومجالس الجهات وكذا مجلس النواب من خلال توصيات تقرير لجنة مراقبة المالية العامة لسنة 2016:

- تطوير مؤشرات نجاعة الشراكة بين الدولة والجمعيات ولا سيما من خلال اعتماد مقاربة التدبير المرتكز على النتائج؛
- تعزيز مصادر التمويل الذاتية؛
- تحديد معايير منح الدعم العمومي والولوج إلى الشراكات والتمويلات؛
- توحيد معايير دعم مشاريع وأنشطة الجمعيات؛
- تعزيز آليات التواصل بين الجمعيات والقطاعات الحكومية والمؤسسات والمقاولات العمومية والجماعات الترابية؛
- إحداث سجل وطني خاص بالجمعيات؛
- إجراء تعديلات قانونية لترسيخ آلية الشراكة باتفاق مكتوب متعدد السنوات؛
- ترتيب الجزاءات الملائمة عن كل إخلال بالمبدأ الدستوري القاضي بربط المسؤولية بالمحاسبة؛
- مراجعة شرط منح صفة المنفعة العامة؛
- إعداد قائمة تتضمن الجمعيات التي لم تلتزم بتنفيذ بنود عقود الشراكة؛
- تعزيز رقابة الدولة على التمويلات الأجنبية الممنوحة للجمعيات.

المصادر والمراجع

- عبد الواحد، عطية، (1993)، *دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية والتوزيع العادل للدخول: التنمية الاجتماعية وضبط التضخم*. الطبعة الأولى، دار النهضة العربية. القاهرة.
- العلام، عز الدين (1991). السلطة والسياسة في الأدب السلطاني. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء.
- التقرير السنوي الأول للشراكة بين الدولة والجمعيات برسم سنة 2015.
- المجلس الوطني لحقوق الانسان، مذكرة وجهت لرئيس الحكومة حول موضوع "حرية الجمعيات بالمغرب"، نونبر 2015.
- "الوثيقة الخضراء لجنوب إفريقيا حول تحويلات قديم الخدمات العمومية". 17 ديسمبر/كانون الأول 1996. و"الشراكة في الخدمات العمومية: خطة عمل لإشراك القطاع الثالث"، مكتب الحكومة البريطانية للقطاع الثالث (2006).

- عرض السيد وزير الاقتصاد والمالية حول التمويل العمومي للجمعيات أمام لجنة مراقبة المالية العمومية (26 يناير 2015).
- جل التشريعات المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني في العالم العربي، الواردة في الدراسة توجد بالموقع المشار إليه أسفله:

http://www.icnl.org/research/library/index.php

- Stanley (S.S) (1976), Rapport au congrès sur : les dépenses fiscales et réformes fiscales et budgétaires dans les P V ..
- Maltoni, Andrea (2002). The Principle of Subsidiarity in Italy: Its Meaning as a "Horizontal" Principle and Its Recent Constitutional Recognition, 4 Int'l J. Not-For-Profit L. 4.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.2

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

المعاني المدحية عند أبي تمام

The praiseworthy meanings of Abu Tammam

الباحثة/ لطيفة إبراهيم الرشيدي

ماجستير لغة عربية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية

Email: Lalrashyde@su.edu.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان المعاني المديحيَّة في شعر أبي تمام ودورها في تكوين المثل الأخلاقي وترسيخه. فالعلاقة بين المديح وإبراز المثل الأخلاقية عند الممدوحين وثيقة؛ فالمديح قائم على أساس إبراز المحاسن والمناقب للممدوحين. ولما للأخلاق من أهمية بالغة عند العرب، فقد حرص الأدب على إثباتها. وجاءت الدراسة مشتملة على: مقدمة، وتمهيد، وفصل يحتوي على مبحثين، وخاتمة، يتبعها المصادر والمراجع.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة: أن أبا تمام سعى جاهدًا إلى ترسيخ الأخلاق الحميدة في مديحه، كما يعد المديح لدى أبي تمام منظومة من الآداب الإسلامية، كذلك أظهر فن المديح قوة العقيدة عند الشاعر، وضمّن الشاعر صوره المديحيَّة كثيرا من أبيات الحكمة والأدلة النقلية والمنطقية كما هو الشأن في قصيدة فتح عمورية التي مدح بها المعتصم.

كلمات مفتاحية: المعاني المديحية، حياة أبو تمام، المثل الأخلاقية، العصر العباسي.

Abstract

This study aims to show "the eulogizing meanings in Abu Tammam's poetry and its role in creating and consolidating the moral ideal."This confirms the extent to which the art of eulogy in Abi Tammam's poetry is related to the moral aspect. The study includes an introduction, a preliminary, chapter, and a conclusion, followed by references.

Among the most important findings of the study, the researcher states that: Abu Tammam strived to establish good morals in his eulogy. The eulogy of Abu Tammam is a system of Islamic virtues, also the art of eulogy demonstrated the strength of the belief of the poet. The poet included many praise images of the verses of wisdom and transfer and logical evidence, as is the case in the poem of Fateh Amoriya, in which Mu'tasim was praised.

Keywords: Laudatory meaning, Abu Tammam's life, moral ideals, Abbasid era.

المقدمة

زادت عناية الشعر بالأخلاق والمثل الأخلاقي، وتناول الشعراء الأخلاق في أغراض الشعر كافة: الغزل، والمديح، والفخر، والرثاء، حتى الهجاء كان بذكر مثالب القوم وأخلاقهم القبيحة.

ولعل ذلك هو الهدف من الخوض في غمار هذا الموضوع بحثا ودراسة؛ فهذه الدراسة لإظهار أبعاد القصيدة المديحيَّة العربية عند أحد الشعراء العرب، وهو أبو تمام، وبيان المثل الأخلاقية وتمثلاتها في القصيدة العربية من خلال القصيدة المديحيَّة.

هناك العديد من الأسباب التي دفعت الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع، ومنها: إن المديح من أشهر الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء العرب من خلال قصائدهم؛ فالقصائد المديحيَّة تحتل المرتبة الأولى عند العرب على اختلاف الأزمان والحقب التاريخية. يضاف إلى ذلك أن دراسة المثل الأخلاقية من خلال قصيدة المدح عند أبي تمام من الموضوعات الأدبية الجديدة، أما الاختيار لدراسة الشاعر أبي تمام؛ فلأنه يعد أنموذجًا قوياً لشعراء المديح، ولما جادت قريحته من معانٍ أخلاقية كثيرة ومتنوعة في مديحه، خاصة أن شعر المديح عنده قد احتل قرابة ثلثي شعره، كما كان لأسلوبه الشعري ومدرسته الفنية دورٌ مهمٌ في إظهار فنيَّتها في هذه الدراسة. فالشاعر من أشهر شعراء العربية على مر العصور، وكان محل دراسة وعناية النقاد العرب لاسيما في محاولة الموازنة والمقارنة بين شعره وشعر البحتري، وينجلي ذلك من خلال تأليف الآمدى كتابه الموسوم: "الموازنة بين أبي تمام والبحتري". فأبو تمام بلغت شهرته عنان السماء.

أهمية الموضوع

وتكمن أهمية الموضوع في كون المدح من أبرز أغراض الشعر العربي؛ فهو يشتمل على عدة أغراض، هي: "الرثاء، والافتخار، والتشبيب، وما تعلق بذلك من محمود الوصف: كصفات الطلول والآثار،

والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق: كالأمثال، والحكم، والمواعظ، والزهد في الدنيا، والقناعة"[1]، "وقد أكثر منه الشعراء في كل عصور الأدب العربي حتى صار أضخم أبواب الشعر العربي"[2] وعزا بعضهم تأخر مرتبة الشاعر لعدم إجادته هذا الفن، ويرى العقاد أن شعر المديح "من أفضل المقاييس لقياس حال الأمة والشاعر والأدب في وقت واحد"[3].

فالعلاقة بين الشعر والأخلاق علاقة وطيدة؛ فالأدب تعبير عن المجتمع الذي لا يستقيم ولا ينهض إلا بهذه الأخلاق؛ ولهذا ارتبط فن المديح برصد الأخلاق الحميدة للممدوح. من ثمَّ يحاول البحث أن يكون إضاءة حول القيم والمثل الأخلاقية في مديح أبي تمام، هذه القيم التي تعد مُثلا أخلاقية ترسخت في أذهاننا وسلوكنا، ونقلت هذه المثل الأخلاقية في شعر المديح من مجرد معنًى مدحيّ إلى قيمة عظيمة يدعو إليها الشاعر، ويستقبلها الفرد المجتمع، وهذا ما دعا الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع.

وخلاصة القول، يمكن أن نستخلص أهم أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

- دراسة فن المديح ومعانيه في شعر أبي تمام.
- دراسة مدرسة أبي تمام الشعرية ودورها في شعر المديح.
- بيان أهم المعاني المديحيَّة التي تحتوي على المثل الأخلاقية في شعر المديح.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(1) التعريف بالمعاني المديحيَّة في شعر أبي تمام.

(2) تصنيف المعاني المديحيَّة حسب القيم التي ترمي إليها.

(3) بيان فلسفة أبي تمام في توظيف القيم والمثل الأخلاقية من خلال قصيدة المدح.

فرضيات الدراسة وتساؤلاتها

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها:

(1) ما فلسفة أبي تمام عند توظيف المثل الأخلاقية من منظور المديح؟

(1) أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الجزء، دار الجيل، ط الخامسة 1401 هـ، عدد الأجزاء: 1،2 ص 121.

(2) بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2 ص155، 1390هـ.

(3) أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر – القاهرة، ط1، 1977م، ص 212.

(2) إلى أي مدًى يحقق المديح أهدافًا أخلاقية؟

(3) ما المعاني المديحيَّة التي ظهرت في قصائد أبي تمام؟

(4) هل كان لفكر أبي تمام وفلسفته الشعرية أثر في المديح؟

(5) هل كانت المثل الأخلاقية في قصائد أبي تمام ذات صبغة فنية أم للتكسب؟

(6) كيف استطاع أبو تمام تحويل المعاني المديحيَّة إلى قيم أخلاقية؟

(7) ما مظاهر التميز في مديح أبي تمام؟

المنهج العلمي المتبع في هذه الدراسة:

هو المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي يقوم على تسلسل منطقي للأفكار من خلال: الوقوف على صفات المديح المذكورة في الشواهد في ديوان أبي تمام، ومحاولة تحليل هذه الشواهد للوقوف على الجوانب الأخلاقية والفنية عند أبي تمام.

محتوى الدراسة

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وفصل يشتمل على مبحثين خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة. وفيما يلي بيان بالبناء الهيكلي للدراسة وفق الآتي:

- **المقدمة:** يعرض للمقدمة النظرية للدراسة، والمتمثلة في: أهمية الدراسة، وأهدافها، وفرضياتها، ومنهج الدراسة.
- **وجاء الفصل معنونا بـ: (المعاني المديحيَّة عند أبي تمام)، وقد اشتمل على مبحثين:**

- **المبحث الأول: (المديح في شعر أبي تمام)**، جاء فيه التعريف بشخصية أبي تمام من حيث الاسم ومكان الولادة والوفاة والرحلات إلى غير ذلك من جوانب شخصيته الذاتية. وتناول المبحث شهرة أبي تمام الشعرية ونبوغه، وشهادة النقاد والمتذوقين لشعره. وتتبع هذا المبحث الإبداع المتولد من أسلوب أبي تمام الشعري، وكيف أنه استطاع بناء قصيدة جديدة مع محافظته على الموروث القديم، والهيكل العام للقصيدة العربية التقليدية. ومن هنا جاء الإبداع في التجديد دون الإخلال بعناصر القصيدة القديمة، وبتتبع أبي تمام من خلال ديوانه تبين لنا احتفاظه بالمقدمة الطللية وما يخصها أو يتصل بها من النسيب والتشبيب، وما أودعه فيها من لطائفه ولفتاته النادرة، وإلباسه إياها الحلة البهية من البديع، إضافة إلى الخيال وجماله.
- **المبحث الثاني، جاء بعنوان (تصنيف المعاني المديحيَّة والقيم الخلقية في شعر أبي تمام)**، وقد تم تقسيم هذا المبحث حسب ظهور المعاني المديحيَّة في ديوانه، فجاءت على التوالي:

1- **الحكمة والأخلاق**، وقد أخذ هذا العنوان حيزًا لا بأس به في هذا المبحث؛ وذلك لإيراد الشواهد الشعرية الخاصة به التي تكلم فيها عن نفسه في باب الحكمة، وتقلبات الزمان عليه، إضافة إلى مدحه الأمراءَ والولاة بهذا الخلق الحميد والذي أفاض بمدحهم به.
2- **الزهد:** باب الحكمة وترك أوامر النفس.
3- صلة الرحم وحفظ حق الجار ومساعدة المحتاج.
4- **الكرم والجود** في مديح الطائي.
5- **الشجاعة** في مديح أبي تمام.
6- **جمع المُثل الخلقية** بممدوح واحد في بيت واحد.

المبـــحث الأول: (المديح في شعر أبي تمام)

حياة أبي تمام وشعر المديح

"هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ولد بقرية جاسم من أعمال حوران، من بلاد دمشق، كان أسمر طويلا، فصيحًا حلو الكلام، فيه تمتة يسيرة، كان فطنًا ذكيًا محبًا للشعراء، توفي في الموصل سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين"[(4)].

وقد طفق بعض النقاد يؤكدون "تميز شعره بالدقة والتأني والتمهل، فلم يكن يخرُجُ البيت إلا بعد أن يتفحصه ويهذبه ويعيد النظر فيه؛ ليخرج بأبهى حُلَّةٍ وأجمل صورة، فلم يقبل الارتجال ولا السرعة في النظم إلا بعد تمعن وتأن ينتهيان به إلى إخراج الصورة من شعاب فكره وأعماق شعوره معًا"[(5)]. أما ما عيب عليه من غرابة المعاني والاستعارات، فقد رد عن ذلك نفسه، فقد روى الصولي عن ابن الأعرابي المنجم قال:"كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه كان علم ما يقول فأعد جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام، ولم لا تقول من الشعر ما يعرف؟ فقال: وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه"[(6)].

وهذا يؤكد لنا عمق العلاقة بين أبي تمام والشعر، وتظهر شخصيته وبديهته وذكاؤه، والطريقة التي كان يتَّبِعها في قرض الشعر، والعلاقة بين طريقته التجديدية وعمود الشعر، ورصانة قوله وعُمق مدلولاته وغرابة معانيه.

(4) انظر: عطية شاهين، شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 1987م، ط 1، ص 8-12.

(5) انظر:عبد الله التطاوي، النظرية والتجربة عند أعلام الشعر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1999 م، ص 84.

(6) الصولي، أخبار أبي تمام، ص 72.

ولا يخفي علينا أن اللغة العربية لديها مرونةٍ بالغة في توليدِ المعاني وابتكار الصور الجميلة، فهي أداة طائعة بيد البارع المبدع؛ لينتج فنًّا أو نمطًا أدبيًّا زاهيًا تتمتع به الأذواق الراقية، وما الشعراء إلا الوجهَ النَّظِرَ لهذه الفنون البديعية، فهم من يستخرج من عمقها اللآلئ والدرر، يظهرونها للملأ على أتم صورة وأبدع بيان، ومن أهم هذه الأغراض فن المديح، هذا الفن الذي يشغل حيزًا كبيرًا في ديوان العرب، وخصوصا أن الخلفاء كانوا يُحبون المبالغة والإغراق في مدحهم ويُجزِلون العطاء فيهما.

فكان الشعر العربي يُوجِدُ في الممدوح أنموذجًا من المثال الخلقي الرفيع وهذا النموذج القويم يشكل الرجل النبيل لدى المجتمع، أو أن يكون الممدوح واليًا أو سلطانًا أو أميرًا مؤثرًا في سياسة عصره، إضافة إلى مدح أبطال الحروب الذين يقودون الجيوش لنصرة العرب وعزة الإسلام.

ويمكن القول: إنّ أكثر شعراء العصر العباسي اعتنوا بالصورة الفنية للمديح في الشعر العربي، وبثوا صورًا حية للمثل الخلقية في مدائحهم، وأضافوا معاني الحزم والمروءة والعفة والكرم وعلو الهمة والشجاعة إلى غير ذلك من مروءات النفس وصفات الفارس العربي وصفات الإنسان القائد الحليم الحكيم؛ إذ استطاع الشاعر العباسي أن يُجسِّم تلك المثل الخلقية في ممدوحه تجسيدًا قويًّا، وهذا نِتاج العقول الخصبة والخيال البارع.

وأبو تمام أحد الشعراء العرب الذين أبدعوا في هذا الفن الأدبي؛ إذ أبدع في نظم الكلمات بطريقة بديعة، وضمّن أشعاره بعض مصطلحات العلوم والثقافة الدينية؛ لِتخرجَ فرائدهُ غنيةً قويةً، حاملةً للكثيرِ من المعاني والصور، ومن أهم ملامح أبي تمام وخصائصه المديحيَّة أنه يبدع في الموازنة والملاءمة بين المدح والممدوح،

فمدحه للحسن بن وهب يتصف بالأدب والبلاغة والألفاظ والمعاني منتقاة بعناية فائقة؛ وذلك لأن تلك من صفات الكاتب الحسن بن وهب، وكذلك الشأن نفسه موجود لدى ابن الزيات؛ فعند مدحه لن يخرج عن إطار الصفات اللازمة لمثل هؤلاء.

لقد كان لثقافة أبي تمام دور كبير في شعر المديح، فقد ارتفع شأنه علميا وأدبيا، "أبو تمام شاعر على المذهب الشامي، جزل الألفاظ، متين التركيب، يتكلف الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية، مولع بالإغراب في تقصي أوجه المعاني وفي التشابيه والاستعارات، يملأ شعره بالإشارات التاريخية والفلسفية والنحوية. ومعانيه المخترعة كثيرة"[7].

أبو تمام صاحب شخصية فَذَّة، تتمتع بحدة الذكاء، ارتقت به إلى قصور الولاة والأمراء دون خوف أو تَردُّد، بل بثقة مطلقة، وتظهر هذه الثقة الشاعرية وقوة الإبداع الفني لديه في كثير من مديحه،

(7) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1388هـ - 1968م ص 253.

فَمَدَحَ الخليفة المعتصم، والوزير ابن الزيات، والحسن بن وهب الذي ولاه بريد الموصل، وغيرهم الكثير من أصحاب الشأن والنفوذ والسلطة والعلوم والمراتب.

وبالنظر إلى المدح عند الطائي نجده أنه من " أهم الأغراض التي تتجلي فيها خصائصه، وهو في كثير منه، بل في جمهوره يحتفظ بالمقدمة الطللية، وما يتصل بها من التشبب والنسيب، مودعًا فيها كثيرًا من لفتاته وخواطره النادرة التي تدل على سعة خياله وتأمله الطويل، وأنه يُخضع التفكير للشعر، وكأنه فيلسوف يخضع فلسفته للشعر، أو شاعر يخضع شعره للفلسفة والفكر الدقيق"[8].

وقد ازدهر المِديح على لسانِ أبي تمام في تمثيل العناصر المديحيَّة القديمة وما تحويه من قيم اجتماعية ودينية عالية، وبث فيها من فرائده الخاصة، وأودع فيها عناصر جديدة استلهمها من البيئة الحضارية التي يعيش فيها ومن ثقافته وفكره ومنطقه، فنزع إلى مدح الخلفاء بالتقوى والعدل، وأطال في مدح القادة وشجاعتهم في المعارك والحروب، وعند مدح الوزراء والساسة نجد الحكمة والحنكة والدراية.

لقد استحوذ فن المديح على قُرابة ثلثي ديوان أبي تمام، وهذا يدل على انشغال أبي تمام بهذا الفن، والثلث الباقي من شعره توزع على بقية الأغراض الشعرية الأخرى، تؤكد تلك الاحصائية الآتية ذلك:[9].

الأغراض	عدد النصوص	النسبة المئوية	عدد البيوت	النسبة المئوية
المدح	175	36.08	4745	65.34
الغزل	131	27.01	561	7.72
الهجاء	84	17.31	645	8.88
الرثاء	30	6.18	579	7.97
العتاب	29	5.97	289	3.98
الوصف	19	3.91	187	2.57
الفخر	8	1.64	179	2.46

فأكثر أشعار أبي تمام كانت مديحا، مما يؤكد أنه عني بمدح الوجهاء والخلفاء كثيرا حتى أنه لم ينتفع شاعر غيره بالعطاء، كان أبو تمام شاعرا متكسبا يمدح الخلفاء والوزراء وأصحاب الجاه؛ لينال منهم المال، فالغرض من مديحهم الحصول على المال، وقوة شعره عند ممدوحيه كسدت سوق الشعراء في زمنه فقد استحوذ بشعره على عطاء الخلفاء والوزراء وغيرهم، يؤكد ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: "ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام.

(8) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 279.
(9) الإحصائية نقلا عن كتاب أبو تمام وتجربة البحث عن الذات، د. محمد معز جعفورة، تقديم أ.د أحمد حيزم، الدار التونسية للكتاب، تونس، د.ت، ص25.

فلما مات اقتسم الناس ما كان يأخذه"[10] ، وهذا الخبر يؤكد "شدة الحملة عليه من شعراء ونقاد عصره، خاصة بعد وفاته؛ لأنه في حياته لم يترك لهم مجالس الكلام والاستفادة منها"[11]

وقد تنوعت مدائح أبي تمام لممدوحيه، وفيما يلي عرض لإحصائية عدد الأبيات

الممدوح	عدد القصائد	عدد البيوت	النسبة المئوية	الترتيب
أبو سعيد محمد بن يوسف	25	653	13.76	1
المعتصم	7	373	7.86	2
خالد بن يزيد الشيباني	10	359	7.56	3
محمد بن الهيثم بن شبانة	9	278	5.85	4
أحمد بن أبي دواد	11	274	5.77	5
مالك بن طوق التغلبي	8	247	5.20	6
الحسن بن وهب	10	245	5.16	7
إسحاق بن إبراهيم بن صعب	6	177	3.73	8
أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي	4	117	2.46	9
المأمون	3	104	2.19	10
الواثق	2	100	2.10	11
محمد بن حسان	4	78	1.64	12

تُظهر الإحصائية الآتي:

- إن أبا تمام لم يخص الممدوحين جميعا بعدد البيوت نفسها؛ فأول المحظوظين بالشاعر ومديحه أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري. أما محمد بن حسان فآخرهم.

- استأثر الخلفاء والوجهاء بالمديح؛ لكثرة عطائهم، فكان التكسب عاملا رئيسا لغزارة الشعر وجودته.

- استأثر المعتصم-دون بقية الخلفاء- بأكثر البيوت مدحا حيث بلغت أبيات مديحه 373 بيتا، بنسبة 7.86% في حين بلغت أبيات المديح لكل من المأمون والواثق 204 بيتا بنسبة 4.29 %،

(10) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، شرح وكتب هوامشه: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج16، ص 420- 421.

(11) أبو تمام حياته وشعره، محمد رضا مروّة، ص 421.

وهذا يؤكد أن المعتصم كان أشد الخلفاء عناية ورعاية لأبي تمام، وقد مدح أبو تمام المأمون، فلم يعطه؛ لولائه للعلويين، "وإن المأمون قد انقلب على آل علي، فأوغر صدره أن يرى أبا تمام يمدحهم ويعرِّض ببني العباس"[12].

وقد أكد أحد الباحثين "أنَّ وعي أبي تمام كان وعي فنان عظيم، لا وعي متكسب محتال يجمع الأموال بأي طريقة وعلى أية حال، فهو شاعر مداح يتوخى – قدر استطاعته – أن يسقط مدحه على من يستحقه من كرماء الناس وأجودهم، وهو لقاء عطاياهم كان يحرص أشد الحرص على تجويد شعره؛ ليتقابل الجزاء بالجزاء؛ فأتى بلوحات فنية فريدة جعلت من المدح صورة مدهشة أكسدت بضائع الشعراء المكتسبين في عهده"[13].

ولم يكن همه الاكتساب فقط، لو كان همه الإبداع؛ وهذا الذي دعاه إلى الخروج على عمود الشعر وتقاليد القصيدة في اللفظ والمعنى، ويعد هذا من وجهة نظر الكثير من النقاد المحدثين ثورة فنية قوية.

المبحث الثاني: تصنيف المعاني المديحيَّة والقيم الخلقية في شعر أبي تمام

- **الحكمة والأخلاق**

استغرقت الحكمة جانبا كبيرا من شعر أبي تمام، وقد استمدَّها من ثقافته المتنوعة، وجمع شتات حكمته من ثقافات شعوب وحضارات مختلفة، فهو لم يألُ جهدًا في النهلِ من معين الثقافتين: الهندية والفارسية على وجه الخصوص إضافة إلى اليونانية وثقافته الأم العربية حتى قيل: إنه الحكيم أو شاعر الحكمة، ويؤكد ذلك المتنبي قائلا: "أنا وأبو تمام حكيمان، أما الشاعر فالبحتري"[14]. ثم يعترف المتنبي بشاعرية أبي تمام وأثره، فيقول: "أو يجوز للأديب ألا يعرف أبا تمام، وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده"[15]

ومما لا شك فيه أن حكمته هذه انعكست على مديحه، بل تناثرت في جلها؛ فأظهرت المعاني المديحيَّة صفات الوقار والحزم والرزانة التي تعد من أولى أولويات المثل الأخلاقي عند الممدوح أيًّا كان منصبه أو عمله.

(12) عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله، دار لبنان، بيروت، 1964م ص30.

(13) عيسى المصري، الوعيُ الشِّعريُّ عند أبي تمام - قراءة نسقيَّة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، تصدر جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، المجلد30 ، عدد12، 2016م ص 249.

(14) يوسف البديعي الدمشقي، الصبح المُنْبِي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1994 م ، ص 143.

(15) المرجع السابق، ص 249.

ومن ذلك قوله في مدح محمد بن عبد الملك(16):

لُقْمَانُ صَمْتًا وَحِكْمَةً فَإِذَا ... قَالَ لَفْظًا لَقَطْنَا المَرْجَانَ مِنْ خُطَبِه

فما قبل في وصف ممدوحه إلاَّ المثل الأعلى في الحكمة وهو سيدنا لقمان الحكيم -عليه السلام- ثم أيُّ حكمة هذه التي يمتلكها الممدوح؟ إنها حكمة رأس العلم ومنبعه، حكيم في صمته حكيم في نطقه، وأي تشبيه فريد هذا؟ شبَّه الكلام الحكيم والعلم الوافر بالياقوت والجواهر التي يتلقفها السامع من هذا الممدوح، فأي ميزة، وأي سمة يرجوها الممدوح من مادحه أكثر من ذلك؟

ولنتأمل الحكمة والزهد في قوله(17):

أَلَمْ يَأْنِ تَرْكِي لا عَلَيَّ وَلا لِيَا ... وعَزْمِي عَلَى مَا فِيهِ إِصْلاحُ حَالِيَا؟

فهو يقر بأن الزمن قد مضى بما كان، وأنَّ الوقت قد حان للتفكُّرِ في الصلاح الذي يقود إلى الفوز بالآخرة، فهو يُذكِّر نَفسه قبل غيره ويَعِضُها بأن ينحو نحو الصلاح، وهذا من أهم مآثر الرجل الصالح الحكيم، صاحب الخلق الرفيع.

وقد ترددت حكمته في أكثر من موضع فيما يخص الشكوى من الزمن ومرارة الأيام، وما على المرء أن يكون؛ إذ يعدُّ الزمن صاحب سياسة خرقاء، فيقول(18):

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً ... سُدًى لَمْ يَسُسْهَا قَطّ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَ يَوْمٍ وتَغْتَدِى ... خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ

الناظر لهذه الأبيات يجد أن قائلها مُتَمَرِّس بالتعامل مع خطوب الحياة، قادر على تجاوزها، وهذا من أهم صفات الرجل الذي يعدُّ صاحب خلق وحكمة.

وأبو تمام شاعر الحكمة في عصره، "تلك الحكمة التي اختلطت بالفلسفة وامتزجت بالثقافة العالية التي لم تكن لشاعر كما كانت لأبي تمام، ومن الجدير بالذكر أنه عند ذكر الحكمة فإنها ترتبط بالشاعر البحتري، إلا أن المتأمل والمُتمَحِّصَ يجد أن البحتري تَبِعَ أُستاذه أبا تمام في ذلك، فالبحتري -إن صح التعبير- نتاج لأبي تمام؛ إذ إنه نَهَجَ نهجَ أستاذه في الحكمة والفلسفة، إلا أنه لم يرتقِ لمستوى أستاذه في ذلك"(19)، "والحقيقة أنه

(16) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة م 1، ص 274. البحر المنسرح.

(17) المرجع السابق، م4، ط3، ص 600. البحر الطويل.

(18) المرجع السابق، م 2، ص 324. البحر الطويل.

(19) انظر: شوقي ضيف، كتاب تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 285-287.

تبعه في العلم، ولم يتبعه في الشعر، لقد التزم البحتري عمود الشعر، وطريقة العرب في نظم الشعر لفظا ومعنى، وهذا ما أكده كثير من النقاد".[20]

وقيل عن تدينه: "ديوانه وما به من مواعظ دينية يشهد على صحة إسلامه، وليس في ديوانه وراء ذلك ما يصور أنه كان عابثًا أو ماجنًا، والحق أنه كان وقورًا، وكان يَتَرَفَّعُ عن الدنايا، وكان مخلصًا لدينه، كما كان مخلصًا لعروبته".[21]

وليس أدل من هذه الشهادة على أن أبا تمام نهج في مديحه نحو الحكمة طائعًا مُحبًا، لا مُتزلفًا مخادعًا، وإن كان يستخدم الحكمة في المديح، إلَّا أن ذلك تصوير لما في نفسه.

أبو تمام استطاع بعبقريته الشعرية الفريدة أن يَسْتَغِل معرفته العالية بالثقافات المختلفة، ويوظفها في شعره، فقد صاغ أبو تمام كثيرًا من الحكم الهندية والفارسية شعرًا، ومن ذلك قوله[22]:

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ وَقَومٍ يُنْفِقُونَ نُفُوسَا!

أخذ أبو تمام هذا المعنى من حكمة فارسية مفادها: "إن الحازم يكره القتال ما وجد بدًّا منه؛ لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال".[23]

ومن الحكم المتعلقة بالسيادة، والداعية إلى الفخر بالنفس؛ لما هي عليه من حكمة قوله يمدح مالك بن طوق التغلبي[24]:

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

فالشاعرُ هنا يَمْدحُ ذكاء ممدوحه وحِنْكتهِ وصبرِهِ وتمحيصه للأمور ومعالجتها بالزمان والمكان والطريقة المناسبة.

وبأخلاقه العالية وصفحه وتسامحه يقول[25]:

(20) انظر: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص 4، بتصرف.
(21) شوقي ضيف، كتاب تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 276.
(22) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 2، ص 267.البحر الكامل.
(23)انظر: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج1،1359م، ص 144.
(24) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 1، ص 87.
(25) المرجع السابق، م 1، ص 87. البحر الطويل.

فَأَتَوا كَرِيمَ الْخِيمِ مِثْلَكَ صَافِحًا عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وَضِبابِ

فالسيد الحقيقي الذي يريد أن يسودَ عليه أن يَتَدثَّر بالأخلاق، ويترفَّع عن الأحقاد كما هو حال الممدوح.

أما فلسفته العميقة فلم تكن فارسية فقط، بل كان متأثرا بفكر المعتزلة وفلسفة علم الكلام يؤكد ذلك شوقي ضيف بقوله: "وكان أبو تمام على شاكلة أبي نُواسٍ؛ يَتَعَمَّق الاعتزال وعلم الكلام، بل ويظهر أنه قد تعمقه إلى الفلسفة، وما يتصل بها من المنطق"[26].

كما تظهر فلسفته الاعتزالية في مدحه أحدَهم بقوله[27]:

صَاغَهُمُ ذُو الْجَلالِ مِنْ جَوْهَرِ الْمَجْـ ـدِ وَصَاغَ الأَنَامَ مِنْ عَرَضِه

إذ إن الجوهر عند الفلاسفة والمتكلمين أثبت من العرض. وفي مدحه لأبي سعيد الثغري يقول[28]:

عَمْرِيُّ عُظْمِ الدّينِ جَهْمِيُّ النّدَى يَنْفِي القُوى ويُثَبِّتُ التَّكْلِيفَا

يؤكد الشاعر أن الممدوح سُنِّي العقيدة كعمرو بن عبينة، "في أول البيت جعله عُمري العقيدة، يريد على مذهب عمرو بن عيينة"**(29)** لكنه يعطى بلا منٍّ ولا حساب لاعتقاده أن كل شيء بقدر الله كالجهمية، لكنه يُثبت التكليف كأهل السنة بلا نفي للقدر، لقد أستلَّه من المذمة والقدح فيه بقوله: "جهميٌّ"، أي: قدريٌّ يعتقد الجبر، فأرداف بذلك بقوله: "ويُثَبِّتُ التَّكْلِيفَا"، ويخرجه من مظلة الخبرية، ويرفعه إلى أهل السنة، كأنه يقول: إنه سنيٌّ العقيدة قدريٌّ العطاء.

"وشعر أبي تمام زاخر بما يدل على أنه انقضَّ على معارف عصره انقضاضًا، حتى تَمثَّـلها تَمثُّـلا دقيقًا، وخاصة التاريخ وعلم الكلام وما يتصل به من الفلسفة والمنطق"[30].

وهذا يؤكد أنه أبحر في علوم عصره، وتتبَّع ما جاء من ثقافات وحضارات أخرى غير العربية، فأبو تمام لم يقتصر علمه واطلاعه على المعارف الأدبية بل جال في علوم مختلفة كالفلسفة وعلم الكلام والاعتزال والمنطق، وعلوم أخرى.

(26) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 157.
(27) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 2، ص 317. البحر الكامل.
(28) المرجع السابق ، م 2، ص 387.
(29) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، ص 157.
(30) المرجع السابق، ص 276.

ومن شعره الدال على الخبرة والتمرس قوله يمدح الحسن بن سهل[31]:

وغَرَّبتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ ... وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبا

خَطُوبٌ إِذَا لاقَيْتُهُنَّ رَدَدْنَنِي ... جَرِيحا كَأَنِي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَا

وَقَدْ يَكْسَبُهُم السَّيْفُ المُسَمَّى مَنِيَّةً ... وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظَفَّرُ خَائِبا

وَكُنْتُ امْرِءًا أَلْقَى الزَّمَانَ مُسَالِمًا ... فَآليتُ لا أَلْقَاهُ إِلاّ مُحَارِبا

وهذه صورة فخرية تؤكد خبرته وتجاربه، فالشاعر يفتخر بنفسه واصفا نفسه بالمُسافر المُجرِّب الذي جاب مشارق الأرض ومغاربها، وعرف ما فيها، ولاقى من أهوالها وعجيبها الكثير، الأمر الذي جعل منه رجلًا صعب المِراس صابرًا محاربًا، والملاحظ في هذه القصيدة وغيرها الكثير من قصائد مديحه أنه قلما يترك مدحيَّة لأحد لا يمدح فيها نفسه قبل ممدوح، فعلى الرغم من أنه قال هذه القصيدة يمدح بها الحسن بن سهل إلا أنه لم ينس أن يفتخر بنفسه فيها.

ومن أشعار الحكم له مدحه لعلي بن الجهم، يتحدث فيها عن الصداقة وثبات العقد بين الشعراء والأدب، فقال[32]:

إِنْ يُكْدَ مُطَرَفُ الإِخَاءِ فَإِنَّنَا ... نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءٍ تَالِدِ

أَوْ يَخْتَلِفْ مَاءُ الوِصَالِ فَمَاؤُنَا ... عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمامٍ وَاحِدِ

أَوْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَنَا ... أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مُقَامَ الْوَالِدِ

فهذه صورة فنية جميلة دالة على دُربة الشاعر ودرايته بفنون الشعرِ وصنْعَته؛ فقد استخدم الشاعر مهاراته اللفظيِّة وذوقهِ العالي في انتقاء المفردات؛ لِيُجَذِّر المعنى الذي أراده، فمهما تباعد المادح والممدوح لاختلاف أمور الدنيا إلَّا أنَّ الصلةَ بينهما ذات شأن أدبي أخوي، وثمار هذا الود بقاء الصِّلة قائمة، والأجمل أنه أقام الصلة بينهما على المُثل الخلقية والأدبية.

ويقول أيضًا[33]:

يَوْمِي مِن الدَّهرِ مِثْلُ الدَّهرِ مُشْتَهِرٌ ... عَزْمًا وَحَزْمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحِقَبِ

(31) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 1، ص 143.البحر الطويل .
(32) المرجع السابق، ص 402.
(33) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 1، ص 110.

فأصْغِرِي أنَّ شَيْبًا لاحَ بِي حَدَثًا وَأكْبِرِي أنّني فِي الْمَهدِ لَمْ أَشِبِ

ولا يؤَرِّقكِ إيماضُ القَتِيرِ بِهِ فَإنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأيِ والأدَبِ

لا تُنكِرِي مِنهُ تخدِيدًا تَجَلّلَهُ فالسَّيفُ لا يُزْدَرى إنْ كَانَ ذَا شُطَبِ

ففي هذه الأبيات يعاود الكَّرة فيمدح نفسه، فلا أحد يؤكد أن الشيب يكون في حداثة سن الإنسان، وخصوصًا حين يكون في المهد، فهو يؤكد أنه شاب صغيرا بسبب الحبيب؛ وذلك دليل على ابتسام الرأي والأدب عنده، دلالة على افتخاره بعلمه الغزير وثقافته العالية، وجعل ذلك كله في صورة بديعية جميلة .

ومن أشعار الحكمة والرؤية الأخلاقية عنده ما قاله في حسن الخلق[34]:

فَلَمْ أجِدِ الأخْلاقَ إلا تَخَلّقًا وَلَمْ أَجِدِ الأفْضَالَ إلا تَفَضُّلَا

فأبو تمام عاش في العصر العباسي الأول، وهو عصر مشحون بالمتناقضات، ففيه الزاهد العابد، وفيه الفاجر الفاسق، وفيه شارب الخمر، إضافة إلى الزنديق والشعوبي، وغير ذلك من المتغيرات السريعة، ناهيك عن الأحداث السياسية التي عصفت بالدولة والحكم. كل ذلك قاد أبا تمام إلى التمسك بالفضائل والنأي عمّا يشوب المعتقد من علائق غير سليمة؛ لذا رأيناه في كثير من أشعاره حكيمًا رزينًا يتمسك بالمثل الأخلاقية، ويدعو إلى التمسك بها، ويمدح من أراد بها أيضًا.

ومن حسن الخلق وصفاء النفس مدحه لأبي العباس نصر بن منصور بقوله[35]:

لهُ خُلُقٌ سَهْلٌ وَنَفْسٌ طِبَاعُهَا لِيَانٌ وَلَكِن عَزْمهُ مِنْ صَفَا صلْدِ

فالممدوح قد جمع حسن الخلق ولين النفس ورحمتها مع القسوة والشدة حين اللزوم، وقلما تجتمع الشدة واللين في رجل، كل بوقته المناسب له.

ومن حسن الصبر والثبات في وجه الزمان قوله فيه[36]:

إذَا طَرَقَتهُ الحَادِثاتُ بِنَكْبَةٍ مَخَضنَ سِقَاءً مِنْهُ لَيْسَ بِذِي زَبَدِ

فالممدوح لا ينثني ولا يلين لحوادث الزمان، بل يصبر ولا يخضع، فشبهه بالسقاء الذي ليس فيه زبد، فمهما مخضه الماخض لا يجد فيه ما يريد، كذلك شأن الممدوح مهما اشتدت به الأزمات فلن تجد فيه خضوعًا ولا استكانة.

(34) المرجع السابق، م 3، ص 105. البحر الطويل.
(35) المرجع السابق ، م 2، ص 65. البحر الطويل.
(36) المرجع السابق، م2، ص 66. البحر الطويل .

أما الصبر وسعة الخلق فنجدها مجتمعه في الحسن بن سهل؛ إذ يقول الطائي(37):

كأنّمَا هُوَ مِنْ أَخْلاقِهِ أبدًا وَإنْ ثوى وَحْدَهُ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

فالممدوح بقدرته على مواجهة نوائب الدهر والصبر والثبات كأنه يواجه جيشًا كبيرًا، وإن كان وحده.

وقريب من القول الأول قول أبي تمام وصفًا للحسن بن وهب (38):

تَلْقَى السُعُودَ بَوَجْهِهِ وُتحِبُّهُ وَعَلَيْكَ مَسْحَةَ بِغْضَةٍ فَتُحَبِّبُ

فيرى الشاعر أن هذا الممدوح محبوب محب، صاحب وجه بشوش ومتلق طيب، ليضيف الطائي أن المرء إذا كان مبغوضا لدى الناس، فإنهم سينسون ذلك البغض بمجرد أن يروا مدح الشاعر لهذا المرء.

وله صورة جميلة في كيفية نشر الفضيلة؛ إذ أبدع حين أغرب في رسم هذه الصورة حين قال(39):

وَإذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلةٍ طَوَيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لقد رسم صورة رائعة جميلة فنية، حيث يرى أن حامل الحسد أخيرًا أصبح مفيدًا من خلال نشره لفضيلة مَنْسِيَّة أرادَ اللهُ لها الظهور بين الخلْقِ مرَّةً أخرى.

ومن قصيدة فتح عمورية نختطف قوله يمدح المعتصم(40):

وَحُسْنُ مُنقَلَبٍ تَبْدُو عَواقِبُهُ جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنقَلَبِ

فهو يريد بأن حسن المنقلب والبشاشة جاءت للمسلمين من سوء منقلب الكفار، وهذا قريب من قول المتنبي: "مصائب قوم عند قوم فوائد"، كذلك يظهر تقلُّب الأحوال بين البشر، وهو ما يذكِّر بقوله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ)(41)، فهذا من بدائعه الجميلة المتعلقة بالحكمة.

وقريب من قوله هذا ما قاله في مدح محمد بن يوسف الثغري، يقول(42):

(37) المرجع السابق، م1، ص 114.البحر البسيط.
(38) المرجع السابق ، م1، ص 133.البحر الكامل.
(39) المرجع السابق، م1، ص 397.البحر الكامل.
(40) المرجع السابق، م1، ص 58.البسيط .
(41) سورة آل عمران، الآية 140.
(42) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 2، ص 462.البحر الطويل .

فَمَا تَتْرُكُ الأَيَّامُ مَنْ هُوَ آخِذٌ وَلا تَأْخُذُ الأَيَّامُ مَنْ هُوَ تَارِكُ

فَالأَيَّامُ دُوَلٌ، وَلا شَأْن أَوْ قُدْرَة للبشر فِي تغيير القدر.

وبتبدل الحال وغدر الزمان يقول(43):

كَمْ فَتًى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَلْـ ـقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ القَبِيضُ

فالزمان متغير متقلب، لا يبقي صفو العيش للفتى على حاله، بل يبدل حاله ويذيقه مرارة الأيام وعسر الحال بعد أن كان الخلق كلهم يؤم هذا الفتى؛ لسعة حاله وغناه.

ومثله قوله(44):

كَمْ أَدَّتِ الأَيَّامُ مِنْ حَدَثٍ كَفَتْ أَيَّامُهُ حَدَثَ الزَّمَانِ المُعْضِلِ

والمقصود بالحدث الأول الفتى والحدث الثاني أحداث الزمان وتقلباته على الفتى.

ويقول في مدح قوم مالك بن طوق التغلبي(45):

مُتَدَفِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ إِنَّ السَّمَاحَةَ صَيْقَلُ الأَحْسَابِ

فمن لطيف صنع أبي تمام أن وصفهم بالكرم زيادة على السماحة التي أراد بها اللطف والبشاشة عند هؤلاء القوم، فمن جميل طباعهم جمع الكرم ودماثة الخلق، فجاء المدح جامعًا للكرم والحكمة في آنٍ واحد.

ومن أمثلة المدح بالحكمة عند الطائي مدحه للتغلبي بوصفه لامًّا للشمل جامعًا موحِّدًا، ومن ذلك قوله(46):

والسَّهمُ بالرِّيشِ اللِّوَامِ وَلَنْ تَرَى بَيْتًا بِلا عَمَدٍ وَلا أَطْنَابِ

فهذه رويَّة ومعان لا يختلف في صحتها اثنان، فالشاعر يُشبِّه اللُّحمة والتوافق بتوافق وتراتب ريش السهم الذي كان مُرتَّبا، ويؤكد بالشطر الثاني بمسلَّمة مفادها ألَّا بيتَ بلا عمد أو حبال. ومقصوده من ذلك أن الممدوح فيه من الحكمة ما يجعله يؤلف بين قلوب أبناء قبيلته، ويجمع كلمتهم تحت رايته؛ ليلتفوا حوله في السراء والضراء. ويكمن الإبداع هنا في كيفية إيصال المعنى والفكرة للممدوح من خلال وصفه بالسهم ووصف قومه بالريش في الشطر الأول ووصفه بالبيت وقومه بالعمد والحبال في الشطر الثاني.

(43) المرجع السابق، م 2، ص289.البحر الطويل .
(44) المرجع السابق، م3، ص 50.البحر الكامل .
(45) المرجع السابق، م 1، ص 79.
(46) المرجع السابق، م1، ص 88.البحر الكامل .

ومن مدحه للحسن بن سهل يقول(47):

يَطُولُ اسْتِشَارَاتِ التَّجَارِبِ رَأيُهُ إذَا مَا ذَوُو الرَّأيِ اسْتَشَارُوا التَّجَارُبَا

فهو يمدح رزانة فكره ورجاحة عقله، فأهل الرأي يستشيرونه عند اختلاط الأمور عليهم، والتجارب تأخذ من آرائه حين تحتاج. فالممدوح يمتاز بالحكمة والقدرة على التصرف في الأمور العضال.

وقريب من هذا المعنى قوله في مدح الحسن بن وهب(48):

أحرَزْتَ خَصْلَيْهِ إليْكَ وأقبَلَتْ آرَاءُ قَوْمٍ خَلْفَ رَأيَكَ تُجنَبُ

وَإذَا رَأيْتُكَ وَالْكَلامُ لآلئٌ تُومٌ فَبِكرٌ فِي النِّظامِ وثَيِّبُ

فرأي الممدوح هو السابق والراجح، وهو من آرائه على ثقة مطلقة، وآراء الآخرين تندحر عند إبدائه لرأيه بأية مسألة كانت، ثم إنه يرى في ممدوحه بأنه صاحب ابتكارات وحلول فعالة لم يسبقه أحد بطرحها، أما إن كانت آراؤه قد سبق إليها فإنها أيضًا تكون صوابًا وحكيمة.

ومدحه لعياش بن لهيعة بقوله(49):

رَأيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إلّا فِي اللّبابِ المُهذّبِ

إذ إنه وجد في ممدوحه أخلاقًا لا تجتمع إلا لصاحب لُبٍّ حكيم، يصفه بالمُهذَّب الذي لا تعتريه القبائح، العاقل الذي يتصرف بحكمة، وهذا مدح جميل فنيا؛ لأنه يجمع بين العقل والعاطفة، أو الحكمة وحسن الخلق.

أما الأخلاق عند الحسن بن وهب فهي مما يطمع بأن تهدى وتوهب. يقول(50):

وَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً إنْ كَانَتِ الأخْلاقُ مِمَّا تُوهَبُ

وللممدوح نفسه في مرة أخرى نجده يجعل أخلاقه قمة عالية مقدسة، لا يرتقي إليها إلَّا صاحبها، بعيدة عن دنس المدنسين، صعبة المنال والنوال. فيقول(51):

أَبُو عَلِيٍّ أَخْلاقُهُ زَهْرٌ غِبَّ سَمَاءٍ وَرُوحُه قُدسُ

(47) المرجع السابق، م1، ص 144.البحر الطويل .
(48) المرجع السابق، م1، ص134.
(49) المرجع السابق،، ص 152.البحر الطويل.
(50) المرجع السابق،، م1، ص 137.البحر الكامل.
(51) المرجع السابق، م2، ص230.البحر المنسرح

فقد شبهه بالزهر بعد أن أمطرت السماء عليه، فالزهر بهذه الحالة يكون في أبهى صوره، وأكثر حالات نضارته، كذلك حال الممدوح. إضافة لما عليه أخلاقه من قدسية وسمو، ولعظيم الخلق وبلوغ منتهاه نجد الشاعر يمدح المأمون بقوله(52):

فَإِذَا بَنَيْتَ بِجُودِ يَوْمِكَ مَفْخَرًا عَصَفَتْ بِهِ أَرْوَاحُ جُودِكَ فِي غَدِ

وَبَلَغْتَ مَجْهُودَ الْخَلَائِقِ آخِذًا فِيهَا بِشَأوِ خَلَائِقٍ لَمْ تُجْهَدِ

فقد حصل الممدوح على الخلق العظيم ومكارمه دون جهد منه؛ وذلك لأصالة ذلك في نفسه، في حين يتعب الخلق ويجدون في جمع محاسن الخلق فإن الخلق جمع للمأمون دون كد ولا عناء.

وقوله يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة(53):

خُلُقٌ مُشْرِقٌ وَرَأيٌ حُسَامٌ ووِدَادٌ عَذْبٌ وَرِيحٌ جنُوبُ

فقد جمع في الممدوح الخلق المشرق المشرف والرأي السديد واللقاء الصافي المغني.

أما أخلاق الحسن بن سهل فالشاعر يراها من العظم ما لو قسمت على الخلق لكفتهم، وما وجدت العيب والخسة فيهم، فقال(54):

لَوْ اقتُسِمَتْ أَخْلاقَهُ الغُرُّ لَمْ تَجِد مَعِيبًا وَلا خَلقًا مِنَ النّاسِ عائِبَا

وقال يمدح داود الطائي(55):

أَصْبَحَ فِي النّاسِ مَحْمُودًا لسُؤْدُدِهِ لا زَالَ مُكْتَسِيًا سِربَال مَحْسُودِ

وهذا مما يجد السيد لنواله، ثم إن الحسد يلاحقه وهذا دليل على سيادته وارتقاء خلقه.

- **الزهد باب الحكمة وترك أوامر النفس**

أما الزهد والرغبة عن الدنيا فهو من الفضائل المحمودة التي تدل على أن صاحبها ارتقى بنفسه عن الشهوات ونأي بها عن الملذات؛ ليسمو بها إلى المعالي والسؤدد،

(52) المرجع السابق، ص 53.البحر الكامل.
(53) المرجع السابق، م 1، ص 294.البحر الخفيف.
(54) المرجع السابق، م 1، ص 143.البحر الطويل.
(55) المرجع السابق، م 2، ص 108.البحر البسيط.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾(56)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾(57). وقال جل شأنه: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾(58)؛ لذا فإن المسلم الحق عالم بغاية الله من خلقه على هذه البسيطة، وعالم بأن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء.

ولم ينس الطائي مدح ممدوحيه بهذا الباب العظيم؛ لعلمه اليقين بمحبة الخَلقِ لهذا الخُلُقِ، على الرغم من القِلَّة القليلة التي تتمتع به، فقال يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة(59).

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُؤْدُدٌ ... وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيِّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ ... بِعُصْفُرِهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزاهِدِ

مُحَمَّدُ يَا ابن الهَيْثَمِ ابن شَبَابَةَ ... أَبِي كُلَّ دَفَّاعٍ عَنِ المَجدِ ذَائِدِ

فهذا الممدوح يَتَمَتَّع بِقدر عالٍ من الخُلُقِ ما يجعله يَصدُّ عن الدنيا ومَلَذَّتِها. وحتى وإن كانت بأبهى حُلَلِها وأجمل صُوَرِها. ثم يؤكِّد لنا الشاعر التزام الممدوح بهذا النُبل بأن اشترط على المُسْتَحِقِّ لِلَقَبِ الزاهد أن يزهد عن عظيم المَلَذَّات لا عن صغائر المُغْرِيات، لِيُعاود بعد ذلك تأكيد أن ممدوحه يسعى للمجد لا للشهوات والمتعة الفانية.

وقال في القناعة والرضا بالقسمة وعدم الغلو في اللهاث وراء الدنيا(60).

مَن زاحَفَ الأيَّامَ ثم عَبَا لهَا ... غَيرَ القَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولَا

فمن ابتغى غير القناعة والقسمة بقي في حياته تعبا ودائم الخسران، والأجمل من ذلك استخدام الشاعر للفظة (زاحف) فهي كلمة نُظِمَت في موقعها الصحيح فلا أجدر ولا أكثر قناعة من هذه الكلمة بمثل هذا الموقع، فالله تعالى يصف حياة الإنسان بالتعب والشقاء، وأنها في كبد، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾(61)، والزحف الذي اختاره الشاعر أقرب ما يدل على السعي المُضني الشاق؛ فصورة الساعي بالزحف تتطلب رؤية المشقة والتعب والبطءَ، ويدل ذلك على روعة ألفاظ الطائي وعميق فكره وبراعة اختراعه.

(56) سورة فاطر، الآية 5.
(57) سورة آل عمران، من الآية 185.+
(58) سورة النساء، من الآية 77.
(59) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م2، ص 73.البحر الطويل.
(60) المرجع السابق، م3، ص 67.البحر الكامل.
(61) سورة البلد، الآية رقم 4.

- **صلة الرحم وحفظ حق الجار ومساعدة المحتاج**

أمّا صِلة الرحم وحفظ الجار ورعاية حقه فهي من قيم العربي وأخلاقه الحميدة، وقد جاء عليها أبو تمام ولم يغفلها، فقال في مدح مالك بن طوق التغلبي(62):

لَمْ تَرْمِ ذَا رَحِمٍ بِبائِقَةٍ وَلا كَلَّمْتَ قَوْمَكَ مِن وَرَاءِ حِجَابِ

فهذا المدح يقود إلى أن الممدوح على خلق عالٍ في الحفاظ على صلة رحمه، ومراعاة مقامهم وحفظ حقهم في نفسه وتصرفاته تجاههم، إضافة إلى دماثة الخلق والتواضع، فهو يلاقي أهله بصدر رحب، ولا يتكبر عليهم أو يكلمهم من وراء حجاب، وتظهر براعة الطائي في هذا الموضع في التضمين من ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ ضمَّن معنى بيته ولفظه من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾(63).

فهذه الآية الكريمة نزلت بحق رجلين من أهل الطائف رفعَا صوتيهما في مسجد رسول الله، وقيل إنها نزلت بحق أبي بكر وعمر، والجماعة الذين نادوا رسول الله من خلف الحجرات بصوت عالٍ.

كذلك الأمر عند مدحه لابن مالك بن طوق (عمر) فيصفه كما وصف والده من قبل ويزيد، فقال(64):

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ عُرْفُهُ لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ

فالشاعر يرى أن الممدوح يودُّ أقاربه ويصل رحمه لكن دون أن يعطيهم؛ فهم ليسوا في حاجة. أما الوصل بالعطاء فيكون لمن هم أبعد عن الممدوح نسبًا، ويكون بهذا قصد نفسه، وأنه ينتظر من الممدوح العطايا والصلات.

وهذا البيت كان مثار جدل بين الآمدي وأنصار أبي تمام، يعلل الآمدي سبب ذمه البيت قائلا: "لأنه نقص الممدوح مرتبة من الفضل؛ إذ جعل وده لذوي قرابته، ومنعهم عرفه، وجعله في الأبعدين دونهم. ولا أعرف له في هذا عذرا يتوجه. وقد عارضني في هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نصرة أبي تمام. فقال بعضهم: إن العرف هو ما يتبرع به الإنسان، فلذلك جعله في الأباعد، فأما الأقارب فإن برهم وصلتهم من الحقوق اللازمة"(65).

(62) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 1، ص 80.البحر الكامل .
(63) سورة الحجرات، الآيات 2-5.
(64) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 1، ص 103.البحر الكامل.
(65) الآمدي، الموازنة، ص175.

وفي رأي الباحثة أن الآمدي تحامل على أبي تمام في هذا البيت، فالممدوح كريم يعطي القريب والبعيد، يؤكد على ذلك: أنه يود أقاربه بالعطاء وغيره حبا وجوبا، أما العرف فهو عطاء للأباعد حبا وكرها، وهذا ما يفسر قوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"(66)، قال السعدي: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم. فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق؛ فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم .. ."وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ"، أي: بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد .ولما كان لابد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلته بجهله."(67)، خلاصة القول: إن الود للخواص من ذوي القربى، والعرف عام للقريب والبعيد.

وعند مدحه للمعتصم صور لنا حفظ الجار وحقه بصورة جميلة ملزمة للمخاطبين فقال(68):

مَلِكٌ غَدَا جَارَ الْخِلافَةِ مِنكُمُ وَاللهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْجَارِ

فهو يذم الإفشين ومن عاونه (منكم)؛ إذ يذم غدرهم، ويذكرهم بأن الخلافة قد أصبحت للمعتصم وملازمة له ملازمة الجيرة، ولا بد من حفظ هذه الجيرة التي أوصى الله بها. ومن ذكاء أبي تمام أنه جمع ثلاث صفات عظيمة في المعتصم بهذا البيت، فوصفه بالملك ثم هو خليفة وأخيرًا هو جار، وتلك صفات لا يتجرأ أحد على مسِّها بسوء، فهو بهذا يُقذع بذمِّ الإفشين وجماعته ويُخجلهم بتصرفاتهم. ومن جهة أخرى يُرضي المعتصم ويُثني على مُلْكِه وحقِّهِ في السلطة والخلافة.

واستطاع أبو تمام أن يُضمِّنَ حديثًا للرسول الكريم في مدحه لمحمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي، فيقول(69):

رَهَطَ الرَّسولِ الذي تَقَطَّعَ أسـ ـــبابُ البَرايا غدًا سِوى سَبَبِه

فقد وصف الممدوح بأنه من آل البيت، وضمَّن حديث رسول الله الذي يقول فيه: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) (70)، وهو بهذا يُظهر جانبًا شخصيًّا خاصًّا به، ألا وهو التزامه أو اطلاعه أو

(66) سورة الأعراف، الآية: 199.
(67) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، مقدمه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل والشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط7، 1440م، ص 344.
(68) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م2، ص198.البحر الكامل.
(69) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م1، ص 271.البحر المنسرح.
(70) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، 1995 م، ج 5، ط 1، ص 35.

صِلته بالدين، وأيضًا يؤكد حُبَّه للرسول الكريم. أمّا بالنسبة للممدوح فيكفيه ما أضفاه عليه من جلال وقدسية أن جعله من رهط الرسول ومن سلالته.

ثم يتابع وصف الممدوح بالمثل الخلقية السامية، فيقول(71):

مُهَذَّبٌ قَدَّتِ النُّبُوَّةُ والإســـ ـــــلامُ قَدَّ الشِّرَاكِ مِن نَسَبه

لَهُ جَلالٌ إذا تَسَربَلَهُ أكسَبَه البَأوَ غَيرَ مُكتَسِبِه

إذ إن الممدوح عظيم مهاب مهذب صاحب خلق وفضيلة في أعين الناس دون أن يسعى لذلك.

يقول في حسن استقبال الزائر والمحتاج عند عمر طوق(72):

وَمُرَحِّبٍ بالزَّائِرِينَ وَبِشْرُهُ يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلٍ لَدَيْهِ ومَرحَبِ

يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا مَا حَطَّ فِي أَكْنَافِهِ رَحْلُ الْمُكِلِّ الْمُلْغِبِ

فهو يرى ممدوحه محطًّا للمسافر، الذي تعب من وعثاء السفر والذي كلَّت راحلته، إذ يجد عنه كرمًا غامرًا وخيرًا عظيمًا.

- **الكرم والجود في مديح الطائي:**

يعد الكرم مثالًا شامخًا للخلق القويم بين القبائل، تجده محط عناية واحترام القادة والأمراء، ومحط نظر الشعراء والمحتاجين، ولا يخفي دور الشعراء الكبير في رصد هؤلاء وإعلاء صيتهم بين القبائل، وفي الأمصار القريبة والبعيدة، إلى أن أصبح كثير منهم مضرب المثل على مر الزمان بكرمهم وحسن وفادتهم كحاتم الطائي.

وللكرم في أشعار أبي تمام كم هائل وحضور زاخر في مدح ممدوحيه بهذا المثل الخلقي، فلا تكاد تخلو منه موقعة ولا نازلة، فالأحداث والزيارات والحضور والتواجد كل ذلك نال الحظ الوافر من إضفاء صفة الكرم والجود على الممدوح.

ففي كرم المعتصم يقول(73):

كَأَنَّ أَموَالَهُ وَالبَذْلُ يَمْحَقُهَا نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذِيرُ أو نَفَلُ

(71) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م1، ص271.البحر المنسرح.
(72) المرجع السابق ، م1، ص 101.البحر الكامل.
(73) المرجع السابق، م3، ص 11.البحر البسيط.

فهذه صورة معتادة عند أهل الكرم، فأموالهم دائمًا في مهب الريح، لا يهتمون ببقائها في أيديهم. وأبدع الشاعر باستخدام ألفاظ تناسب السياق، وتقوي المعنى فبذل المعتصم لأمواله كان عن طريق المحق والنهب والتعسف والنفل، كلها ألفاظ قوية، وغريبة بعض الشيء؛ إذ اعتاد العرب استخدام هذه الألفاظ في مواضع أخرى، وهو ما سُمي بـــ: (غريب اللفظ عند أبي تمام).

ومن ذلك قوله يمدح مالك بن طوق التغلبي(74):

لا جُودَ فِي الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَتَّابِ

فقد قصر الطائي الجود في بني عتاب، وهم قوم الممدوح، بل زاد على ذلك بأن جعل الجود حليفًا لهم.

وبالقصيدة نفسها يقول(75):

لِلْجُودِ بَابٌ فِي الأَنَامِ وَلَمْ تَزَلْ يُمْنَاكَ مِفْتَاحًا لِذَاكَ الْبَابِ

ومرة أخرى قصر الجود على مالك بن طوق بأن جعله حصرًا عليه؛ إذ جعل للكرم بابًا، ومفتاح هذا الباب كف الممدوح، وبهذا تتضح براعة الشاعر في نظم الألفاظ وصقل المعاني بالطريقة التي يريدها.

ومن قصيدة أخرى للممدوح نفسه نجده أبدع في إبراز ظاهرة الكرم، فقال(76):

مُفْتَرَسٌ مَالُهُ وَلَسْتَ تَرَى فَرِيسَةً عِرضَهُ لِمُفتَرِسِ

إذ شبه كرم الممدوح وعطائه بالافتراس، هذا الجود يفترس المال كأنه وحش ينقض على فريسته، فيمزقها، وهذا دلالة على مبالغة الممدوح في العطاء، كذلك فإنك تجده حاميًا لِعرضه من أي دنس، فلا أحد يجرؤ على المساس به أو الاقتراب من حياضه.

ومن مدحه لعمر بن طوق يقول(77):

يُعْطِي عَطَاءَ المُحْسِنِ الْخَضِلِ النَّدَى عَفوًا ويَعْتَذِرُ اعْتِذَارَ المُذْنِبِ

فهو يجزل العطاء دون كلل أو مِنة، بل ـلحسن خلقه – يرى نفسه مقصرًا في إكرام النازل به مهما قدم.

وفي القصيدة نفسها نجد براعة أبي تمام في طلب الكرم الممدوح قل نظيرها، فهو يطلب الصلة دون تذلل، بل يطلبها بطريقة تجعل الممدوح يصله وهو مسرور بعطائه له؛ إذ يقول(78):

(74) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، ص 78.البحر الكامل.
(75) المرجع السابق، م1، ص 80. البحر الكامل.
(76) المرجع السابق، م 2، ص241. البحر المنسرح.
(77) المرجع السابق، م1، ص 101.البحر الكامل.

بَحْرٌ يَطِمُّ عَلَى العُفَاةِ وَإِنْ تَهِجْ ... رِيحُ السُّؤَالِ بِمَوْجِهِ يَغْلَوْلِبِ

والشَّوْلُ مَا حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُهَا ... وَتَجِفُّ دِرَّتُهَا إِذَا لَمْ تُحْلَبِ

فهو هنا يصف الممدوح بالكرم، ويرسم لذلك صورة نادرة، فهو يراه كالبحر في العطاء وكالناقة الحلوب، ذاك البحر الذي يعطي دون حساب، وتلك الناقة التي تعطي إن حلبت، فهو يوصل رسالة للممدوح بأن يجزل عليه العطاء بعد أن أوضح فكرة أن لا بد للسائل (الطالب) من الطلب، وأن الأمر متعلق بالسائل لا بالمسؤول، فالمسؤول جاهز بوفرة لكن عند السؤال فقط، وهذا مما يدل على دهاء أبي تمام وحيله القوية في حث الممدوح على الوصل والعطاء الجزيل.

وفي مدح الحسن بن وهب يقول(79):

الحَسَنُ بنُ وَهْبِ ... كَالْغَيثِ فِي اِنْسِكَابِهِ

فِي الشَّرْخِ مِن حِجَاهُ ... والشَّرخِ مِن شَبَابِهِ

والْخِصْبِ مِن نَدَاهُ ... وَالخِصْبِ مِن جَنَابِهِ

ولعل من أهم دلائل صور الكرم عند العرب: وصفهم الممدوح بالغيث فضلًا عن استخدامه لكلمة (انسكاب) دلالة على كثرة العطاء وجزيل الوصل، وهذه لَمحة أُخرى يُتحِفنا بها الطائي؛ إذ استعمل الصورة القديمة في وصف الكريم بالغيث، لكنه أبدع في إخراجها الإخراج الجديد، فقد جعل هذا الغيث ينسكب دلالة على عِظَمه وكثرته.

ونجد تكرار المشهد نفسه والصورة نفسها عند مدحه للحسن بن سهل بقوله(80):

كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيِّقُهُ ... وَإِنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ كَانَ فِي الطَّلَبِ

و"ريَقُّه، أي: أوله، وهو (فيعل) من راق يروق. يقول: هو جواد كالغيث، وإن قصدت ناحيته وإفاك أول مائة، وإن رحلت عنه تبعك وجد في طلبك، أي يجود عليك حيث كنت"(81).

ومرة أخرى وبالممدوح نفسه يستخدم كلمة الغيث كناية عن كرمه، فيقول(82):

(78) المرجع السابق، م 1، ص 105.البحر الكامل.
(79) المرجع السابق، م1، ص 108. البحر مجزوء الرجز.
(80) المرجع السابق، م1، ص 113.البحر البسيط.
(81) المرجع السابق، ص 113.
(82) المرجع السابق، م 1، ص 143.البحر الطويل .

هُوَ الْغَيْثُ لَوْ أَفْرَطْتُ فِي الْوَصْفِ عَامِدًا لِأَكْذِبَ فِي مَدْحَيهِ مَا كُنْتُ كَاذِبَا

والصورة قريبة من هذا عند أبي الحسن بن مر، فاستخدم لفظة الندى مرة في كرمه، وأخرى في كرم قومه، فقال(83):

كَمْ حَالَ فَيْضُ نَدَاهُ يَوْمَ مُعضِلَةٍ وَبَأْسُهُ بَيْنَ مَنْ يَرْجُوهُ وَالْمِحَنِ

فاستخدام الشاعر كم الخبرية دلالة واضحة على أن كرم هذا الممدوح لا حد له، والكرم عنده يفيض كما يفيض الماء بلا حساب، وأن كرمه يكون كالمسحة الشافية لكل مكروب، ثم يضيف بقوله(84):

قَوْمٌ إِذَا هَطَلَتْ جُودًا أَكُفّهُمُ عَلِمْتَ أَنَّ النّدَى مُذْ كَانَ فِي اليَمَنِ

فمرة أخرى نجد لفظًا خاصًّا بالماء، وهو الهطول، وجميعها تقود إلى الكرم وعظيم السخاء.

ويعود الندى دالًّا على عظيم السخاء مرة أخرى، فقال يمدح دينار بن عبد الله(85):

نَشِيمُ بُرُوقًا مِنْ نَدَاكَ كَأَنّهَا وَقَدْ لاحَ أولاهَا عُرُوقٌ نَوابِضُ

فكرم هذا الممدوح قوي واضح كالبرق، فإن كان أول عطائه كالبرق فمن المؤكد أن ما سيأتي بعد ذلك عظيم، ثم إن تدفق كرم الممدوح واضح جلي كما هي عروق اليد ظاهرة.

"ويتابع الشاعر على نفس النسق، مستخدمًا اسم (جعفر) والذي هو النهر الكثير الماء"(86)، للدلالة على فيض الكرم وكثرته.

فقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات(87):

أَبَا جَعْفَرٍ أَجْرَيْتَ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ لنَا جَعْفَرًا مِنْ فَيْضِ كَفّيْكَ سَلْسَلَا

فقد أبدع الشاعر مُجانسًا بين جعفرٍ وجعفرًا، فأيقظ إحساس الممدوح عُنوة بذلك، فالخيال صنع الصورة في هذا البيت، فالممدوح يُكنّى بأبي جعفر، وجعفر من أسماء النهر، وبهذا ما ترك للممدوح من خلاص في قبول هذا المدح بعد أن أيقظ فيه الزهوَ بطريقة لائقة جاذبة.

(83) المرجع السابق، م 3، ص 339.البحر البسيط.
(84) المرجع السابق، م3، ص 339.البحر البسيط.
(85) المرجع السابق، م 2ص 298.البحر الطويل .
(86)انظر:المرجع السابق، م1، ص 98.
(87) المرجع السابق، م 3، ص 98.البحر الطويل

وفي كرم أحمد بن عبد الكريم يقول(88):

لا تَعْدِمَنّكَ طَيِّيءٌ فَلَقَلّمَا عَدِمَتْ عَشيرَتُكَ الْجَوَادَ السَّيِّدَا

فهو يمدح ممدوحه ويمدح قبيلته التي هي قبيلة الشاعر أيضًا، ويذكرنا بحاتم الطائي، وهو بهذا يكون قد مدح ثلاثة ممدوحين كرامًا، وهنا تبرز خصيلة اعتدنا على مُلاحظتها، إذ قلَّما نجد له قصيدة لا يمدح بها نفسه، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أو عن طريق فخره بشعره، وهذه المرَّة عن طريق مدحه وفخره بقبيلتهِ (طيء).

وعند مدحه لعياش بن لهيعة تراه يقول(89):

لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَغِضْ وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ امْرُؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ

أَخُو أَزَمَاتٍ بَذْلُهُ بَذْلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا وَلكِن عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

فالماء مصدر للحياة لا يفارق مدح الطائي لممدوحيه؛ لشدة ما فيه من دلالة على السخاء والجود. ويضيف الشاعر للممدوح صفة أخرى قائلا(90):

إِذَا أَمَّهُ الغَافُونَ أَلْفَوا حِيَاضَهُ مِلاءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

إِذَا قَالَ أَهْلًا مَرْحَبًا نَبَعَتْ لَهُمْ مِيَاهُ النَّدَى مِنْ تَحْتِ أَهْلٍ ومَرْحَبِ

استخدم الشاعر كلمة (أمَّهُ)؛ وليس أيُّ كلمة أخرى تفيد الغرض منها، فدلالة هذه الكلمة أقوى وبها مبالغة؛ إذ تجعل السامع يغوص في بحر من الطاقة المتدفقة؛ فبها يكون الممدوح غمامًا، وبها يكون زُوَّارهُ كُثُر، وبها يشعر السامع بشهرة الممدوح وقيمته بين الخَلْقِ. أمّا كلمة حِياضه فلها من الدلالة العمق ذاتهُ؛ فلم يقل بيته أو قصره أو سكنه أو مضاربه مثلًا، فالحياض مسرح دائم الحركة كثير الأحداث، لا يفتر عن التبدل والتغيُّر، كذلك الأمر في استخدامه كلمة روضه، فالروض دائم الخُضرة والعطاء والبهجة وسرور للناظرين.

ولا تنتهي صور أبي تمام في باب الكرم، فهو يولد ما لم يكن موجودًا ويلبس القديم حلة جديدة، فيقول في أبي سعيد الثغري(91):

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِيبَا

(88) المرجع السابق، م 1، ص 107.البحر الكامل.
(89) المرجع السابق، م 2، ص 152.البحر الطويل
(90) المرجع السابق، م 2، ص 152.البحر الطويل.
(91) المرجع السابق، م2، ص 171.البحر الخفيف.

مُمْطِرًا لِي بِالْجَاهِ وَالْمَالِ لا أَلْ — قَاكَ إلا مُسْتَوْهِبًا أَوْ وَهُوبَا

فَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتَ رِشَاءً — وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتَ قَلِيبَا

بَاسِطًا بِالنَّدَى سَحَائِبَ كَفٍّ — بِنَدَاهَا أَمْسَى حَبِيبٌ حَبِيبَا

فمن النضارة أي الخضرة دليل على كثرة العطاء، إذ أصبح أبو تمام مشتد العود صلبًا بعد أن كان ضعيفًا، فيقول: تعطيني وتدفع غيرك ليعطيني، حتى أبدع في زج اسمه مطابقا للحال في قوله: "أمسى حبيبٌ حبيبًا"، فمن زيادة عطائك أصبحت أعطي الناس مما تعطيني لأصبح عندهم محبوبًا.

وقد اجتمع الكرم مع الشجاعة عند محمد بن يوسف الطائي بقول الطائي حبيب فيه(92):

بِأَسْمَحَ مِنْ غَرِّ الغَمَامِ سَمَاحَةً — وَأَشْجَعَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ وأَنْجِدِ

فالممدوح كالمزن الراوي للزرع والشجر بكرمه، وبه من الشجاعة ما يفوق صروف الزمان وأهواله.

وفيه يقول أيضًا(93):

فَتًى أَحْيَتْ يَدَاهُ بَعْدَ يَأسٍ — لَنَا الْمَيْتَيْنِ مِنْ كَرَمٍ وَجُودِ

فالشاعر يرى أن الكرم والجود قد ماتا، إلا أن الممدوح قد أحياهما، دلالة على سعة عطائه، وزيادة بذله وسخائه، وقد أراد أن يظهر للممدوح فكرة مفادها أن غيره من الممدوحين أو المعنيين بالمدح لم يكونوا على قدر كافٍ من الكرم والبذل، حتى يثير في نفس الممدوح روح المنافسة، وحُبَّ البروز على غيره، وهذه المهارة لا تتأتّى لأي شاعرٍ.

أما الندى عند جعفر الخياط فقد قال فيه الطائي(94):

بِسَيْبٍ كَأَنَّ السَيْبَ مِن ثَرِّ نُوْبِهِ — وَأَنْدِيَةٍ مِنْهَا نَدَى النَوْءِ يَعْصَرُ

فالشاعر يرى أن السيل الغزير الجريان قد استمد عزمه وقوته من سيب (عطاء) الممدوح، والسيب هو السيل، فسيل عطاء الممدوح أجرى سيل الماء في الوادي.

وكان الندى عند سليمان بن وهب إغاثة للمكروب، فقال أبو تمام(95):

(92) المرجع السابق، م 2، ص 24.البحر الطويل.
(93) المرجع السابق، م1، ص 42.البحر الوافر.
(94) المرجع السابق، ص215.البحر الطويل.
(95) المرجع السابق، م 1، ص 122.البحر الكامل.

سَدِكُ الكَفَّ بالنَّدَى عَائِرُ السَّمْـــــ ـــــعِ إلَى حَيْثُ صَرْخَةُ المَكْرُوبِ

وفي كرم المأمون يقول الطائي(96):

هَذَا أَمِينَ اللهِ آخرُ مَصْدَرِ شَجِيَ الظَّمَاءُ بِهِ وأَوَّلُ مَوْرِدِ

فهذا أول لقاء لأبي تمام بالمأمون، فنعته بأمين الله، وأبو تمام لا يحتاج بعد هذا اللقاء إلى لقاء أحد آخر؛ لأن جوده يرويه ولن يعطش بعد هذا اللقاء، فأسلوب مثل هذا يقود المأمون وغيره إلى الإغداق على الشاعر.

ومدح أبا العباس نصر بن منصور بن بسام، فقال(97):

غَنِيتُ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ وَحُوِّلَتْ عِجَافُ رِكَابِي عَنْ سَعِيدٍ إلَى سَعْدِ

الشاعر يُظهر في هذا البيت ثقافته الواسعة، واطلاعه على أحوال السابقين، "فقد ضمن في بيته هذا قصة سعد وسعيد، وهما أخوان، أحدهما عاش وأنجب وحلت البركة بماله وذريته وهو سعد فأصبح دليلًا على السعد والخير ونقيضه القلة والقحط الذي ارتبط بأخيه سعيد الذي بقي فردا إلى أن قتل في سفر له وانقطع خبره وخيره، فأراد بهذا أن حظه وافر بلقاء الممدوح الذي بدل حاله من سعيد إلى سعد"(98).

وفي القصيدة نفسها يمدحه، فيقول(99):

فَتًى لا يُبَالِي حِينَ تَجْتَمِعُ الْعُلَا لَهُ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي السُّحْقِ الْبَعْدِ

فَتًى جُودُهُ طَبْعٌ فَلَيْسَ بِحَافِلٍ أَفِي الجَوْرِ كَانَ الْجُودُ مِنهُ أَمْ القَصْدِ

تَجلي بِهِ رُشْدِي وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي وَفاضَ بِهِ ثَمْدِي وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِي

فالممدوح لا يبحث عن المال ما دام السؤدد والمعالي من صفاته، والكرم طبع فيه، يكرم دون حساب، فاضت قريحة الشاعر مدحاً من عطاياه، وأثرت يده واغتنت، فلا كرم فوق هذا الكرم، ولا حاجة بعد هذا الإثراء، فقال(100):

فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوَ شُكْرِي عَلَى نَدى أَنَاس فَقَدْ أَرْبَى نَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

(96) المرجع السابق، م 2، ص 54.البحر الكامل.
(97) المرجع السابق، م2، ص 65. البحر الطويل.
(98) انظر:أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد م 2، ص 221.
(99) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 2، ص 66.البحر الطويل.
(100) المرجع السابق، م 2، ص 67.البحر الطويل.

وَمَا زَالَ مَنْشُورًا عَلَيَّ نَوَالُه وَعِنْدِيَ حَتَّى قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِي

وعند مدحه لأحمد بن عبد الكريم الطائي يجمع بين المدح والطلب في آن واحد ببراعة قل نظيرها، فقال(101):

هَيْهَاتَ لا يَنْأي الفَخَارُ وَإنْ نَأي عَنْ طَالِبٍ كَانَتْ مَطِيَّتَهُ النَّدَى

فيحتمل هذا البيت عدة وجوه: "قد يكون أشهرها أن الفخر لا يغادر الممدوح فهو يأتيه حين يطلبه، ثم إن الكرم ملازم لقبيلة طي والشاعر منها، كما هو الممدوح بطبيعة الحال، وقد اختلف في لفظة مطيته، فمنهم من رأي بأن الشاعر شبه نفسه بالمطية، ومنهم من رأي بأنها عطية الممدوح للشاعر، ومنهم من أرجعها للمطية التي عقرها حاتم الطائي، حيث –كما أشرنا سابقًا- فإن الشاعر والممدوح من قبيلة طي، وكذلك حاتم قبلهما"(102).

ويتابع أبو تمام إبراز خصلة الكرم عند الممدوح، فيقول(103):

فَالْمَالُ أَنّى مِلْتَ لَيْسَ بِسَالِمٍ مِن بَطْشِ جُودِكَ مُصْلِحًا أَو مُفْسِدَا

ولأَنتَ أَكْرَمُ مِن نَوَالِكَ مَحْتِدَا وَنَدَاكَ أَكْرَمُ مِنْ عَدُوِّكَ مَحْتِدَا

فاستخدام البطش دلالة عميقة وقوية تخدم غرضا عظيما، وهو: البذل والعطاء والكرم، فأبو تمام يرى أن الممدوح أكرم من المال نفسه، وليس جمع المال من طباع الممدوح، بل إن نفس الممدوح وكرامته أسمى من المال وحفظه. إضافة إلى أنه قَرَنَ كرم الممدوح بكرم آبائه وأجداده من قبله، على عكس أعدائه الذين لا هم ولا أسلافهم أهل كرم وعطاء. ثم يقول أبو تمام(104):

أَضْحَى عَدُوًّا لِلصَّدِيقِ إِذَا غَدَا فِي الْحَمْدِ يَعْدُلُه صَدِيقًا لِلعِدَا

فمن الواضح أن هذا الممدوح فيه من الكرم والعطاء ما يجعله يخاصم صديقه، ويعده عدوا له إذا عاتبه أو لامه على بذله وعطائه. فالممدوح يسعى لاكتساب الصفات السامية، فلا حد يحده، ولا صديق يمنعه.

(101) المرجع السابق، م 2، ص 106. البحر الكامل.
(102) المرجع السابق، م 2، ص 106.البحر الكامل.
(103) المرجع السابق، ص 107.البحر الكامل.
(104) المرجع السابق، م 2، ص 104.البحر الكامل.

- **الشجاعة في مديح أبي تمام**

إن طبيعة حياة البدوي حتَّمت عليه أن يكون شجاعًا حيث البيئة الصحراوية القاسية؛ للدفاع عن نفسه وعشيرته، واستمرَّ هذا الحال بعد مجيء الإسلام، ورغم تمدُّن الحياة العربية في المدن والأمصار ورَغَد الحياة فيها إلا أن شجاعة الفارس بقيت ركيزة أساسية، فدَعة العيش ورغده لم تُخْفِ حب العربي للشجاعة، وحاجته للفروسية، وقد ظهرت دواعٍ جديدة للشجاعة إضافة إلى الدواعي السابقة للإسلام.

لذلك لم يهنأ ممدوح، سواء في الشعر أو النثر، إلا بعد أن يمدحه بالشجاعة؛ وبالتالي أَوْلى الشعراء هذا الخُلُق وما يدور في فَلَكه عناية فائقة، وخصوصًا أن الشجاعة بعد الإسلام ارتبطت كثيرًا بنوع فروسي جديد، وهو مقاومة الأعداء من أجل إعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها، لهذا كان الظَّفَر للممدوح عند نعته بالشجاعة يقود إلى مَدْحه بالحفاظ والذَّوْد عن حياض الإسلام وحِماه، مما يُكسبه حُبًّا في قلوب العامة والخاصة.

والشاعر حبيب الطائي كان من أبرز شعراء عصره إبرازًا لهذا الفن المديحي. وهذا الخُلُق النبيل عند ممدوحيه بل قام، في أحيان كثيرة، بِرَسْم صور جديدة وخَلْق أجواء حماسية فروسية رائعة، فتميَّز، وأجاد، وأغرب. ومن ذلك وَصْفه لشجاعة عيّاش بن لهيعة الحضرمي، يقول(105):

مصادٌ تلاقتْ لُوَّذًا بريـودهِ ... قبائلَ حَيَّيْ حضرموتَ لِيَعْرُبِ

بِأَرْوَعَ مَضَّاءٍ عَلَى كُلِّ أَرْوَعٍ ... وَأَغْلَبَ مِقْدَامٍ عَلَى كُلِّ أَغْلَبِ

كَلَوْذِهِمُ فِيمَا مَضَى مِن جُدُودِهِ ... بِذِي العُرْفِ والإِحْمَادِ قِيلٍ وَمَرْحَبِ

هُمَامٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ كَيْفَ هَزَزْتَهُ ... وَجدْتَ المَنايَا مِنْهُ فِي كُلِّ مَضْرِبِ

فالممدوح فارس مِقدام على فرس أو ناقة أصيلة، وتلك هي صفاته التي يحمده الناس عليها ويمدحونه فيها، كجدوده الذين سبقوه في الفروسية، ثم يَصِفُه بالفارس الذي هو كحدِّ السيف لا هوادة في أفعاله وضَرْبه، فكيفما ضرب أدْمَى وقتل أعداءه.

وفي شجاعة المعتصم يقول(106):

أَسْدُ العَرِين إذا مَا الرَّوْعُ صَبَّحَها ... أَو صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابُهَا الأَسَلُ

تَنَاوَلُ الفَوْتَ أَيْدِي المَوتِ قَادِرَةً ... إِذَا تَنَاوَلَ سَيفًا مِنهمُ بَطَلُ

(105) المرجع السابق، م 1، ص 153-154.البحر الطويل.

(106) المرجع السابق، م3، ص 18.البحر البسيط.

فهو يمدح شجاعة المعتصم وعُصبته مؤكدا أنهم أسود لا يخشون الموت؛ إذ إن الموت لا يُرَدّ إذا هَبَّ منهم بطل واحد متقلِّد سيفه.

وبالمعتصم أيضًا يقول(107):

جَلَّيْتَ وَالْمَوتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِي أَوْصَالِهِ الأَجَلُ

هذا هو المعتصم الشجاع الذي لا يخشى الموت، بل يقف بجانبه غير آبِهٍ له، على الرغم من أن الموت لا يستثني أَجَلَ أحدٍ.

وزاد على ذلك عند المأمون، فشجاعته تخطَّت الموت، ناهيك عن الخوف منه . يقول(108):

فَرَدَدْتَ حَدَّ المَوْتِ وَهْو مُرَكَّبٌ فِي حَدِّهِ فَارْتَدَّ وَهْوَ زُؤَامُ

فهو قد رَدَّ الموت حتى لو كان الموت سريعًا. فالشجاعة صفة أساسية عند الممدوح. فلا خوف من الموت.

وقد مدح شجاعةَ دينار بن عبد الله في الحروب والمعارك، فقال(109):

أَخَا الْحَرْبِ كَمْ أَلْقَحْتَهَا وَهْيَ حَائِلٌ وَأَخْرَجْتَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَهْيَ مَاخِضُ

إِذَا عِرْضُ رِعْدِيدٍ تَدَنَّسَ فِي الْوَغَى فَسَيْفُكَ فِي الهَيْجَا لِعِرْضِكَ رَاحِضُ

فَأَنْتَ الَّذِي تَسْتَيْقِظُ الحَرْبُ باسْمِهِ إِذَا جَاضَ عَنْ حَدِّ الأَسِنَّةِ جَائِضُ

إِذَا قَبَضَ النَّقْعُ الْعُيُونَ سَمَا لَهُ هُمَامٌ عَلَى جَمْرِ الحَفِيظَةِ قَابِضُ

صوَّر أبو تمام هذا الممدوحَ كأنه سائِس الحرب وقائدها، وكأنها كائن حي يَسُوسُه صاحبه بعد أن روَّضه، فالحرب لعبة بين يدَيه طائعة له، يتحكم بذروتها وركودها، ترى سيفه يَشُقّ غبار النقع دون رهبة أو وَجَلٍ، الجمال الفني يكمن في الوصف؛ فقد استخدم الطائي ألفاظًا لمثل هذا الموضع ما اعتاد أكثر الشعراء تضمينها في شعرهم، فاللقاح والحائل والماخض حالات للولادة والحمل وما يتعلَّق به، إلَّا أن الشاعر أقحمها هذا الموضعَ فإبداع في وصف الحرب وسائسها.

(107) المرجع السابق، م3، ص 16.البحر البسيط.
(108) المرجع السابق، ص157. البحر الكامل.
(109) المرجع السابق، م2، ص 298 – 299.البحر الطويل.

وفي مدح أبي سعيد الثغري يقول(110):

طَاعِنًا مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحًا لِبلادِ العَدُّوِ مَوْتًا جَنُوبَا

سَبرَاتٍ إذَا الحُروبُ أبِيخَتْ هَاجَ صِنّبْرُها فَكَانَتْ حُرُوبَا

فهذا الممدوح لديه من الشجاعة ما يجعله دائم الطعن في العدو، فهم في الشمال ويأتيهم الموت على يد هذا الفارس من الجنوب، فقتال الممدوح لأعدائه لا يعرف استكانةً، ولا هو يجعلهم في راحة، فغدواته دائمة حتى لو اشتد البرد عليه فليس ذلك يُثْنِيه عن مواصلة قتال الأعداء.

وفي الممدوح نفسه وقومه يقول الطائي(111):

صَدَعْتَ جِرْيَتَهُمْ فِي عُصْبَةٍ قَلَلٍ قَدْ صَرَّحَ المَاءُ عَنْهَا وانْجلي الزَّبَدُ

فالممدوح وقومه شجعان، شتَّتوا شمل أعداءهم وأذاقوهم طعم الخسارة، كيف لا والممدوح وعصبته القليلة الشجاعة كسيل الماء في اندفاعهم نحو الأعداء سيل ماء لا يتوقف، ويجرف كل ما بطريقه؛ إذ لا جبان ولا متخلِّف عن الزحف في عصبة الممدوح. ويضيف الطائي قائلا(112):

إذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضًا لَبِسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرَدُ

نَأَوْا عَنِ المُصْرَخِ الأَدْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ إلّا السُّيُوفَ عَلَى أعْدَائِهِمْ مَدَدُ

فهؤلاء القوم لا يخافون الموت، وشجاعتهم تجعلهم يُلاحقون الموت بصدور عارية من ستر الوقاية، إلا أن هذه الصدور تفيض عقيدة ويقينًا وثقة.

وبقصيدة أخرى يؤكِّد شجاعة هذا الممدوح، فيقول(113):

فَتًى هَزَّ القَنَا فَحَوَى سَنَاءً بِهَا لا بالأَحَاظِي والجُدُودِ

إذَا سَفَكَ الْحَيَاءَ الرَّوْعُ يَوْمًا وَقَى دَمَ وَجْهِهِ بِدَمِ الوَرِيدِ

فالممدوح يتصف بالشجاعةً في الحرب لا بالوراثة والسلم، ثم هو ثابت بوجه الخصوم، لا يَفِرّ فيُراق دمُ وجهه، كالذي يَفِرّ من ساحة الوغى، وتداخل الهم والضعف في نفسه بسبب فراره. ويتابع الشاعر في إظهار شجاعة هذا الممدوح، فيقول(114):

(110) المرجع السابق، م 1، ص 165.البحر الخفيف

(111) المرجع السابق، م 2، ص 13.البحر البسيط.

(112) المرجع السابق، م 2، ص14.البحر البسيط.

(113) المرجع السابق، م 2، ص 36.البحر الوافر.

وَبَيَّتَ الْبَيَاتَ بِعَقْدِ جَأْشٍ أَشَدُّ قُوًى مِن الحَجَرِ الصَّلُودِ

رَأوا لَيْثَ الغَرِيْفَةِ وَهْوَ مُلْقٍ ذِرَاعَيْهِ جَمِيعًا بِالْوَصِيدِ

من شدة بأسه ورباطة جأشه جهَّز نفسه للانقضاض على عدوه ليلًا، ولم ينتظر الصباح، حتى برز لهم يصول ويجول، وتَطالُ يده كلَّ ما يريد. ولا تخفي براعة الطائي هنا باستخدام النص القرآني وتلاؤم طرحِه معه، قال تعالى في سورة الكهف: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)(115).

فانظر إلى التناص القرآني في شعر أبي تمام، كيف استطاع ببراعته أن يُضَمِّن مدحَهُ ألفاظ القرآن الكريم.

ويقول في شجاعة أحمد بن عبد الكريم(116):

كَمْ جِئْتَ فِي الهَيْجَا بِيَوْمٍ أَبْيَضٍ وَالْحَرْبُ قَدْ جَاءَتْ بِيَوْمٍ أَسْوَدَا

أَقْدَمْتَ لَمْ تُرِكَ الحَمِيَّةَ مَصْدَرًا عَنْهَا وَلَمْ يَرَ فِيكَ قِرْنُكَ مَوْرِدَا

لَمْ تُغْمِدِ السَّيْفَ الَّذِي قَلَّدْتَهُ حَتَّى تَمَنَّى نَصْلَهُ أَنْ يُغْمَدَا

فأحمد بن عبد الكريم مِقدامٌ شجاع يُبْلِي البلاء العظيم في الحرب، ولم يصدر عن الحرب، وأورد عدوَّه الهلاك، ولم يترك السيف أبدًا مقاتلًا لأعدائه. وللصنعة دور عظيم في تجديد المعنى من خلال اللفظ المزخرف، وهذه هي الصنعة التي ترعرعت منذ القِدَم، إلَّا أن نماءها كان على يد أبي تمام، فالطباق بين أبيض وأسود يُحْدِث أثرًا واضحًا في نفس المتلقي من خلال صراحة التناقُض، ومصدرًا ومَوْرِدًا تجذب انتباه السامع للمعنى الوارد وتَشُدُّهُ، ناهيك عن جمال التصوير في أماني السيف في أن يُغمَد ويرتاح، فيصل للذهن المعنى بوضوح.

وبشجاعة أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يقول(117):

أَمْتَعْتَ سَيْفَكَ مِن يَدَيْكَ مَغُوثَةً لا تُمْتِعُ الأَرْوَاحَ بِالأَجْسَادِ

قَدْ كَادَ مَضْرِبُهُ يُجَالِدُ جَفْنَهُ لَوْ لَمْ تسَكِّنْهُ بِيومِ جِلادِ

وَالسَّيْفُ مُغْفٍ غَيْرَ أَنَّ غِرَارَهُ يَقِظٌ إِذَا هَادٍ نَحَاهُ لِهَادِ

---

(114) المرجع السابق، م2، ص 38-39.البحر الوافر.

(115) سورة الكهف، آية 18.

(116) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م 2، ص 105.البحر الكامل.

(117) المرجع السابق، م 2، ص 130. البحر الكامل.

فالممدوح والسيف متلاحمان متفاهمان مُتَّفقان، كل منهما يُلبِّي رغبة الآخر. ومن جهة أخرى غير المدح نجد أن وَصْف السيف هنا كان بغاية الروعة والدِقَّة. فالمضرب يُجالد الجفن لولا السكون والراحة، وحتى إن كان بوقت راحة إلَّا أنه يَقِظ متأهِّب.

أما شجاعة أبي سعيد فقد جعلت العدو يلاقيه متقهقرًا خائفًا، يقول أبو تمام(118):

لَمَّا لَقُوكَ تَوَاكَلُوكَ وأَعْذَروا هَرَبًا فَلَمْ يَنْفَعْهُمُ الإِعْذَارُ

فأعداء الممدوح يلاقونه خائفين، فالواحد منهم يختبئ خلف الآخر، ولكن هيهات لهم الفرار، فلا اصطفافهم يُنجيهم، ولا خوفهم يضمن لهم الحياة.

- **الجمع بين عدة مكارم في ممدوح واحد**

وفي الجمع بيَّن عدة مكارم نجد أبا تمام قد جمع بين الشجاعة والكرم في مدحه لمحمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي بقوله(119):

إنْ جَدَّ رَدَّ الخُطُوبَ تَدْمَى وَإنْ يَلْعَبْ فَجَدُّ العَطَاءِ فِي لَعِبِهْ

فممدوحه في وقت الجد والحرب تراه باسلًا، يرد الخطوب والمصائب عن قومه، كأن الخطوب مخلوق يسيل دمه بعد إثخانه بالجراح. ومن جهة أخرى فإن هذا الممدوح نجده وقت الهَزْل يُجْزِل العطاء على من حوله، وقد صوَّر ذلك بصورة فنية توحي أن عطاءه لَعِبٌ، ولعبه عطاء، وهذا مفاده أن الإنفاق والعطاء يسيرٌ وسهلٌ من هذا الممدوح. وجمال الصورة الفنية يكمن في رسم صورة الممدوح في حالة الحرب وحالة السلم.

ومما يؤكد قوة القريحة وعظم الشاعرية عند أبي تمام قدرتُه الفائقة على جَمْع عدة فضائل في ممدوح واحد، وما هذا إلَّا قدرة وبراعة ألزم الشاعر نفسه بها؛ ليقينه بقدرته على ذلك، ففي مدح الحسن بن وهب نجده قد جمع في مدحه شخصيات تراثية ذات قيمة أدبية عالية، حيث شبَّه الممدوح بهؤلاء كل على حِدَة، يقول(120):

فَكَأنَّ قَسًّا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَكَأنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيّةَ تَنْدُبُ

وَكُثَيِّرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ وابنَ المُقَفَّعِ فِي اليتِيمَةِ يُسْهِبُ

(118) المرجع السابق، م2، ص.170. البحر الكامل.
(119) المرجع السابق، م1، ص 274.البحر المنسرح.
(120) المرجع السابق، ص 134. البحر الكامل.

فالممدوح بهذا يكون خطيبًا مُفَوَّهًا كقُسِّ بن ساعدة، وهو حكيم حافِظٌ للعهد للذين فارَقوا الحياة لا ينساهم، كحال ليلى الأخيلية في مراثيها بتوبة بني الحمير. وهو شاعر مُرْهَف الإحساس ككُثَيِّر عزة، ثم هو أديب عالم كابن المقفع، ثم إنّ مِثْلَ هذا المدح دليل على ثقافة أبي تمام، وإحاطته بأخبار السابقين.

ولا يكتفي بذلك، بل يجعله الوقورَ الحليمَ الحكيمَ، فيقول(121):

تَكْسُو الوَقَارَ وَتَسْتَخِفُّ مُوَقَّرًا طَوْرًا وَتُبْكِي سَامِعِينَ وَتُطْرِبُ

يرى الشاعر أن ممدوحه يجمع بين الوقار والمزاح، والوعظ والطرب، فلا يدانيه وقور في وقاره، ولا خطيب في وعظه، ولا مازح في طربه، فهو الوقور المهاب، والواعظ البكّاء، المازح المطرب، وهكذا يجمع بين قوة الجد وطرب المزح، وهذه لطائف متفرِّقةً من أخلاقه تحمل الشاعر على الغوص في معان جديدة وصور مبتكرة.

ومرة أخرى نجد جمع المكارم صفةً ملازمة لشعر أبي تمام، فها هو يمدح أحمد بن دُوَاد بالأخلاق الرفيعة السالمة من العيوب، إضافة إلى مدحه بالكرم والجود، الذي يَصِفُه أيضًا بالجود الذي سَلِمَ بسبب عدم سلامة المال، فيقول(122):

إِلَى سَالِمِ الأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُودِ سَالِمُ

فالأخلاق سالمة من العيوب، وماله لا يسلم من توزيعه وهِبَتِه للرعايا والمستحقين.

وعلى النهج نفسه والمنوال ينسج وصفًا مشابِهًا برموز مختلفة حين مدح أحمد بن المعتصم، فقال(123):

إِقْدَام عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاس

فقد شبَّه شجاعته بشجاعة عمرو بن مَعْدِيكَرِب، وبحكمة وحلم الأحنف وبكرم وضيافة حاتم الطائي، وبذكاء إياس قاضي البصرة المعروف بالذكاء وإصابة كَبِد الحقيقة حتى لو كانت بالظن.

ليعاود جَمْع الخصال الحميدة في عياش بن لهيعة الحضرمي، فيقول(124):

يَهُولُكَ أَنْ تَلْقَاهُ صَدْرًا لِمَحْفِلٍ ونَحْرًا لأَعْدَاءٍ وقَلْبًا لِمَوْكِبِ

(121) المرجع السابق، م 1، ص 135. البحر الكامل.
(122) المرجع السابق، م3، ص 180.البحر الطويل.
(123) المرجع السابق، م2، ص 249. البحر الكامل.
(124) المرجع السابق، م1، ص 152.البحر الطويل.

مَصَادٌ تَلاقَتْ لَوْذًا بِرُيُودِه قَبَائِلُ حَيَّيْ حَضْرَمَوْتَ لِيَعْرُبِ

وهنا يتعجب الطائي من شخصية الممدوح، فهو مجمع للأهل والمناسبات وهو شوكة حادة في حُلوق الأعداء، وهو رأسُ القبائل والزعماء، ثم جعله قمةَ جبلٍ شامخة، وجعل أعماله وأفعاله مَحَطَّ أنظار واهتمام القوم، إضافةً إلى ما له من فضل في حماية ورعاية قبائل حضرموت المنحدرة من يَعْرُب.

أما اللين ونقيضه القسوة فقد اختُصَّت بهما شخصية المعتصم عند الطائي. فقال(125):

شَرِسْتَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قَاتَيْتَ ذَاكَ بِذَا فَأَنْتَ لا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

فهذا تحليل جميل وصورة تشبيهية دالّة، فالممدوح قوي شجاع يقهر أعدائه، وبالمقابل ليِّن الجانب هَيِّن مع أهله وأحِبَّته وأصدقائه، ويؤكِّد هذا النمط لدى الممدوح بأن نفسه كالجبل قوة وبأسًا، وبالوقت نفسه هو سَهْلٌ كالسهل، لا وعورة ولا صعوبة فيه نفسه. وكالعادة تظهر عبقرية الطائي في تزيينه المعنى ببريق الصنعة وجمال اللون. فالشراسة عكس اللين،

والسهل نقيض الجبل. وقد تَعَمَّد أبو تمام أن يستخدم الطباق هنا لإظهار طبائع الممدوح التي تتلوَّن وتتغيَّر حسب الموقف، فاللين مع الأحباب، والعنف مع الأعداء، وتلك رسالة مُبَطَّنةٌ للممدوح بأن لا ينسى مُحِبِّيه ومُريدِيه، والشاعر منهم.

وفي مدح أبي بشر عبد الحميد بن غالب(126):

كَرَمٌ يَزِيدُ عَلَى الْكِرامِ وتَحْتَهُ أَدَبٌ يَفُكُّ الْقَلْبَ مِنْ أَغْلالِهِ

فقد جمع الشاعر في ممدوحه الكرم الذي فاق كرم غيره، ولم يكتف بذلك، بل زاد بأن جعله على خُلُق عظيم وأدب جَمٍّ، فأدبه وأخلاقه تسحر الألباب والعقول.

ويمتزج الكرم والحياء لدى الشاعر في مدح يحيى بن ثابت في قوله(127):

يَحْيَى بن ثَابِتٍ الّذِي سَنَّ النّدى وَحَوَى المَكَارِمَ مِنْ حَيًا وحَيَاءِ

ويجمع الكرم والمعروف في مدح السليل بن المسيّب أبي قدامة الكلابي فيقول(128):

(125) المرجع السابق، م3، ص 11.البحر البسيط.
(126) المرجع السابق، م3، ص55. البحر الكامل.
(127) المرجع السابق، م1، ص 39. البحر الكامل.
(128) المرجع السابق، م3، ص 283.البحر البسيط.

يا بنَ المُسَيَّبِ قَولًا غَيْرَ مَا كَذِبٍ لَوْلاكَ لَمْ يُدْرَ مَا الْمَعْرُوفُ وَالْكَرَمُ

فقد أجاد الشاعر باستخدام لفظ (المعروف)؛ فهو جامع شامل لكافة الخصال الحميدة والمُثُل الخُلُقِيّة.

ونجده قد جمع ذلك بصورة ظريفة عندما مدح جعفر الخياط، فقال(129):

فَتًى مِنْ يَدَيهِ الْبَأسُ يَضْحَكُ والنّدَى وفي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ

يصف الشاعر ممدوحه بالشجاعة والكرم في يده، وعلى سرج فرسه نجده بدرا جميلاً وأسدا شجاعة، صورة بديعية قائمة على الطباق من وجهة، وهي صورة خيالية بيانية تقوم على المجاز المرسل، وعلاقته الجزئية والمحلية، وهذه صورة فنية تجمع بين البديع والبيان معا، وهذا من الجمال الفني الذي أحدثته مدرسة أبي تمام التجديدية ومن تبعه.

ويُعِيد ذِكْر هذه المُثُل الخُلُقِيّة والخصال الحميدة مرة أخرى ببيت لاحِقٍ في القصيدة نفسها؛ ليؤكِّد ذلك على الممدوح والسامعين، ويُثْبِت أحقيَّته في العطاء والبذل، فيقول(130):

حَوَتْ رَاحَتَاهُ الْبَاسَ وَالْجُودَ وَالنّدَى وَنَالَ الْحِجَا فَالْجَهْلُ حَيْرانُ أزْوَرُ

وبهذا وبغيره الكثير من المعاني المديحيَّة ذات البُعْد الخُلُقي توجد بكثرة في مديح أبي تمام، وقد استطاع أبو تمام إلباسها حُلَّةً زاهية الألوان من صور فنية فريدة وتشبيهات جديدة، أفْضَتْ إلى رسم زخارف مديحية خُلُقية جميلة أساسُ جمالها حُظْوَتُها وحضورها لدى المجتمع العربي أولًا، والإسلامي ثانيًا؛ إذ بَثَّ الشاعر روحًا جديدة في القديم المألوف، وأبدع في خَلْق الجديد المرغوب.

الخاتمة والنتائج

لقد كان العرب قديمًا يعرفون الأخلاق الحميدة والذميمة، وتَكْمُن أهمية هذا الورقة في كونها قد تناولت المعاني في قصيدة المديح عند أبي تمام أحد أمراء الشعر العباسي الذي أثَّر بحق في خريطة الشعر العربي ومن أهم النتائج التي توصَّلَتْ إليها الدراسة:

(1) كان المديح الغالب على ديوان أبي تمام؛ فمثَّل حوالي ثلثي قصائد ديوانه تقريبا. وقد تعددت العوامل والأسباب الداعية لذلك، فمنها: التقرُّب إلى الحكام والخلفاء، وطلب المجد والشهرة، وأيضًا طلب المال والتكسُّب بالشعر خوفًا من الفقر، والجديد في تكسبه أنه لم يعد للشعراء في عصره عطاء، فقد استحوذ على كل العطاء لقوة شعره وجدة أسلوبه، وهذا يؤكد سبب حقد شعراء عصره عليه، ونيلهم منه.

(129) المرجع السابق، م2، ص 215.البحر الطويل.
(130) الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، م2، ص 216.البحر الطويل.

(2) إن مَن يتابع شعر أبي تمام ويتفحَّصه يجد ارتباطًا وثيقًا بين فن المديح والمثل الأخلاقي في شعر أبي تمام، فكثيرا ما ضمن مديحه لممدوحيه مكارم الأخلاق والمثل الأخلاقية: كالشجاعة والكرم والمروءة وغيرها.

(3) إن المعاني المديحيَّة عند أبي تمام قد تنوَّعت وكثرت، وقد تخلَّلتها قيمة أخلاقية رفيعة وسامية، رسمها صاحبها بكثير من الخيال والبديع والإغراب في اللفظ والمعنى والصورة الصورة الفنية.

(4) إن أبا تمام سعى جاهدًا إلى ترسيخ الأخلاق الحميدة الحسنة من خلال مدائحه المتعددة، سواء في المعتصم أم في غيره، سواء أكان هذا الترسيخ في رَصْد الواقع، أم في التأمُّل في الحياة، أم في التعبير عن طبائع البشر، ورَصْد سلوكياتهم، أم في غيره.

(6) غلبت ثقافة أبي تمام الموسوعية على أوصاف المثل الأخلاقية في القصائد المديحيَّة؛ فجمعت بين: القرآن، والسنة، والتاريخ، والثقافة العامة، والفلسفة. فأبي تمام كان حريصا على تضمين أشعاره العديد من الحكم والأمثال وأي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة؛ للاحتجاج على صحة مديحه بوجه عام، ولترسيخ جل الأخلاق القويمة في نفوس المتلقين، ولتأكيد نسبة هذه الصفات والمثل الأخلاقية للممدوحين. ويؤكد ذلك قصيدته في مدح المعتصم (فتح عمورية).

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1/ القيرواني، الحسن (1401ه)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط الخامسة، دار الجيل.

2/ طبانة، بدوي (1390ه)، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط.2، مكتبة الأنجلو المصرية.

3/ بدوي، أحمد (1977م)، أسس النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة.

4/ شاهين، عطية (1987م)، شرح ديوان أبي تمام، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

5/ التطاوي، عبد الله (1999م)، النظرية والتجربة عند أعلام الشعر العباسي، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

6/ الصولي، أخبار أبي تمام، ص 72.

7/ فروخ، عمر (1968م)، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

8/ ضيف، شوقي (1426ه)، تاريخ الأدب العربي، ط2، دار المعارف، القاهرة.

9/ جعفورة، محمد (2014)، الإحصائية نقلا عن كتاب أبو تمام وتجربة البحث عن الذات، ، الدار التونسية للكتاب، تونس.

10/ الأصفهاني، علي (1995م)، الأغاني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

11/ مروّة، محمد (1990م)، *أبو تمام حياته وشعره* ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

12/ جعفورة، محمد (2014)، أبو تمام وتجربة البحث عن الذات، ، الدار التونسية للكتاب، تونس.

13/فروخ، عمر (1964م)، أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله، ط1، دار لبنان، بيروت.

14/ المصري، عيسى (2016م)، الوعيُ الشِّعريُّ عند أبي تمام - قراءة نسقيَّة، عدد 12، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، فلسطين.

15/ البديعي، يوسف (1994م)، الصبح المُنْبي عن حيثية المتنبي، ط 3، دارة المعارف، القاهرة.

16/ المرجع السابق، ص 249.

17/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

18/ضيف، شوقي (1966)، كتاب تاريخ الأدب العربي، ط16، دار المعارف، القاهرة.

19/ الآمدي، الحسن (1994)، لموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ط4، دار المعارف.

20/ ضيف، شوقي (1966)، كتاب تاريخ الأدب العربي، ط16، دار المعارف، القاهرة.

21/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

22/ الأندلسي، أحمد (1973م)، العقد الفريد، ط3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

23/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

24/ المرجع السابق، م 1، ص 87. البحر الطويل.

25/ ضيف، شوقي (1966)، كتاب تاريخ الأدب العربي، ط16، دار المعارف، القاهرة.

26/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

27/ ضيف، شوقي (1966)، كتاب تاريخ الأدب العربي، ط16، دار المعارف، القاهرة.

28/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

29/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

30/ سورة آل عمران، الآية 140.

31/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

32/ سورة فاطر، الآية 5.

33/ سورة آل عمران، من الآية 185.

34/ سورة النساء، من الآية 77.

35/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

36/ سورة البلد، الآية رقم 4.

37/ سورة الحجرات، الآيات 2-5.

38/ الآمدي، الموازنة، ص175.

39/ سورة الأعراف، الآية: 199.

40/ السعدي، عبد الرحمن (1440م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ط7، دار ابن الجوزي، الدمام.

41/ التبريزي، يحيى (1982-1987)، ديوان أبي التمام، ط(1،2،3،4)، دار المعارف، القاهرة.

42/ الألباني، محمد (1995م)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.

43/ النيسابوري، أحمد، مجمع الأمثال، ط، دار المعرفة، بيروت.

44/ سورة الكهف، آية 18.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.3

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

القاعدة الفقهية، وصناعة العقل الاجتهادي

The Jurisprudential Rule, and the Industry of the Discretionary Mind

إعداد الباحث/ محمد بن علي بن أحمد المسعودي

طالب باحث دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والفنون، جامعة محمد الأول، وجدة، المملكة المغربية

Email: Masdy99@hotmail.fr

إشراف: فضيلة الدكتور/ لخضر بوعلي

أستاذ مؤهل، رئيس مختبر قضايا التجديد في الدراسات الإسلامية، والإنسانية كلية المتعددة التخصصات الناظور، جامعة محمد الأول، وجدة، المملكة المغربية

ملخص البحث.

الشريعة الإسلامية سمحة في نصوصها، مرنة في أحكامها، واضحة في غاياتها، ورغم أن نصوص الشريعة الإسلامية مقدسة، ومحفوظة فإنها ليست جامدة، ومن هنا أتاحت للعقل البشري مساحة واسعة للتفكير الإبداعي، والاستنباطي. لكن الاجتهاد في نصوص الشريعة الإسلامية له قواعد، وضوابط.

وصناعة العقل الشرعي المستطيع على الاجتهاد، والاستنباط هو الغاية من دراسة العلوم الشرعية، وتكوين هذا العقل تتدخل فيه مجموعة من المؤهلات النفسية ككمال العقل، وكمال حواس الإدراك، وسلامتها من النقص، والعاهات المانعة من الفكر، والتدبر، والمؤهلات العلمية: كالمعارف اللغوية، والشرعية، والعقلية، سواء أكانت هذه المعارف من الوسائل التي بها يتم الفهم، والتدبر، والرد، والاستنباط، أم كانت من المقاصد، وأصول الشريعة الإسلامية التي يستند عليها لبناء الملكة الاجتهادية كثيرة، ومتنوعة، والقاعدة الفقهية، وهي حجة عند كثير من الفقهاء في الاستدلال، والاستنباط ألا تعتبر من ركائز ذلك البناء؟

الكلمات المفتاحية: القاعدة، الفقهية، الصياغة، الملكة، الاجتهادي.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

The Jurisprudential Rule, and the Industry of the Discretionary Mind

Abstract

The Islamic Shari'a is merciful in its texts, flexible in its provisions, clear in its objectives, and although the texts of Islamic Sharia are sacred and preserved, they are not static, and hence allowed the human mind a wide space for creative and deductive thinking. But diligence in the texts of Islamic law has rules, and controls. And making the legal mind capable of ijtihad, and deduction is the goal of studying the legal sciences, and the formation of this mind involves a set of psychological qualifications, such as the perfection of the mind, the perfection of the senses of perception, and their integrity from imperfection, and the disabilities that prevent thought . contemplation, and scientific qualifications: such as linguistic knowledge, and legitimacy, and mentality Whether this knowledge is one of the means by which understanding, contemplation and deduction is accomplished, or whether it is one of the purposes.The principles of Islamic Sharia that make up the ijtihad mind are many and varied. And the jurisprudential rule, which is an argument for many jurists in inference and deduction, is it not considered one of the pillars of that building؟

Keywords: Jurisprudential regulation, Ijtihad, jurisprudential competence.

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، والصلاة، والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله من أتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارا، وعلى آله، وأزواجه، وصحبه، وتابعيهم بإحسان.

وبعد: فإن الشريعة الإسلامية بنيت على أصول متينة، وقواعد كلية محكمة.

ومن أصولها المعتبرة، وقواعدها الجليلة القدر: القواعد الفقهية التي نشأت من الوحي وترعرعت فيه، ومنه استمدت جذورها، وأصولها، وفروعها.

والوحي كله: القرآن الكريم، والسنة النبوية قواعد كلية، وهي سر الإكمال، والإتمام، والرضا الذي دلت عليه الآية الكريمة { ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلٰمَ دِيناً }[1] كما هي سر الخلود، والعموم في الحكم، والمحكوم.

والقواعد الفقهية حظيت بعناية فائقة وبدراسات عديدة، وبتأليف كثيرة، تقعيدا، ونظما، وشرحا وتنظيرا، وهذا يدل على أهميتها، وموقعها المرموق في الفقه الإسلامي.

وبغض النظر عن المذهب السابق للتأسيس لها، فإن إنتاج القواعد الفقهية وجه مسفر ضاحك في صفحة التشريع الإسلامي، وعبقرية المفكر المسلم الناظر، والمناظر.

إشكالية البحث.

تشكلت القواعد الشرعية عقدية كانت، أم فقهية، أم أخلاقية مع نزول الوحي، واهتم العلماء بها في كل العلوم الشرعية، وكانت عناية الفقهاء بالقاعدة الفقهية منقطع النظير صياغة، وتأصيلا، وتفريعا

أفلا يكن هذا الاهتمام بالقاعدة الفقهية دليلا على كونها أداة فعالة في تشكيل العقل الشرعي المقتدر على الاستنباط، وصناعة الفتوى؟

أهمية البحث

يكشف هذا البحث عن مركزية القاعدة الفقهية في التشريع الإسلامي، وفي بناء العقل الاجتهادي. وإذا كانت قواعد الأصول لغوية كانت، أم شرعية، أم عقلية كفيلة بصناعة الملكة الاجتهادية: فإن القواعد الفقهية لا تقل أهمية في النهوض بهذه المهمة الجليلة، وإلا ما كان للاعتناء بها صياغة، وتفريعا، وتأليفا كبير جدوى وهي عند التدبر تجدها منهاجا تطبيقيا لتصنيف المسائل بعد سبرها وتقسيمها، وردها لأصولها، ومآخذها.

[1] (المائدة الآية 03)

أهداف البحث

يسعى هذا البحث لتحقيق مجموعة من الأهداف منها:

- إبراز أهمية القواعد الفقهية في امتلاك المهارة الاجتهادية.
- التلميح للمؤهلات العلمية، والذاتية للاجتهاد في الشريعة الإسلامية.
- التحفيز على دراسة القواعد الفقهية للباحث في الشريعة، والقانون.

خطة البحث:

يرتكز هذا البحث على:

مقدمة. ومطلبين، وخاتمة.

- المطلب الأول: في معنى القاعدة الفقهية، وحجيتها، وكيفية صياغتها.
- المطل الثاني: القاعدة الفقهية، وبناء الملكة الاجتهادية.
- الخاتمة في بعض الخلاصات

المطلب الأول: في معنى القاعدة الفقهية، وحجيتها، وكيفية صياغتها.

الفرع الأول: في تعريف القاعدة الفقهية

القاعدة لغة: أصل هذه المادة في اللسان العربي كثير المعاني منها: القعود نقيض القيام، وقعدت الفسيلة، وهي قاعد: صار لها جذع تقعد عليه، وقعدت المرأة عن الحيض والولد فهي قاعد: انقطع عنها، قال تعالى: { وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ}[2] ورجل مقعد إذا أزمنه داء في جسده حتى لا حراك له. والقاعدون: الذين لا يمضون للقتال قال تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}[3] والقاعدة: أصل الأس، والقواعد: الإساس، وقواعد البيت: إساسه.[4] وفي التنزيل قوله تعالى.{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ }[5] وقوله تعالى:{ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ}[6]

[2] (النور الآية 60)
[3] (النساء: الآية 95)
[4] (ابن منظور مادة: ق.ع.د)
[5] (البقرة الآية 126)
[6] (النحل الآية 26)

قال الشيخ المنجور[7]: والقواعد جمع قاعدة. وهي في اللغة: الأساس من القعود بمعنى الثبات، أو بمعنى مقابل القيام على سبيل المجاز.[8]

القاعدة الفقهية اصطلاحا:

نحتاج في بيان معنى القاعدة الفقهية لبيان الموصوف (القاعدة) وبيان الصفة (الفقهية) ثم تعريفها بكونها علَماً على فن فقهي خاص.

تعريف القاعدة: القاعدة، والأصل، والضابط، والقانون شيء واحد وهي: "**أمر كلي منطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه**." [9] وهي بهذا المعنى شاملة لقواعد جميع العلوم، والفنون

تعريف الفقهية: وصف القاعدة بالفقهية نسبة للفقه لتخرج القواعد المتعلقة بالعلوم الأخرى.

والفقه في اصطلاح الأصوليين: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية."[10]

ويرى إمام الحرمين في الورقات: أن مسمى الفقه يصدق على الأحكام الشرعية العملية التي طريقها الاجتهاد، ومعناه أن ما كان معلوما من الدين ضرورة لا يسمى فقها بمعناه الخاص

ولعل هذا المعنى للفقه يتماشى مع معنى الفقيه الذي هو المجتهد.

تعريف القاعدة الفقهية بكونها لقبا على منهاج فقهي تشريعي خاص.

عرفت القاعدة الفقهية بتعاريف عدة قديما، وحديثا، وكلها نالها نصيبها من الطعن والاعتراض، والتوجيه. وأغلب الفقهاء القدامى عرفوها بالتعريف العام للقاعدة. وهي أنها "**أمر كلي منطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه**."[11] مع اختلاف في بعض العبارات.

وقد يكون لتعريف القاعدة الفقهية بهذا المعنى العام مسوغ حيث ينصرف المعنى العام للمعنى الخاص المقصود المذكور. فقولهم: قضية كلية، أو أمر كلي: أي حكم شرعي عملي كلي. والضمير في جزئياته أي الفقهية، وفي " أحكامها" أي الجزئيات الفقهية. والضمير في "منه" يعود للحكم الشرعي العملي الكلي. فالسياق يقيد، ويخصص.

وبهذا يمكن القول بأن هذا ليس تعريفا للقاعدة من حيث هي، بل هو خاص بالقاعدة الفقهية.

---

[7] هو أحمد بن على بن عبد الرحمن المنجور كنيته أبو العاس. المكناسي الفاسي دارا وقرارا فقيه إمام في شتى العلوم توفي عام 995 هجرية يرجع لشجرة النور الزكية

[8] (المنجور ص100)

[9] (المنجور، ص100)

[10] (ابن السبكي، 2003، ص 13)

[11] (المنجور، ص100)

والقواعد في كل فن إنما صيغت لتوفير الجهد. وبذل الجهد في النقد، والاعتراض مع بيان المقصود قد يكون قليل الفائدة.

وعندي أمر آخر قد يكون له وجه من النظر، وهو أن تعريف الخاص بالمعنى العام مع ملاحظة السياق فيه دلالة على تكامل المعارف، وتعاضدها فالفقيه المقَعِّد في حاجة ماسة لقواعد الفنون الأخرى تخدم القاعدة الفقهية.

ونحن في زمن دعت فيه الضرورة للتمكن من علوم كثيرة، والتخصص لا يعني أبد الجهل بالمعارف الأخرى بل قد يكون ضرورة. فكيف نتصور فقيها في الشريعة الإسلامية، وبضاعته من اللغة العربية مزجاة، وهذا لا يعني أبدا التفريط في تحديد المصطلحات، وبيان معاني المسميات.

ومن العلماء الذين عرفوا القاعدة الفقهية: الإمام المقري [ت 759ه] حيث قال ونعني بالقاعدة: **كل كلي أخص من الأصول، والمعاني العقلية العامة، وأعم من العقود، والضوابط الفقهية الخاصة.**[12] وهو تعريف له خصوصية تعكس مقصود المصنف من تأليف كتابه القواعد: أي نَوْعَ القواعد التي رام جمعها في مُؤلَّفه. والتعريف، وإن أشكل حله على بعضهم فإن ظاهر عباراته تشير إلى نوع من القواعد الفقهية التي هي وسط بين: قواعد أصول الفقه، والضوابط الفقهية الخاصة، والحدود. ولعل الإشكال نتج عن المرسوم في الكتاب حيث جمع أنواعا من القواعد من بينها المحترز عنها في التعريف، وهو قد صرح بالالتزام بما رسمه. والحل: أن ما ذكر من غير ما التزم تابع، وهذا غالبا ما يقع للمؤلفين حيث لا يلتزمون بكل القيود، والشروط والمنهج الذي وعدوا به. وقد صرح الإمام المقري بهذا في آخر كتابه فقال: "قد أتيت على ما قصدت زائدا على ما شرطت".[13]

ويمكن اقتباس هذا التعريف مع تعديل ليشمل ما يعرف بالضوابط الفقهية. فيقال: القاعدة الفقهية هي: **كل كلي أخص من الأصول، والمعاني العقلية العامة، وأعم من العقود الخاصة.**

لأن الفرق الوحيد بين القاعدة، والضابط هو الشمول، والخصوص عند من يرفق بينهما.

والمراد بالعقود الخاصة: التعريفات بالحد كانت، أم بالرسم. وقد تساهل بعض المقعدين فأدرجوا بعضا منها في القواعد، ولعل ذلك يرجع لما يندرج تحتها من المسائل على قلتها. فمثلا قول المقري رحمه الله قاعدة. قال المازري: البيع: نقل الملك بعوض. فهذا تعريف، وبيان لحقيقة البيع، وليس قاعدة بالمفهوم الذي درج عليه.

ويظهر من التعريفين السابقين بعض خصائص القاعدة الفقهية منها أنها:

حكم شرعي: هذا احتراز عن سائر الأحكام الأخرى، كالعقلية، والعادية، واللغوية.

[12] (المقري، 2012، ص 77)
[13] (المقري، 2012، ص 551)

كلي: يخرج به الأحكام الجزئية. فإذا قلنا: سؤر الجلالة نجس فهذا حكم يتعلق بجزئية معينة، وإذا قلنا: "الغالب كالمحقق"[14] فهو حكم كلي. فالمشخصات، والمعينات، والقضايا الشخصية لا تصلح لأن تكون قاعدة.

ويستفاد منه الانطباق، والاستغراق لأحكام جزئياته، وأما كونها أغلبية في نظري لا علاقة له بصورة القاعدة، وشكلها ولا يضرها أن بعض الجزئيات مستثناة منها، بل يتناقض قولنا أغلبية مع قولنا " حكم كلي" أو قضية كلية"

والاستثناء، والتخصيص وارد على جميع القواعد، والأصول.

والمستثنى له حكم غير حكم المستثنى منه، وإلا لما وقع الإخراج. فهو ليس منه حكما، وإن كان منه صورة.

لأن الجامع بينهما يختلف. فالسر يكمن في اختلاف الجامع بينهما. والفقيه بها لا يخفى عليه أمرها بعد البحث عنها.

وهذا بناء على أن المستثنى من المسائل متفق على استثنائه، وإلا بقيت القاعدة على كليتها في جزئياتها ولو على رأي من لم يستثن. وعلى سبيل المثال قاعدة: **"زيادة العدالة هل هي كالشاهد، أو الشاهدين"** قال بعض العلماء المالكية مثل سحنون هي كالشاهدين في الأموال، وسواها فيقضى بها عند تعارض البينتين، وقال ابن الهندي[15] بعدم قبولها في النكاح، والطلاق، والحدود، والجروح، والدماء والعتاق، واستثناؤه بناء على أن الترجيح بزيادة العدالة كالشاهد الواحد. وثبوت النكاح مثلا يحتاج لشاهدين بخلاف البيع، لأن الشهادة فيه مقبولة بشاهد مع اليمين. قال المقري في قواعده:" ترجيح إحدى البينتين بمزيد العدالة. قيل يسقط الأخرى فيجري في كل شيء، وقيل يؤدي إلى ظن ضعيف لا يستقل به أمر فلا يعتبر في شيء. وهذان وجها القولين في سماع الترجيح، أو عدم سماعه، وهي قاعدة أصولية مختلف فيها، وإن زعم الفخر أن العمل بالراجح واجب بالإجماع...وقيل ترجيح إحدى البينتين: أنه يؤدي إلى ظن يكون كقيام شاهد فيعتبر في البيع مثلا دون النكاح، وهو مشهور مذهب مالك. ويلزمه الترجيح بالعدد، والمشهور نفيه."[16]

عملي: يشمل العبادات، والمعاملات، وهما مجالا القاعدة الفقهية، ويخرج به الحكم الشرعي العقدي، والخلقي.

وأما كون القاعدة دقيقة الصياغة، وقليلة العبارات: فهي خاصية القاعدة من حيث هي.

---

[14] أصل القاعدة: الغالب هل هو كالمحقق أم لا؟

[15] أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي الفقيه العالم بالشروط، والأحكام توفي 399 هـ له كتاب يعرف بوثائق ابن الهندي.

[16] (المقري، 2012، القاعدة رقم 587)

الفرع الثاني: حجية القواعد الفقهية.

كي نعرف هل القاعدة الفقهية دليل شرعي، ومأخذ للأحكام الشرعية العملية، أم لا؟ لا بد من إشارة مجملة لأنواعها. وهي:

1. قواعد هي في الأصل نصوص شرعية صريحة. مثل (الخراج بالضمان)[17] ومثل (لا ضرر، ولا ضرار) [18]
2. قواعد صيغت بعد الاستقراء لبعض الجزئيات، والمسائل الفقهية التي تصلح لها. وبعد النظر في مداركها. وهذا النوع على قسمين:
   - قواعد متفق عليها أي على معناها. مثل قاعدة "المشقة تجلب التيسير"
   - قواعد مختلف فيها: أي في حكمها الكلي. مثل: "ما قارب الشيء هل يعطى حكمه؟"

فهذا النوع في الحقيقة يشتمل على قاعدتين مختلفتين في السلب، والإيجاب:

الأولى: ما قارب الشيء يعطى حكمه.

الثانية: ما قارب الشيء لا يعطى حكمه.

هذا مجمل القواعد الفقهية. وبناء عليه أقول: القاعدة الفقهية حجة، ودليل يستدل به سواء أكانت في أصلها نصا شرعيا صريحا، أم كانت صياغتها مستنبطة من أدلة جزئية، وتتبع مسائل فقهية.

ومن المعلوم عند الفقهاء أن الأدلة الشرعية أنواع كثيرة منها: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والاستدلال، وعرفوا الاستدلال بأنه: دليل ليس بنص، ولا إجماع، ولا قياس. وعدوا منه أدلة كثيرة منها العدم الأصلي، "وكذا قولهم وجد المقتضي، أو المانع، أو فقد الشرط"[19]، وغيرها من الأدلة التي لا تقوى قوة القاعدة الفقهية، وكذلك تحدث الفقهاء عن حجية المقاصد الشرعية استقلالا، والقاعدة الفقهية تتضمن الحكم الشرعي، ومقصده، وتستند في صياغتها لأدلة شرعية.

ومن العلماء المبرزين في علم القواعد، والفروق الذين يعتبرون القواعد الفقهية أصولا شرعية: الإمام القرافي ففي مقدمة الفروق يقول: "فإن الشريعة المعظمة المحمدية زاد الله تعالى منارها شرفا، وعلوا اشتملت على أصول، وفروع، وأصولها قسمان: أحدها المسمى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية الخاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ، والترجيح...

[17] (الترمذي، 1996، 561/2، ح 1286)
[18](الإمام مالك، 2013، 156/2)
[19] (ابن السبكي، 2003، ص 107)

والقسم الثاني قواعد كليه فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشملة على أسرار الشريعة، وحكمه لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى"[20]

فالإمام القرافي يقسم أصول الشريعة إلى قسمين: الأول: أصول الفقه. والثاني: قواعد الفقه.

والإمام الزقاق في صدر مقدمة المنهج المنتخب يستفاد منه هذا حيث قال

وبعد فالقصد بهذا الرجز** نظم قواعد بلفظ موجز

وفي آخر المقدمة قال:

سميته بالمنهج المنتخب ** على أصول عزيت للمذهب

فهو لم يفرق بين القواعد، والأصول في منهجه فذكر القاعدة الفقهية، والأصولية، وسماهما معا قواعد، وأصولا.

فإذا كانت قواعد الأصول أدلة معتبرة وهي مستنبطة باستقراء الأدلة الشرعية لغة فكيف لا تكون القاعدة الفقهية دليلا شرعيا معتبرا؟ وهي تمتاز بعدة أمور منها:

1. كون بعضها نصوصا شرعية صريحة. فمثلا قوله صلى الله عليه، وسلم (لا ضرر، ولا ضرار)

قانون، وقاعدة فقهية من حيث هو حكم شرعي عام، وهو متضمن لقاعدة أصولية لاشتماله على النهي. وهي: "النهي هل يقتضي التحريم؟" عند من يفرق بين القاعدتين. وكلاهما أصل شرعي. ولو تأملنا قليلا لوجدنا أن القاعدة الفقهية هنا أصل للقاعة الأصولية.

2. كونها مشتملة على أسرار الشرع، وحِكمه. فالقاعدة الفقهية قانون شرعي متشبع ينطف بأسرار الشريعة ومقاصدها.

3. كونها منهاجا للجزئيات الفقهية سبرا، وتصنيفا.

الفرع الثالث: في صياغة القاعدة الفقهية

أقصد بصياغة القاعدة الفقهية أمرين:

الأمر الأول: المستند، والاستمداد.

الأمر الثاني: الطريقة التي تبني بها بنية القاعدة شكلا، ومضمونا.

الأمر الأول: المستند، والاستمداد.

[20] (القرافي، ص:2)

تستند القاعدة الفقهية في صياغتها على النصوص الشرعية تصريحا، أو استنباطا، فهناك قواعد أصلها نص شرعي مثل: "الخراج بالضمان" و " البينة على المدعي، واليمين على من أنكر" وهناك قواعد مستمدة من الأدلة الشرعية في مضمونها، ومبتكرة في شكلها، وألفاظها. مثل "العادة محكمة" أصل هذه القاعدة مجموعة من النصوص الشرعية منها قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ، وَامُرْ بِالْعُرْفِ} [21]

وتستند أيضا إلى استقراء أحكام الجزئيات الفقهية من الأشباه، والنظائر التي يلحق بعضها ببعض، وإن كانت أدلتها متنوعة، فتصبح بذلك الاستقراء، والشبه كليةَ الحكمِ منتظمةً فيه.

ويتصل باستمداد القاعدة الفقهية: الحديث عن موضوعها.

وموضوع القاعدة الفقهية: الأحكام الشرعية العملية من العبادات، والمعاملات، ومن هنا فإن الأحكام الشرعية العقدية، والأخلاقية ليست موضوعا لها

الأمر الثاني: الطريقة التي تبني بها بنية القاعدة شكلا، ومضمونا

صياغة الفاظ القاعدة الفقهية يتسم بعدة خصائص منها:

1. كلية الألفاظ: والكلي: هو اللفظ الذي "لا يمتنع... صدقه على كثيرين لقبوله الشركة"[22]

مثلا: لفظ المشقة، والعادة، واليقين، والظن، والعلة، وأدوات الموصولات مثل: ما، والذي، وغيرها كلية تصدق على كثيرين مشتركين في الحكم.

2. الإيجاز في العبارات، والألفاظ. ولا بد في بناء بنية القاعدة من تجنب الحشو، والإطناب، وتكرار الألفاظ.

3. محتواها حكم شرعي عملي كلي.

المطلب الثاني: في صناعة العقل الاجتهادي (الملكة الفقهية)

بعد ذكر هذه المبادئ للقاعدة الفقهية باقتضاب نخلص للحديث عن صناعتها للعقل الشرعي وتشكيله للاقتدار على الرد، والاستنباط.

وعملية تحصيل العقل الاجتهادي، أو الملكة الفقهية تمر بمرحلتين أساسيتين:

[21] (الأعراف: الآية 199)
[22] (اللوه، 1987، ص 41)

المرحلة الأولى: الاطلاع على القواعد، وحفظ مجموعة منها.

والقدر المطلوب من القواعد ليس محددا لأن عددها كثير، وإن كان بعض الفقهاء يرى أن مدار الفقه على خمس قواعد، وهي:

1. الأمور بمقاصدها
2. الضرر يزال
3. المشقة تجلب التيسير
4. اليقين لا يزول بالشك.
5. العادة محكمة

ويرى البعض أن جميع القواعد تعود لقاعدة واحدة، وهي: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"

لكن هذا فيه نوع من التكلف، والصعوبة، والمطلوب التوسع فيها لأنها " عظيمة المدد كثيرة العدد" وكل قاعدة فيها من المزايا ما ليس في غيرها، وإلا لما أفردت بالصياغة. وإن كانت مندرجة في غيرها، أو تشبهها

المرحلة الثانية: تحصيل الملكة.

"الملكة سجية (هيئة، وكيفية) راسخة في النفس تحصل للمُدْرِك بعد إدراك مسائل الفن وممارستها."[23]

وتحصيل الملكة هي المرحلة الأهم التي تحتاج للممارسة، والجهاد الكبير في التنظير بين الأشباه، والنظائر، والفروق، والتفريع: أي بناء المسائل الفقهية على قواعدها

نلاحظ في تعريف الملكة كلمة " إدراك"، وكلمة "ممارسة" الدالتين على المرحلتين السابقتين المتلازمتين. فمجرد الاطلاع، أو حفظ بعض القواعد لا ينتج إلا ما ينتجه حفظ المسائل، والفروع. وفي الحديث النبوي الشريف (فَرب حَامِل فقه إِلَى من هُوَ أفقه مِنْهُ، وَرب حَامِل فقه لَيْسَ بفقيه)[24]

وكلمة الاجتهادية في العنوان: منسوبة للاجتهاد، والاجتهاد "استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي" [25]

فالشريعة الإسلامية الغراء كلية في أحكامها، وفي امتدادها الزماني، والمكاني، وفي ألفاظها رغم أنها محصورة عدّاً، وهي كلية في مقاصدها، وحِكمها.

وهذه الأمور كلها أدركها الفقهاء بعمق فنتج عنها هذا الفقه الكلي أقصد القواعد الفقهية.

---

[23] (العلوي الشنقيطي،1 / 17)
[24] (الترمذي، 1996، 393/4)
[25] (ابن الحاجب، 1998،

فكانت كلية الأحكام، وكلية المقاصد مستلهم الفقهاء لصياغة القواعد الفقهية.

وإذا تأملنا نظر الفقيه في الشرع وجدناه يدور على الرد إلى الله جل ثناؤه، وإلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى الاستنباط، وبمعنى آخر بين إثبات الأدلة للأحكام، وثبوت الأحكام للأدلة.

والتعبير بالعقل الاجتهادي هو عينه التعبير بالملكة الفقهية، والبناء واحد. فكل فقيه مجتهد، والعكس صحيح.

فالعقل الاجتهادي هو العقل الذي يمكنه " الإحاطة بمبادئ العلم، وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله."[26]

فهذا التعريف يفيد أن الملكة هي الحذق في الفن وذلك يتطلب ثلاثة أمور:

الأول: الإحاطة بمبادئ العلم، وقواعده، وذلك يقضي الحفظ، والفهم، وهي مرحلة يشترك فيها العامي، والشادي في العلم، والراسخ فيه. وهذه لا تسمى ملكة.

الثاني: الوقوف على مسائل الفن. أي الجزئيات، وهذا يقتضي الاطلاع، والتأمل، والسبر، والمقارنة.

الثالث: الاقتدار على استنباط الفروع من الأصول. وهذا هو المنشود.

والسبب في كون القواعد الفقهية بانية للملكة الفقهية أنها تشتمل على خصائص هذا البناء، وعناصره فمن ذلك:

1. **أنها حكم كلي.**

إعمال النظر: أي الفكر إما أن يكون في جزئي، وإما في كلي. والإلحاق إما أن يكون إلحاق جزئي بجزئي: وهو القياس الفقهي، أو الأصولي. وإما أن يكون إلحاق جزئي بكلي: وهو الاستقراء. وإما أن يكون إلحاق كلي بكلي: وهو القياس المنطقي بنوعيه: الاقتراني، والاستثنائي.

وقد يكون النظر من جهات أخرى كالنظر في المناط بالسبر، والتقسيم: تحقيقا، وتخريجا، وتنقيحا وهي راجعة للقياس. وعمل الفقيه المستنبط للأحكام لا يخرج عن هذه الأمور.

والقاعدة الفقهية هي حكم كلي -كما سبق- فالنظر فيها من قبيل النظر في الكلي، والإلحاق فيها من قبيل إلحاق الجزئي بالكلي.

والعقل الكلي أقرب من تحصيل الملكة الاجتهادية من العقل الجزئي: أي المتتبع للجزئيات المنهمك في الفروع، وحفظ المسائل، وإغفال الأصول، وقواعد الأحكام.

[26] (ا بن خلدون، 1019/2)

وتكرر النظر في الكلي يسري في الإفتاء والقضاء. وكتاب عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين ولاه القضاء فيه إشارات لهذا المعنى أعني تحصيل العقل الشرعي الكلي حيث قال " الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، ويشكل عليك **اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور بعضها ببعض، وانظر أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق فاتبعه "**[27] وقال الإمام السيوطي رحمه الله **"اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره، ويتمهر في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان؛ ولهذا قال بعض أصحابنا: "الفقه معرفة النظائر"**[28] فكلام الإمام السيوطي وهو أمام مجتهد مجدد يفيد أن الأشباه والنظائر فن عظيم أي علم له فوائد كثيرة منها:

أ. الاطلاع على مدارك، ومآخذ الفقه. أي الأدلة التي ينتزع منها الحكم.
ب. الاطلاع على أسرار الشريعة، ومقاصدها.
ت. التمهر في فهم الفقه، واستحضاره: أي حصول الملكة.
ث. الاقتدار الإلحاق، والتخريج
ج. معرفة أحكام النوازل، والوقائع.

فهذه الفوائد الخمسة، وغيرها كلها تنص على أن القواعد الفقهية علم لبناء الملكة الاجتهادية.

وقد اعتبر الفقهاء من خصائص الشريعة الإسلامية التي ضمنت خلودها وشمولها للقضايا، والنوازل: كونها كلية الخطاب، وهذه الخصية أعني ' الكلية' من مميزات القاعدة الفقهية

2. **أنها تشتمل على أسرار الشريعة ومقاصدها.**

الالتفات لأسرار الشريعة في أحكامها من أهم سبل امتلاك الملكة الفقهية. وهذا له جهتان:

الأولى: كون معرفة المقاصد الشرعية العامة من صفات الاجتهاد، هذا ما قرره الإمام الشاطبي رحمه الله في موافقاته.[29] خصوصا ما يتعلق بتحقيق المناط[30]

الثانية: أن الناظر في الأحكام من جهة أسرارها يقتدر بذلك على جمع شتات المسائل المتفرقة المتشابهة في حكم كلي ناظم لها. فهو ينظر في الوصف الجامع بين مختلف المسائل الفقهية والحكمة من الحكم الشرعي الكلي الجامع بينها، وفي كلام السيوطي السابق دلالة واضحة على هذا.

[27] (الخطيب البغدادي، 1996، ص 492)
[28] (السيوطي، 1983، ص 9)
[29] (الشاطبي، 2004، ص 784)
[30] عرفه الشاطبي: بأنه: أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي لكن يبقى النظر في تعيين محله. مثل: العدالة، وتحديد النفقات...

3. أنها علم تطبيقي.

القواعد الفقهية نتاج ممارسة الفقه، وثمرة مخابرة الفروع، ومسابرة أفعال المكلفين، وتتبع مآخذ النازلات والحادثات من المسائل. وهذا كله من أهم أسس الملكة الفقهية. فإذا نظرنا لقاعدة " العادة محكمة" نجدها ترجع إلى الواقع، وإلى الأعراف السائدة بين الناس عامة كانت، أم خاصة، مثلا تحديد الصداق، وتحديد الأجور، وأسعار السلع، وأروش الجنايات، وكثير من العقوبات، والمخالفات.

خاتمة: خلاصات، واستنتاجات.

- بعد هذه الإطلالة المقتضبة على القاعدة الفقهية، وكونها بانية للعقل الشرعي المجتهد حصل اليقين بأن القاعدة الفقهية لا مندوحة عنها في مجال التشريع الإسلامي على مستويين:

المستوى الأول: الاستدلال، والاستنباط. (الحجية) رغم ما هناك من الاختلاف إلا أن الراجح اعتماد حجيتها.

المستوى الثاني: كونها وعاء للمسائل الفقهية، ومعيارا تعير به النوازل لتصنيفها، وترتيبها حسب أبوابها الفقهية.

- هذه الدراسة المختصرة في بناء الملكة بالقاعدة الفقهية يستفاد منها أن تفسير النص الشرعي، واستنباط الأحكام منه له ضوابط يجب التقيد بها، والا وقع أحد أمرين: التسيب في الإفتاء، أو الوقوع في التطرف الفكري.
- القاعدة الفقهية تتسم بمزايا كثيرة منها:
- أنها معيار قانوني استنباطي يعتمد عليه الفقيه، والقانوني أيضا، ولعالم الاجتماع الديني أن ينهل آثارا طيبة من دراسة القاعدة الفقهية لأن لها صلة بواقع التدين، والأعراف السائدة.
- أنها قانون مرن محتو على أسرار التشريع، ومقاصده.

والحمد لله أولا، وآخرا، وصل اللهم على سيدنا محمد، وآله، وصحبه، وتابعيهم بإحسان.

لائحة المراجع

(القرآن الكريم)

(المقري أبو عبد الله محمد بن أحمد. (2012م). قواعد الفقه. تحقيق محمد درداني دار الأمان الرباط.)

(أبو إسحق الشاطبي إبراهيم بن موسى، (2004)، الموافقات في أصول الشريعة، ط 1 تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان)

(ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة. الطبعة الثالثة. تحقيق د. علي عبد الوافي دار نهضة مصر للطبع، والنشر القاهرة.)

(ابن منظور محمد بن مكرم بن علي لسان العرب)

(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (1991م). مسند الفاروق ط 1. تحقيق عبد المعطي قلعجي دار النشر: دار الوفاء -المنصورة)

(الإمام مالك بن أنس. (2013م). كتاب الموطأ. ط 1. منشورات المجلس العلمي الأعلى مطبعة النجاح)

(الترمذي محمد بن عيسى (1996م) . سنن الترمذي. ط1. دار الغرب الإسلامي.)

(الجلال السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. (1983م) الأشباه، والنظائر ط. الألى دار الكتب العلمية. بيروت)

(الخطيب البغدادي أحمد بن علي (1996م) . الفقيه والمتفقه. ط: 1 تحقيق أبو عبد الرحمان العزازي. دار ابن الجوزي الدمام المملكة العربية السعودية.)

(العلوي الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم. نشر البنود على مراقي السعود. صندوق إحياء التراث المشترك بين المملكة المغربية، والإمارات العربية.)

(اللوه العرب (1407ه/1987م) المنطق التطبيقي ط 2 مطبعة النور تطوان.)

(المنجور أحمد بن علي. شرح المنجور على المنهج المنتخب للزقاق. تحقيق محمد الأمين الشنقيطي. دار عبد الله الشنقيطي.)

(بن الحاجب جمال الدين (1998م). جامع الأمهات. ط 1. تحقيق أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري. اليمامة للطباعة، والنشر دمشق بيروت.)

(تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي. (2003م) . جمع الجوامع في أصول الفقه. ط 2. تحقيق المنعم خليل إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.)

(شبير محمد عثمان (1999م) تكوين الملكة الفقهية، ط 1 . سلسلة كتاب الأمة العدد 72)

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.4

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

واقع البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري (دراسة ميدانية)

The reality of disguised unemployment and sustainable development in the Qatari public sector (a field study)

الباحثة/ سباء حسين علي صادق

ماجستير الإدارة العامة، معهد الدوحة للدراسات العليا، كلية الإدارة العامة واقتصاديات التنمية، دولة قطر

Email: candel44@gmail.com

الملخص:

تَنُصُّ رؤية قطر الوطنية 2030 على العنصر البشري كركيزة أساسية من ركائز الرؤية الأساسية والتي طالما لا تنتهض ولا تعمر المجتمعات والدول دونها، وتتطلب التنمية البشرية في دولة قطر تأسيساً قوياً قادراً على مجابهة قوى التغيير المختلفة التي تتطلبها التنمية الاقتصادية من تنوع اقتصادي متكامل، يُمَكِّنُنا من التخلص من الاعتماد الأحادي على مصادر النفط والغاز، وفي مقابل تلك الرؤية الطموحة تمتلك دولة قطر ثروة بشرية شابة ذات طاقة تؤهلها على العطاء والارتقاء بمؤسساتها لتحقيق رؤيتها بصورة متمكنة، وتكمن إشكالية البحث في واقع مؤسسات القطاع العام القطري وتحديداً في ظاهرة البطالة المقنعة التي تحول دون تحقيق التنمية المستدامة، لذلك يسلط البحث الضوء على مصادر الخلل في العملية الحاصلة في المورد البشري القطري، من حالة الركود وانخفاض الإنتاجية في مؤسساته، ومعاناته من شعور عدم الإيمان بقدراته وإنجازاته وتفضيل المورد البشري الأجنبي، فتتلخص أهمية البحث من النَّاحية الأكاديمية العلمية في مساهمة نتائج الدراسة في التَّراكم المعرفي لظاهرة البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري ومعرفة الواقع، نظراً لقلة الدِّراسات التي تتعرض لهذا الموضوع، ومن النَّاحية التَّطبيقية العملية فإن نتائج الدِّراسة ستساعد متخذي القرارات على وضع إستراتيجية مناسبة للتَّعامل مع قوانين العمل الخاصة بسياسات الترشح والتعيين، وأيضاً تهدف الدراسة إلى معرفة واقع البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري، ودراسة العلاقة والأثر بينهما، والخروج بنتائج وتوصيات تخدم أصحاب القرار، في هذه الدراسة سوف نعتمد على المنهج النوعي الذي يعتمد على المصادر الثانوية من المعلومات المنشورة والمتاحة وكذلك على التقارير والدراسات السياسية والأكاديمية وغيرها،

وفي المقابل سيتم الاعتماد على المقابلات لمصادر المعلومات الأولية لزيادة الصلاحية الداخلية للبحث وكذلك الصلاحية الخارجية، ويتلخص سؤال البحث في: إلى أي مدى تسهم البطالة المقنعة في تثبيط عملية التنمية المستدامة في القطاع العام القطري؟

الكلمات الافتتاحية: البطالة، البطالة المقنعة، القطاع العام، التنمية، التنمية المستدامة.

The reality of disguised unemployment and sustainable development in the Qatari public sector (a field study)

Abstract:

Qatar National Vision 2030 stipulates the human as one of the basic pillars of this vision, as countries can not rise and outlive without them. Human development in the State of Qatar requires a strong foundation capable of confronting the different forces of change required by economic development such as the integrated economic diversity, and enables us to stop depending only on oil and gas resources. In accordance to this ambitious vision, the State of Qatar possesses energetic and young human resources qualified and able to give and upgrade its institutions to achieve the vision. The problem lies within the reality of the Qatari public sector institutions, especially the phenomenon of disguised unemployment that impedes the achievement of sustainable development. Therefore, the research highlights the origins of problems occurring in the Qatari human resource such as the state of stagnation in its productivity in the institutions, the suffering from a feeling of lack of belief in its ability and achievements, and the preference of the foreign human resource in return. The academic and scientific importance of this study can be summarized in the contribution of its results to the overall knowledge of the phenomenon of disguised unemployment and sustainable development in the Qatari public sector due to the lack of studies dealing with this topic. While the practical importance of this study results will help the decision-makers to develop an appropriate strategy to deal with labor laws related to candidacy and appointment policies.

The study also aims to identify the reality of the disguised unemployment and sustainable development in the Qatari public sector, and to study the relationship between them in order to come out with results and recommendations that serve the decision-makers. The study uses the qualitative approach which depends on secondary resource of published and available information. Also, it depends on political and academic studies and reports as well. In addition to meetings as a source of initial information to increase the internal and external validity of the study. The question here is this; to which extent does the disguised unemployment contribute to discouraging the process of sustainable development in the Qatari public sector?

Keywords: Underemployment, public sector, development, sustainable development.

إهداء

أقدم هذا الجهد المتواضع عربون ولاء ومحبة لوالديَّ مد الله في عمريهما... وتقديراً ووفاءً لزوجي على دعمه المخلص لي... وأهله الكرام الممتنة لهم دوما ..

وإلى أبنائي: جاسم وعائشة وريم...

إلى كل فرد بعائلتي، اخوتي وخواتي وابنائهم فرداً فرداً...

وإلى كل من ساندني طوال رحلتي خلال العامين الماضيين من جموع الاهل والاصدقاء...

خاصةً الدكتور العزيز موسى علايا... لدعمه وتوجيهه الدائم خلال كتابة البحث العلمي

مقدمة:

تُعد ظاهرة البطالة المقنعة في الواقع العام القطري ذات تأثير محوري في مستقبل التنمية المستدامة في البلد، كونها ترتبط بشكل مباشر في كفاءة استخدام الموارد البشرية المحلية، التي تشكل البنية الأساسية في نجاح عملية التنمية المستدامة بشتى مجالاتها، ويرجع السبب إلى أن المورد البشري المحلي إذا توفَّرَ على القدرة والكفاءة والفرصة تكون إنتاجيته أكثر فاعلية[1] . وتولي دولة قطر اهتماماً نسبياً بالتنمية المستدامة،

[1] إيمان، صالحي (2016). دور الموارد البشرية في تحقيق التنمية المستدامة. جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

لإيمانها بأهميته من أجل الاستمرارية والإنتاجية عبر الأجيال القادمة من الكوادر القطرية المحلية، وتكمن جهودها في رسم السياسات والإستراتيجيات والأنظمة الموضوعة، التي تهدف لبناء مؤسسات وفق معايير التنمية المستدامة، وهذا ما تضمنته إستراتيجية 2017-2022 التي دمجت أجندة التنمية المستدامة 2030 مع إستراتيجية التنمية الوطنية الثانية لتحقيق رؤية قطر 2030، التي تنص على "تحويل قطر إلى دولة متقدمة قادرة على تحقيق التنمية المستدامة وتأمين استمرار العيش الكريم لشعبها جيلاً بعد جيل"[2]، والجهود الحكومية في إعداد الكوادر القطرية تتحدد في رؤية الحكومة المستمدة من رؤية قطر الوطنية من خلال ركيزة التنمية البشرية وتنص على "تفعيل وتطوير الأداء العام بالجهات الحكومية وغير الحكومية، وصولاً إلى أداء حكومي كفوء وفعال، وسوق عمل منظم ومتطور، وتنمية اجتماعية مستدامة، تفضي إلى الإسهام الإيجابي والفاعل في تحقيق رؤية قطر الوطنية2030"[3]، ونجد بأن مؤسسات القطاع العام القطري تكتظ بالكوادر القطرية الواعدة والخريجة التي ستنعكس مستقبلاً وظاهرياً في الاستغناء عن الكوادر الأجنبية وتحقيق التنمية المستدامة للمورد البشر ، ولكن من جانب آخر تواجه مؤسسات القطاع العام تضخماً في الأجهزة الإدارية وتكاليف الأجور لديها يقابله ضعف في مستويات إنتاجيتها، وهذا يضعها في تساؤل كامن حول أسباب قصور استغلال الموارد البشرية في ظل توافر كافة الإمكانات المالية والتعليمية.

تكمن أهمية البحث من النَّاحية الأكاديمية العلمية في مساهمة نتائج الدراسة في التَّراكم المعرفي لظاهرة البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري ومعرفة الواقع القائم نظراً لقلة الدِّراسات التي تتعرض لهذا الموضوع، ومن النَّاحية التَّطبيقية العملية ستساعد نتائج الدِّراسة متخذي القرارات على وضع إستراتيجية مناسبة للتَّعامل مع قوانين العمل الخاصة بسياسات الترشح والتعيين، وأيضا تهدف الدراسة إلى معرفة واقع البطالة المقنعة والتنمية المستدامة في القطاع العام القطري ودراسة العلاقة والأثر بينهما، والخروج بنتائج وتوصيات تخدم أصحاب القرار. تبدأ الدراسة في الجزء الأول بتناول مصطلحات الدراسة وما استعانت به من مؤلفات ودراسات سابقة حول مدى تأثير البطالة المقنعة في التنمية المستدامة، ثم يعرض الجزء الثاني لمحة عامة عن هياكل وواقع القطاع العام القطري، ومن ثم يشرح الجزء الثالث المنهجية التي تتبعها الدراسة، والعينة المستخدمة لدعم التحليل والنتائج. أما القسم الرابع فيستعرض مساهمة النتائج للتوصل على إجابة السؤال، فيما يستعرض القسم الأخير النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.

---

https://2u.pw/opkYO

[2] وزارة التنمية الإدارية. (2018). إستراتيجية الوزارة 2019 – 2022. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://www.adlsa.gov.qa/ar/ADLSA/the-ministry/strategic-plan

[3] رؤية قطر الوطنية 2030. الأمانة العامة للتخطيط التنموي. (2008). التنمية البشرية 2008. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://www.psa.gov.qa/en/knowledge/HomePagePublications/QNV2030_Arabic_v2.pdf

أولاً: التعريف بالمفاهيم والإطار النظري:

يطمح العديد من الأفراد في المجتمع للحصول على وظيفة تسد حاجاتهم اليومية في مجال ما، سواء أكانت مرتبطة بدراستهم أم اهتماماتهم، ولكن دائماً ما يصطدم هؤلاء مع الواقع إذ يواجهون صعوبة في الحصول على العمل المناسب، سواء لعدم توفر شواغر متاحة، أم لعدم توافق المؤهلات والخبرات مع ما هو متاح في سوق العمل، ويتسبب هذا الظرف في تأخر حصولهم على الوظيفة أو الاستسلام في البحث عنها مما يخلق ارتفاعاً في أعداد غير الحاصلين على العمل، ويطلق على هذه النسبة مسمى البطالة[4]، وتعني البطالة بشكل أدق وجود شخص مؤهل وقادر على العمل مقابل شح في الوظائف أو عدم تناسب الشواغر المتاحة مع مؤهلاته وقدراته، لذا يطلق مفهوم البطالة على من تتوفر لديه الخصائص التالية: شخص يبلغ من العمر 15 إلى 65 عاماً، ولا يعمل سواء أكان يقبض أجراً أم لحسابه الخاص، وأن يكون الشخص متاحاً وراغباً في العمل وقادراً عليه مقابل أجر أو لحسابه الخاص، وأن يكون الشخص متبعاً خطواتٍ جادةً للبحث عن عمل[5]. وتشغل البطالة أهمية كبيرة في المجتمعات، حيث إنها تمثل جزءاً من المعدلات الاقتصادية العامة في أي بلد، بحيث يتم احتسابها إحصائياً بشكل سنوي، لما لها من أهمية مطلقة في رفع الإنتاجية وخلق اقتصاد قوي من خلال الطاقات غير المستغلة، ولذلك وجب النظر في البطالة التي تعد آفة من آفات المجتمع لما لها من آثار مدمرة على سلوكيات المجتمع وثقافته، وسنتطرق بشكل أدق إلى أسباب البطالة وأنواعها: تتعد أسباب البطالة وتختلف من مجتمع إلى آخر، فتتنوع الأسباب التي تتسبب في رفع معدلات البطالة بين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ويمكن إيجازها بعدة نقاط منها[6]: أولاً: البطالة الاحتكاكية أو بطالة التنقل أو بطالة الطوعية، وتعنى بالبطالة قصيرة المدى، التي تنشأ بسبب عملية الانتقال المستمرة لدى الموظفين من وظيفة إلى وظيفة أخرى بغرض زيادة الأجر أو تحسين الوضع الوظيفي، وتعتبر نوعاً من أنواع البطالة المؤقتة القائمة في فترة زمنية بين تقديم طلب وظيفة ما وبين القبول بها، وتعرف بشكل مبسط على أنها توقف موظف عن العمل لفترة قصيرة من أجل الانتظار للانتقال إلى الوظيفة الجديدة[7]. ثانياً: البطالة الهيكلية وتحدث بسبب التباين القائم بين مهارات الموظفين والمهارات المطلوبة والعوامل الجغرافية، وقد تحصل في مواقع جغرافية معينة وبعيدة نسبياً وتتطلب مهارات معينة يصعب الوصول إليها من قبل موظفين ذوي تأهيل،

---

[4] عبد، أزهر (2020). الإطار المفاهيمي للبطالة وإستراتيجية مكافحتها من منظور قانوني. مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، 46، 109-128. متاح على الرابط التالي:
https://2u.pw/Wtpst

[5] عبد القادر، رجب ومرسي، محمد، حسين، حمادة (2009). البطالة نظرة واقعية وحلول عملية. جامعة القاهرة في مصر. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://cu.edu.eg/userfiles/3(1).pdf

[6] الزهراء، العجاج (2020). أثر التضخم على البطالة في الجزائر خلال الفترة 1990-2017. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 3(2)، 146-164. متاح على الرابط التالي:
https://2u.pw/p5bpG

[7] نفس المرجع.

وتلك التي قد تنشأ أيضاً في قطاع إنتاجي أو صناعي معين، نتيجة تطورات معينة خلقت توقفاً في بعض الوظائف المتاحة في الهيكل بسبب اختلاف متطلبات هيكل الاقتصاد (القطاع) مع الشواغر المتوفرة. ثالثاً: البطالة الدورية أو الموسمية أو البطالة العامة، وترتبط بفترات الانكماش والانتعاش الاقتصادي لكل بلد، ومن خلالها يتم ازدياد معدلات البطالة في فترات الانكماش، بينما تنخفض في فترات الانتعاش، فنتيجة لركود قطاع الأعمال أو تذبذبات الدورات الاقتصادية في فترات معينة خلال السنة، يفقد العمال وظائفهم بسبب الركود الاقتصادي. رابعاً: البطالة الاختيارية والإجبارية: ويقصد بالإجبارية إجبار الشخص على ترك وظيفته، بينما تتم الاختيارية نتيجة ترك الفرد للعمل بمحض إرادته، وأخيراً: البطالة المقنعة التي تعني وجود عمالة فائضة تفوق الحاجة الفعلية. من خلال التعريفات السابقة للبطالة نجد أنها تشمل بعدين رئيسين، البعد الأول: ويقصد به عدم الاستخدام الكامل للقوى العاملة المتاحة ومنها البطالة السافرة والجزئية (البطالة الظاهرة)، التي يتم احتسابها ضمن معدلات البطالة، والبعد الثاني: ويقصد به عدم الاستخدام الأمثل للأيدي العاملة ويتمثل في البطالة المقنعة غير الظاهرة، وهو جوهر البحث، وسيتطرق البحث بشكل أدق إلى مفهوم البطالة المقنعة.

تعرف البطالة بأنها الحالة التي لا يتم استغلال القوى العاملة المتوفرة استغلالاً كاملاً أو أمثل، والتي يكون فيها الناتج الفعلي أقل من المتوقع، ما يتسبب بانخفاض الإنتاجية والرفاهية للمجتمع، وتعرف البطالة أيضاً بأنها عدم توافر العمل لشخص قادر عليه، أو توافر عمل لشخص وحصوله على الأجر دون أن ينجز شيئاً يذكر، ومن هذا المصطلح يتضح شقان من البطالة وهما الظاهر وغير الظاهر، ومن هنا ظهر مفهوم مصطلح جديد يعرف بالبطالة المقنعة [8]. البطالة المقنعة تعد من أسوأ أنواع البطالة الموجودة، ويكمن السبب في أنها بطالة غير مرئية كما الأخريات من أنواع البطالة، التي يمكن رصدها ومعالجتها، ويكون الأشخاص في حال توظيف شكلي فقط دون استغلال، ومن ثم لا تندرج تلك الفئة مع المسوحات التي تحسب معدل العاطلين عن العمل، بل يتم تضمينها مع مسوحات العاملين دون أي إنتاجية تذكر لهم، وينتج عن ذلك تحمل المؤسسات مصاريف أجور عالية مقابل إنتاجية أقل من المستوى[9]. وتعرف البطالة المقنعة بأنها وجود فائض من الأيدي العاملة مقابل إنتاجية دون المستوى، أو بمعنى آخر لا تؤثر عملية سحب الأيدي العاملة من دائرة الإنتاج في مخرجات الإنتاج، وتكتظ القطاعات العامة بأشكال البطالة المقنعة لاتباعها السياسات الموحدة في سياسات التوظيف القائمة على المحسوبية والوساطة، وسياسة توزيع الموظفين القائمة على التعيين بحسب القطاعات، أو الشواغر المتوفرة دون تناسق بين احتياجات الوظيفة والشواغر المتوفرة، ومن جانب آخر تكون المخرجات الإنتاجية بسيطة مقابل الأيدي العاملة الموجودة،

[8] عبد، أزهر (2020). الإطار المفاهيمي للبطالة وإستراتيجية مكافحتها من منظور قانوني. مجلة الكوفة للعلوم القانونية السياسية، 46، 109-128. متاح على الرابط التالي:
https://2u.pw/Wtpst

[9] الموسوي، محمد (2018). آليات توليد البطالة في العراق وأنواعها واحتساب المقنعة منها: دراسة تحليلية للمدة 2003-2015. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، 24 (108). 312-330.
file:///C:/Users/saba/Downloads/1334-Article%20Text-2379-1-10-20190101.pdf

فتتلخص البطالة المقنعة بأنها أيدٍ عاملة تستلم أجوراً مقابل عدم الإنتاجية، وتخلق تكلفة على القطاع العام، وتتشبب بتضخم الجهاز الحكومي بأعداد كبيرة تفوق حاجته ولا تتناسب مع احتياجاته وهو ما يعبر عن سوء توزيع العمالة في القطاع العام بين الأجهزة الحكومية المختلفة[10]. لذا يتلخص مفهوم من يمارسون البطالة المقنعة إجرائياً بأنهم مجموعة من العاملين يتقاضون أجراً دون جهد منهم للوظيفة التي يقومون بها، فبقاء هؤلاء العاملين أو سحبهم لا تؤثر في مخرجات المؤسسة [11]، أي هم من يعملون اسماً لا فعلاً، مع قبض رواتب دون إنتاجية محققة منهم، وتتمثل العلاقة العكسية بينهم في ارتفاع معدل العاملين، مع انخفاض في الإنتاجية[12]، وسنتطرق بشكل تفصيلي أكثر إلى مفهوم مؤسسات القطاع العام وآليات عملها وأثر البطالة المقنعة في القطاع العام.

كما هو سائد في تعريف المشكلة الاقتصادية القائل بندرة الموارد في قبال حاجات غير محدودة، ويتم تخصيص الموارد المتاحة لإشباع أكبر عدد من الحاجات لتحقيق الرفاهية الاقتصادية، وتحصل عملية التخصيص هذه من خلال منبرين هما: القطاع الخاص ويتم تخصيص الموارد فيه عن طريق السوق (العرض والطلب)، ويركز أهدافه نحو الربح، ومن خلال القطاع العام ويتم تخصيص الموارد من خلال تدخل الدولة، وتركز أهدافها على تحقيق الرفاهية لمواطنيها، ويكمن المبرر الاقتصادي لوجود القطاع العام في تقديم الخدمات العامة والأساسية للمواطنين تحقيقاً لأهداف التنمية والاستدامة طويلة الأجل[13]. لذا يعرف القطاع العام بأنه وسيلة تنظيمية تتدخل فيها الدولة لتخصيص الموارد المتوفرة لديها بصورة مثلى، وتعرف بالمؤسسات أو الهيئات العامة التابعة للدولة سواء الإدارية أم الاقتصادية أم الاجتماعية، ويكون دورها تنفيذ واجبات الدولة بناء على سياسات الدولة وإستراتيجياتها، وسواء أكانت تتمتع بالاستقلالية الإدارية أم لا تكون تحت رقابة الدولة وإشرافها لمتابعة البرامج والأهداف المحققة واعتماد موازناتها السنوية[14]. يشمل القطاع العام المؤسسات العامة والهيئات العمومية والوحدات الاقتصادية التي تملكها الدولة أو التي تملك جزءاً منها بنسبة مساهمة رأس مال فيها،

---

[10] إبراهيم، علي (2020). البطالة المقنعة في قطاع الحكومة. مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية. 2 (21). تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://mbes.journals.ekb.eg/article_118243_16ea4a69fb8bf06a9935a04c20c33ae6.pdf

[11] الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf

[12] عبد القادر، رجب ومرسي، محمد، حسين، حمادة (2009). البطالة نظرة واقعية وحلول عملية. جامعة القاهرة في مصر. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://cu.edu.eg/userfiles/3(1).pdf

[13] Pascual, U., Muradian, R., Brander, L., Gómez-Baggethun, E., Martín-López, B., Verma, M., ... & Polasky, S. (2010). The economics of valuing ecosystem services and biodiversity. *The economics of ecosystems and biodiversity: Ecological and economic foundations*, 183-256.

[14] Van der Waldt, G. (2004). *Managing performance in the public sector: concepts, considerations and challenges*. Juta and Company Ltd.

ويتوجه القطاع العام بشكل توسعي نحو النمو الصناعي وزيادة إنتاجه واستثماراته لضمان تلبية الاحتياجات الشعبية ولضمان مصدر دخل مستدام لهم[15]. ويتمثل القطاع العام في المؤسسات والهيئات والشركات الخاصة بالدولة التي تقدم الخدمات العامة للجمهور مثل: إنشاء الجسور والطرق، وتوفير الكهرباء والماء، وتوفير المستشفيات والمدارس ووسائل الاتصال، والأمن والدفاع، بحيث يتمثل في الحاجات الأساسية التي يحتاجها المواطن ولا يمكن تسليمها إلى القطاع الخاص لأهميتها بالنسبة إلى المواطن[16].

وتلعب آلية عمل القطاعات العامة بشكل عام في دول العالم وبشكل أخص في دول العالم العربي دوراً مهماً في تضخم المورد البشري في قطاعاتها، لما تلعبه السياسات القائمة في تلك القطاعات، التي تعمل على آلية الحوكمة القائمة على المركزية في السلطة والقرارات والمورد المالي والبشري من قبل الدولة نفسها، مما يقيد القطاع العام في حركته وبناء سياساته ورؤيته الخاصة به، ومن هذه المعضلة تسهم الكثير من السياسات المركزية في خلق سياسات غير ظاهرة أو من غير من الممكن من رصدها ودرؤها[17] ، ولكننا نجدها متفاقمة وتتسبب بالبطالة المقنعة، ومن ذلك سياسات التعيين للوظائف القائمة على المحسوبية والوساطة بأغلب أوساط القطاعات العامة، التي لها دور مهم في خلق أيدٍ عاملة غير كفؤة في أداء مهامها، وأيضاً سياسات الترشح للوظائف القائمة على تغطية الشواغر دون تطابق احتياجات الوظيفة مع التخصص الوظيفي للشخص المرشح للوظيفة، أو دون تطابق الوظيفة مع اهتمام الخريج نفسه، وأيضا سياسة الترقيات والتطور الوظيفي شبة ثابتة ولا تدعم عملية التحفيز الوظيفي للموظفين لزيادة إنتاجيتهم وتحفيز إبداعهم للعمل[18]. وتلعب أيضاً سياسة تأمين فرص العمل للأفراد القائمة على تسكين العمالة دون النظر إلى احتياجات سوق العمل دوراً في تكدس الأيدي العاملة بصورة تفوق حاجة تلك القطاعات[19]، وتسهم طرق التوزيع للموظفين على الأعمال والوظائف في خلق البطالة المقنعة، من خلال وجود فجوة بين الوصف الوظيفي والتوزيع الفعلي للموظفين،

---

[15] سليم، ريم (د.ت). أرصدة للبيع: نظرة على القطاع العام في مصر. فكر أونلاين. أكاديميا. تم الاسترجاع من الرابط التالي: https://2u.pw/OXXGO

[16] صالح، هدى (2020). الازمات الاقتصادية المالية في بيئة القطاعين العام الخاص: الأسباب والحلول في ظل المفهوم الإسلامي. مجلة بحوث. 35. تم الاسترجاع من رابط قاعدة بيانات مكتبة قطر الوطنية. متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/cMiQf

[17] Noland, M., & Pack, H. (2007). *The Arab economies in a changing world*. Peterson Institute.

[18] Elayah, M. (2016). Lack of foreign aid effectiveness in developing countries between a hammer and an anvil. *Contemporary Arab Affairs*, *9*(1), 82-99. & Al-Habees, M. A., & Rumman, M. A. (2012). The relationship between unemployment and economic growth in Jordan and some Arab countries. *World Applied Sciences Journal*, *18*(5), 673-680 & Jelili, R. B. (2010). The Arab Region's Unemployment Problem Revisited. *Kuwait: The Arab Planning Institute*. & Fergany, N. (2001). Aspects of labor migration and unemployment in the Arab region. *Almishkat Center for Research, Cairo*, *3*.

[19] Miles, R. (2002). Employment and unemployment in Jordan: The importance of the gender system. *World development*, *30*(3), 413-427.

والذي يسهم في وجود موظفين دون المؤهل والتخصص المناسب للوظيفة[20]، بالإضافة إلى عدم التحديث والتطور والتجديد في آليات العمل، في ظل غياب التدريبات التي تؤهلهم وتمكنهم من التغيير، وتسهم أحجام الأعباء الوظيفية في القطاعات العامة مقابل أعداد الموظفين المتوفرة بإيجاد خلل وعدم توازن بين حجم ومتوسط وقت العمل الفعلي في اليوم[21].

تتسم القطاعات العامة بسياسات سائدة في أغلب دول العالم ولا سيما العربية، وبشكل أخص ما يرتبط بموضوع الأمان الوظيفي الذي تفتقده أغلب القطاعات، مما يخلق توجهاً كبيراً لدى أغلب الأيدي العاملة نحو القطاعات العامة للتمتع بخصائصها من تأمينات اجتماعية، ورواتب تقاعدية، ومهام وظيفية محدودة، إلى آخره من المميزات التي تسبب تكدس أغلب الأيدي العاملة في القطاعات العامة بمعدلات تفوق حاجتها، وينتج عن تلك الممارسات هدر في المورد البشري، وعدم استغلاله واستغلال كفاءته وقدرته لتحقيق مستويات إنتاجية عالية تجعل تلك المؤسسات في مستقبل مرموق مستدام، ومن هذه النقطة يظهر مفهوم البطالة المقنعة في القطاع العام[22]، وتؤدي البطالة المقنعة لخلق الروتين والصراعات الدائمة في وسط العمل البيئي الوظيفي نتيجة الفراغ الوظيفي، بالإضافة إلى شعور الفرد تجاه نفسه بتدني القيمة والهدف والطموح ما يتسبب بإنتاجية دون المستوى، وهذا يتهدد أمن القطاع العام في استمرارية تقديم الخدمات بالمستوى المطلوب في المستقبل، وهنا تكمن أهمية المورد البشري واستثماره لتنمية القطاعات العامة نحو الاستدامة لاستمرار تقديم الخدمات للأجيال القادمة دون المساس بحقوقهم[23]. كل تلك العوامل تؤدي إلى خلق عجز كبير في القطاعات العامة من خلال تسديد نفقات رواتب وأجور موظفين تفوق معدل إنتاجيتهم، بحيث لو تم تخفيض عدد العمال إلى الربع فإن الإنتاج لن يتأثر، ويعد هذا هدراً كبيراً في ميزانية الدولة في باب المصروفات التشغيلية الخاصة ببند الرواتب والأجور، مما يخلق عدم توازن بين المصروفات والإيرادات، وهذا يكلف الدولة الكثير لتغطية العجز، ويخلق لها تحدياً أمام الاستمرار والتنمية، وهنا تكمن المشكلة في دور البطالة المقنعة في القطاعات العامة إذ تحدُّ من التنمية المستدامة للقطاعات العامة،

[20] الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf

[21] Abdelbary, I. (2021). *Reviving Arab Reform: Development Challenges and Opportunities*. Emerald Group Publishing.

[22] Abdelbary, I. (2021). Institutions and Political Aspects of Arab Reform. In *Reviving Arab Reform: Development Challenges and Opportunities*. Emerald Publishing Limited.

[23] Breisinger, C., Ecker, O., Al-Riffai, P., & Yu, B. (2012). *Beyond the Arab awakening: policies and investments for poverty reduction and food security*. Intl Food Policy Res Inst.

من خلال الهدر في المصروفات دون إنتاجية تتناسب والمستوى المطلوب[24].

فالقطاعات العامة المتردية تعيق عملية التنمية، وتتعدد التعريفات المتعلقة بالتنمية اصطلاحاً تبعاً لاختلاف مضمون كل توجه وما يركز عليه إلا أنها اتفقت بأنها التغيير الإرادي الذي يحصل في المجتمع سواء أكان سياساً أم اقتصادياً أم اجتماعياً، ويعد التغيير فيها مرحلة تغيير من وضع قائم إلى وضع أفضل، أو ما ينبغي الوصول إليه، وتهدف التنمية إلى تطوير أحوال الناس وتحسينها من خلال استغلال جميع الموارد والطاقات المتاحة ووضعها في موضعها الصحيح، وتعتمد بشكل كبير في مرحلة التغيير على أفراد المجتمع نفسه[25]. وتشمل أهداف التنمية الاجتماعية تحقيق الاستقرار الاجتماعي لأفراد المجتمع الواحد، وخلق الروح الجماعية فيما بينهم، وتشجيعهم على الانخراط في المجتمع، وبشكل أدق تعنى التنمية بتطوير البشر في علاقاتهم المشتركة، بينما تشمل أهداف التنمية السياسية إلى محافظة البلد على استقرارها السياسي ومواجهة التحديات السياسية الدولية من خلال زيادة تمكين أفراد المجتمع في العملية السياسية للبلد من خلال صنع القرارات، وتتمثل أهداف التنمية الاقتصادية في تعزيز مستويات المعيشة والصحة الاقتصادية للمجتمع من خلال الإجراءات المستدامة التي يتخذها صناع السياسة[26]، ومن هنا يظهر مفهوم التنمية المستدامة الذي سنتطرق إليه بشكل أعم، إذ يشكل أهمية كبرى في مؤسسات القطاع العام وله دورٌ في قمع البطالة المقنعة.

ترتبط المواضيع الخاصة بالتطور والتنمية على نحو خاص بالمورد البشري المساهم والفعال في تحقيقها، ويلعب المورد البشري الكفوء والفعال دوراً مهماً في استدامة الموارد واستغلالها على نحو أمثل عبر توظيف كفاءته وقدرته، والتركيز على الاستفادة المادية والنمو المادي دون الانتهاكات المحققة بحق الطبيعة التي تؤثر سلباً في الأجيال القادمة على المستوى البعيد، وهذا ما جعل مفهوم التنمية يشمل آفاقاً أوسع وأبعد من ارتباطها بمحور التنمية فقط، ومن هنا ظهر مفهوم التنمية المستدامة وكيفية خلق التوازن بين التطور والترشيد[27]. فالتنمية المستدامة كما تم تعريفها في تقرير برونتلاند عام 1978م بعنوان "مستقبلنا المشترك" بأنها تنمية تلبي احتياجات الجيل الحالي دون الإضرار بالجيل المستقبلي في تمكنهم من تلبية حاجاتهم[28].

---

[24] عبد القادر، رجب ومرسي، محمد، حسين، حمادة (2009). البطالة نظرة واقعية وحلول عملية. جامعة القاهرة في مصر. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://cu.edu.eg/userfiles/3(1).pdf

[25] نوري، سعيد (2020). التنمية بين المفهوم والاصطلاح. موقع ريسيرش جيت. تم الاسترجاع من
https://2u.pw/zr76P

[26] الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf

[27] أيوب، بولين (2016). إشكالية التنمية المستدامة في العالم العربي. دار أفكار، 93. متاح على الرابط التالي:
https://2u.pw/0ZHVK

[28] الغرباوي، شهدان (2020). التنمية المستدامة: ما بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالمورد البشري [نسخة الكترونية]. تم استرجاعه من قاعدة بيانات مكتبة قطر الوطنية.

وتم تعريفها من قبل مجلس منظمة الأغذية والزراعة عام 1988م بأنها إدارة الموارد الطبيعية وصيانتها عن طريق توجيه التكنولوجيا والمؤسسات بصورة تضمن تلبية الاحتياجات البشرية للأجيال الحالية والمقبلة بصورة مستمرة[29]. ويتوافق مصطلح التنمية المستدامة مع عناصر التنمية البشرية والبيئية والاقتصادية بحيث لا يمكن الارتباط بعنصر واحد فقط، بل يتم الربط بينهم بشكل تكاملي لتتحقق التنمية المستدامة، اقتصادياً من خلال إنتاج الخدمات والسلع بصورة مستمرة لتلبية الاحتياجات للأفراد في الوقت الحاضر وللأجيال في المستقبل، بصورة تمنع حدوث اختلالات اجتماعية وجعل التوزيع عادلاً بين جميع أفراد المجتمع، وبصورة تمكننا من المحافظة على الموارد الطبيعة وترشيد استخدامها بكفاءة وفاعلية[30].

إن عمود التنمية المستدامة وأساسَ تحقيقها يتمثل في العنصر البشري، الذي يسهم بشكل فعال في إدارة الموارد من أجل عملية التصدي لقضية الفقر، وهذه القضية من أهم أولويات التنمية المستدامة، وتتمثل في عدم كفاية الحصول على الموارد من مياه الشرب، والصحة، والتعليم والحقوق السياسية والمدنية التي تمكنهم من تحقيق التنمية المستدامة وتوفير بيئة صحية لهم، لذا يعد العنصر البشري عنصراً مهماً للاستثمار فيه، عبر الاهتمام بتعليمه وصحته، وكيف أن ذلك ينعكس عليه في تمكنه من تحقيق الإستراتيجيات الخاصة بالتنمية المستدامة بكفاءة وفاعلية، إذا كان يتمتع بالصحة والمعرفة الجيدتين، ولا سيما أن العنصر البشري يعد البنية التحتية لكل مؤسسة، خاصة مع التقدم التكنولوجي الذي يشير إلى حاجة الدولة الفعلية للاهتمام بالاقتصاد المعرفي للعنصر البشري لضمان التنمية المستدامة، عبر الاستثمار في الطاقات البشرية والاستفادة من أفكارها واختراعاتها وإبداعاتها التي ستسهم في دعم عملية التنمية المستدامة[31].

وبناء على ذلك فإن البناء النظري لهذه الدراسة يربط ما بين البطالة المقنعة والتنمية المستدامة، مركزاً على العديد من الكتابات التي تمت حول هذا الموضوع وأبرزت الكثير من العوامل التي تجعل المتغير المستقل يؤثر على المتغير التابع. والعديد من العوامل تسهم في جعل المتغير المستقل يؤثر وبشكل كبير في التنمية المستدامة من خلال تثبيطها الحيلولة دون نجاحها، منها عوامل ذات طبيعة اقتصادية، ومنها عوامل متعلقة بطبيعة العمل، ومن هنا تأتي أهمية الاطلاع على تلك العوامل وفهمها ودراسة جوانبها للتمكن من عمل تغذية راجعة تمكن من الحد من البطالة المقنعة، ما يدفع باتجاه تحقيق التنمية المستدامة، وسيتم التعرض للعوامل الأساسية المتسببة بوجود البطالة المقنعة. هذا وتسهم الطبيعة الريعية للاقتصاد،

---

[29] الغرباوي، شهدان (2020). التنمية المستدامة: ما بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالمورد البشري [نسخة إلكترونية]. تم استرجاعه من قاعدة بيانات مكتبة قطر الوطنية.

[30] محمد، حياة (2018). رؤيا مستقبلية لتحقيق التنمية المستدامة في العراق. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. 2 (31).189-205. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/220/160

[31] إيمان، صالحي (2016). دور الموارد البشرية في تحقيق التنمية المستدامة. جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://2u.pw/opkYO

وخاصة في الدول النفطية التي تتسم بإطار التمويل شبه الكامل من إيرادات الموارد النفطية للموازنة مغطيةً كل قطاعات الدولة، مقابل فقر في الأيدي العاملة وخاصة في القوة المحلية العاملة في القطاعات النفطية، ما يسهم في خلق البطالة المقنعة من خلال اعتماد قطاعات الدولة على التمويل المستمر دون مقابل في الإنتاجية، فتتأسس القطاعات العامة في تلك الدول على مبدأ الدولة مسؤولة عن المواطن بغض النظر عن إنتاجيته، وبالتالي فإن هذا النمط السائد يسهم في تضخم الأيدي العاملة في القطاعات العامة، التي لا تركز على الإنتاجية بقدر ما تسهم فقط في توظيف العاطلين من مواطنيها، وتوفير نفقاتهم دون إنتاجية تذكر، ويسهم هذا النمط في تثبيط عملية الاستدامة بسبب الارتكاز على مصدر غير مستدام[32].

وتسهم العوامل الثقافية والاجتماعية التي تتجسد في القيم والمبادئ التي ينشأ عليها الفرد ضمن ثقافة الأخذ دون مقابل بحجة أنه ابن البلد وله الأحقية في الاستفادة من الموارد المتاحة في وطنه، دون الالتفات إلى مبدأ الأخذ والعطاء، وقد تكون تلك المبادئ نتيجة نشأة الفرد في بيئة تحيطها العادات والسلوكيات المعتمدة على مبدأ الاستحقاق بمجرد الحصول على الجنسية، وأيضاً جراء افتقاد القيم الدينية المستوعبة لمفاهيم الأمانة والإخلاص والصدق والاتقان في العمل والاعتماد على مبدا العمل بمنظور الاتكالية والتهرب الوظيفي والاحتيال الوظيفي عن طريق ممارسات فساد عامة منتشرة، منها الحصول على إجازات مرضية بدون أحقية، بالإضافة إلى عدم العدل والمساواة في العمل بسبب الوساطة والمحسوبية، ما يولد تثبيطاً وإحباطاً في أوساط الأيدي العاملة، وتسهم في شياع ثقافة الأخذ دون مقابل[33]. وتسهم بعض العوامل السياسية في القطاعات العامة مثل السياسات الاستيعابية القائمة على توظيف الخريجين بغض النظر عن حاجات المؤسسات لهم أو الإضافة الإنتاجية التي ستضاف للمؤسسة نظراً لانضمام أيدٍ عاملة جديدة إليها، مع ذلك تنتهج سياسة التوظيف بناء على السعة الاستيعابية المتوفرة في المؤسسة، ولا سيما بأن العوامل الديموغرافية تسهم بشكل نسبي في خلق البطالة المقنعة، من خلال ارتفاع نسبة الخريجين سنوياً مقابل ثبات في مستوى الإنتاجية للمؤسسات[34].

ومن خلال هذه الدراسات سوف يتم التركيز على ثلاثة عوامل فقط من التي تم طرحها أعلاه، نظراً لأهميتها ولما لها من أسباب وتبريرات، ولا يعني ذلك بالضرورة إغفال أهمية العوامل الأخرى، مثل العوامل الديموغرافية والاجتماعية والثقافية والسياسات المنتهجة في القطاعات العامة، لما لها من صدى واسع في البلدان الريعية، التي تتطابق مع محور دراستنا لدولة قطر، ولدراسة هذه العوامل سيتم اختبارها في واقع القطاع العام القطري، من أجل إبراز أهم العوامل وتأثيرها في واقع البطالة المقنعة في القطاع العام القطري.

---

[32] الموسوي، محمد (2018). آليات توليد البطالة في العراق وأنواعها واحتساب المقنعة منها: دراسة تحليلية للمدة 2003-2015. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، 24 (108). 312-330.
file:///C:/Users/saba/Downloads/1334-Article%20Text-2379-1-10-20190101.pdf

[33] Common, R. (2008). Administrative change in the Gulf: Modernization in Bahrain and Oman. *International Review of Administrative Sciences*, *74*(2), 177-193.

[34] Ramady, M. A. (2010). *The Saudi Arabian economy: Policies, achievements, and challenges*. Springer Science & Business Media.

ثانياً: هياكل واقع القطاع العام القطري:

تم صدور أول دستور قطري في سنة 1970م، وتضمن تشكيل أول مجلس وزراء من خلال مرسوم مختص بتشكيل مجلس الوزراء وتعيين اختصاصاتهم وآلية عمل الأجهزة الحكومية الأخرى التابعة له، إذ تضمن عشرة وزراء ويرأسهم ولي العهد للشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مؤذناً بدخول قطر مرحلة جديدة تم من خلالها تسلم الحكومة زمام أمورها باستقلالية [35]، وفي عام 2008م خضعت الهياكل الحكومية لإعادة هيكلة تتجه نحو الحقائب الوزارية، التي تنم عن خلق المسؤولية للوزارات ضمن سياسات محددة، ومن ثم اتجهت رؤية قطر 2030م نحو تنمية القدرات المؤسسية والتنظيمية من خلال التعاون بين المؤسسات جميعها في دولة قطر من أجل توفير مناخ مناسب لعمل منظمات المجتمع المدني، ما يصب أخيراً في تحقيق الرؤية الخاصة بالتقدم الاقتصادي والاجتماعي والتقدم في المورد البشري وفي التنمية المستدامة[36].

الهيكل الحكومي لدولة قطر يشمل جميع الوزارات والمجالس العليا والهيئات الحكومية الأخرى التابعة له، ويعمل حوالي 90 ألف موظف فيها من القطريين والمقيمين، ويبلغ معدل القطرين 51.8% من مجموع السكان من عمر 15 سنة وأكثر، بينما تمثل الفئة العمرية 25-34 سنة الأكثر مشاركة اقتصادياً، ويبلغ متوسط الأجور للموظفين بأجر 11.392 ريالاً، مقابل متوسط قدرة 11.703 ريال للذكور و10.604 ريالا للنساء، وبحسب منظمة العمل الدولية فإن عدد الباحثين عن عمل في دولة قطر بلغ 2292 شخصاً بمعدل بطالة 0,1% في الربع الأول لسنة 2020م، بينما على مستوى البطالة للقطرين بلغت 0,5%[37]، وتشهد مؤسسات القطاع العام في دولة قطر تطوراً سريعاً ومتنامياً لتلبية احتياجات المواطنين من خدمات مؤسسية[38]، ويتم تشكيل الوزارة بناء على أمر أميري يتم اقتراحه من قبل رئيس مجلس الوزراء، والقانون من يحدد صلاحيات واختصاصات القطاعات العامة في الدولة، وتتولى تلك القطاعات مسئولية تنفيذ السياسات والبرامج العامة ذات الصلة، التي تسهم في تركيز التوجيه على النتائج والتعاون بين الوزارات وتضييق التشعب في عمليات صنع القرار[39]. وقطر دولة تتطلع لتحقيق أهداف رؤيتها الوطنية 2030 الخاصة بالتقدم الاجتماعي والتنمية البشرية والتنوع الاقتصادي وتحقيق بيئة مستدامة، وكل تلك الأهداف المتطلب تحقيقها، تحتاج قطر فيها إلى قطاعات عامة قوية وداعمة لها عن طريق تنمية القدرات المؤسسية والبشرية،

---

[35] الديوان الأميري (2021). نظام الحكم. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://www.diwan.gov.qa/hh-the-amir#data---fc8e9caac7424beb99ad376c3623378b

[36] الميزان. (2021). السلطات الدستورية والحكومة للعام 2021. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://almeezan.qa/CustomPage.aspx?id=3&language=ar

[37] دوام، الطوخي (8-6-2020). 2.17 مليون حجم القوى العاملة في قطر، جريدة الراية. تم الاسترجاع من
https://2u.pw/kQtFt

[38] الميزان. (2021). السلطات الدستورية والحكومة للعام 2021. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://almeezan.qa/CustomPage.aspx?id=3&language=ar

[39] نفس المرجع

وتوفير مناخات ملائمة للعمل من أجل تحقيق الرؤية، وسينصب التركيز على تطوير القدرات المؤسسية بصورة مستمرة، والتعلم من الأخطاء السابقة، لتحقيق مستويات أداء عالية تعد ركيزة ودعماً للقيادة العليا. ومن الأهمية بمكان العناية بالعنصر البشري وتنمية البنية التحتية لإعداد قطاع عام قوي قادر على تحقيق أهدافه، لذا يتعين وضع إطار مؤسسي فعال لمتابعة الأداء المؤسسي ورصده، ليتمكن من تقديم الخدمات العامة بكفاءة وفاعلية، وتحقيق الرضا للمستفيدين من تلك الخدمات، وفي المقابل يتعين العمل على سد الفجوات في اختلالات العمل، من التسيب وضعف الإنتاجية وتكدس الأيدي العاملة واستثمارها وتوجيهها نحو الهدف الأساسي وهو تنمية دولة قطر، والتي تعكس بطالة مقنعة تمثل العبء الأكبر على ميزان النفقات العامة، وهذا هو محور تركيز هذه الدراسة التي تسعى إلى التعرف عن أسباب البطالة المقنعة في الجهاز العامة للدولة القطرية ومدى تأثيرها على الإنتاجية العامة .

ثالثا: منهاجية الدراسات وطرق جمع المعلومات:

في هذه الدراسة سوف نعتمد على المنهج النوعي، الذي يعتمد على المصادر الثانوية من المعلومات المنشورة والمتاحة، وكذلك على التقارير والدراسات السياسية والأكاديمية وغيرها، وفي المقابل سيتم الاعتماد على المقابلات لمصدر المعلومات الأولية لزيادة الصلاحية الداخلية للبحث وكذلك الصلاحية الخارجية ولذلك اعتمادنا على مقارنة مصادر المعلومات الثانوية مع المقابلات ستؤدي إلى اختبار المعلومات في إطار دراسة حالة واحدة، وفي الوقت نفسه فإن الدراسة هذه تعتمد على مجموعة بحثية مختلفة من مستويات إدارية مختلفة، وكذلك من مجموعات ضبطية بحثية أخرى حددت كما الجدول الآتي:

الجدول (1) خصائص العينة

رقم المقابلة	المجموعة	أداة المقابلة	تاريخ المقابلة
1	المستوى السياسي	مقابلة شخصية	2021/3/4م
2	المستوى المتوسط	مقابلة شخصية	2021/3/4م
3	المستوى المتوسط	مقابلة شخصية	2021/2/22م
4	المستوى المتوسط	مقابلة شخصية	2021/2/24م
5	المستوى التنفيذي	مقابلة شخصية	2021/3/4م
6	أكاديمي	مقابلة شخصية (برنامج زووم)	2021/2/28م
7	القطاع الخاص	مقابلة شخصية	2021/3/11م
8	القطاع الخاص	مقابلة شخصية	2021/3/11م

المصدر: من إعداد الباحثة

معايير اختيار المبحوثين أعطتنا كذلك حيزاً واسعاً لمقارنة إجاباتهم بالإطار العام على مختلف المستويات، وكذلك مع مجموعات خارج الإطار العام، وذلك يولد أهمية في زيادة الصلاحية الداخلية للبحث للمقارنة بين مجموعات فرعية وأقل، في المقابل واجهت الباحثة عدة صعوبات عند إجراء المقابلات منها: أولاً: صعوبة التواصل مع العديد من العناصر التي ستخدم البحث من أكاديميين وموظفين نظراً للأوضاع الحالية الطارئة لأزمة جائحة كورونا، واعتماد الأغلب منهم تقنيات العمل عن بعد، وثانياً: الصعوبة في إيجاد التعاون مع الأطراف ذات الصلة بإجراء المقابلات نظراً لضغوطات العمل التي يوجهونها تزامناً مع الفترة التي أجريت فيها الدراسة، ثالثاً: ضيق الوقت مقابل بطء الاستجابة من الجهات المعنية لتحديد مواعيد المقابلات، رابعاً: التحفظ من قبل الموظفين على الإجابة عن بعض الأسئلة، باعتبارها أسئلة تخصصية تحتاج إلى أهل الاختصاص.

رابعاً: عرض النتائج وتحليلها:

تسهم العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية بشكل كبير في نشوء البطالة المقنعة في الجهاز العام لدولة قطر، وفي إطار الأسباب الاقتصادية الداعمة بشكل كبير لنشوء البطالة المقنعة، ما يواجه العالم من حالة تقشف وخاصة في الدول الخليجية المعتمدة بشكل شبه كلي على إيراداتها النفطية، وأيضا ما تواجهه من تداعيات أزمة كورونا التي أدت إلى العديد من الإغلاقات ما تسبب بتضرر العديد من المشاريع الصغيرة، وتذبذب المشاريع المستقرة نسبياً والناجحة، وأسهمت أزمة الحصار 2017م بشكل كبير في تذبذب السوق الخليجي بصورة غير جيدة[40]، في المقابل في دولة قطر هناك اهتمام كبير برؤية قطر الوطنية 2030 وإستراتيجية التنمية الوطنية الثانية، وتأكيد تام على أهمية التنمية في اقتصاد المعرفة وتحقيق الاكتفاء الذاتي، ولعل تلك المؤشرات المدركة التي تدل على تحقيق التنمية المستدامة هي نتاج ما تحقق من مشاريع الاكتفاء الذاتي التي تمت، خصوصاً خلال فترة الحصار، ومن ثم توالت أزمة كورونا، وهو الأمر الذي أدى لتغير واضح في السياسة التوسعية للدولة في القطاع الصناعي، ويمكن ملامسة ثورة التنوع الاقتصادي التي انتهجتها قطر وما زالت للبدء في التخلص من الاعتماد الأحادي على النفط، والتأكيد على القطاع الخاص وأهميته، وانتهاج قانون الشراكات بين القطاعين العام والخاص مؤخراً لجذب الاستثمار الأجنبي ودعم التنوع الاقتصادي، خاصة في ظل تطلع قطر لاستضافة كأس العالم، ولاسيما أيضا في الاتفاقية الخليجية الموحدة لضريبة القيمة المضافة، من أجل ضمان مستقبل إيراد مستدام للمورد البشري القطري، وأسهمت دراسة الأسرج بأن نتاج تلك الممارسات ما زالت متواضعة ولا بد من التركيز على تطوير المهارات الأصيلة والاستغناء عن العميل الاجنبي[41].

[40] رئيس قسم مركز الاتصال الطلابي، جامعة قطر، مقابلة رقم (1)، مقابلة شخصية، الدوحة، 2021/2/22.

[41] الأسرج، حسين (2014). إشكالية البطالة في دول مجلس التعاون الخليجي. وزارة التجارة والصناعة المصرية. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://mpra.ub.uni-muenchen.de/54600/1/MPRA_paper_54600.pdf

وفي إطار الأسباب السياسية المتسببة بشكل كبير في نشوء البطالة المقنعة، فلعل سياسات التعيين والتوظيف المختصة بوزارة العمل والتنمية للمواطنين القطرين تلعب دوراً مساهماً في ظاهرة البطالة المقنعة، من خلال الضغط الذي تواجهه نظراً لازدياد أعداد الخريجين، الذين يتوجهون إلى القطاع العام، مما يؤدي إلى تولي الموظفين مهام صغيرة، فهم لا يعملون بكافه إنتاجيتهم التي من الممكن أن يؤديها عامل أو عاملان فقط، ولذلك قد تضطر هي إلى اللجوء لتلك الممارسات، ولكن بشكل عام فإن وزارة التنمية ترجع في الأغلب للتوظيف بما يتناسب بين الشاغر الوظيفي وبين التخصص الوظيفي، أو بما يتقارب بينهما، وبناء على تلك الممارسة، نستنتج بأن تعيين القطريين في القطاع العام هي نتيجة تسببت في نشوء البطالة المقنعة، بالإضافة إلى إن سياسات التعيين التي تركز وبدرجة كبيرة على توجيه الأيدي العاملة القطرية نحو القطاع العام، دون وجود آليات مدروسة بجدية لجذب وتوجيه المواطن القطري نحو القطاع الخاص[42].

ولعل من الأسباب السياسية السياسات الموجودة والموجهة نحو تشجيع المواطنين للجوء إلى العمل بالقطاع الخاص في دولة قطر، وهذا ما تم تأكيده في إستراتيجية قطر الوطنية الثانية، التي تنم عن أهمية القطاع الخاص ودوره، ولما يمتاز به من تهيئة وتدريبات على مستويات عالية تنمي الفرد وتؤهله وتؤسسه لمجابهه سوق العمل بأحدث التقنيات، بالإضافة إلى عوامل التحفيز المتوفرة في القطاعات الخاصة من أجور عالية، وترقيات بحسب الأحقية دون تسلسل زمني يقيد من الإبداع والتطور، وكل تلك العوامل تسهم في جعل بيئة القطاع الخاص ملائمة للعمل المستدام للأيدي العاملة القطرية، بالإضافة إلى إنشاء صندوق التقاعد للقطريين من قبل سياسات دولة قطر، لإضفاء عامل الجذب الذي دائماً ما تفتقر إليه القطاعات الخاصة، بالإضافة إلى تخصيص وفرض نسب معينة للتقطير في القطاعات الخاصة، تجبر القطاعات الخاصة بموجبها على توفير الشواغر المناسبة للقطريين وضمان حقوقهم، وفي الجهة المقابلة يتطلب سوق العمل في القطاع الخاص جهداً واضحاً، وساعات عمل طويلة شاقة، ومسائلة صارمة، تكرس فكرة المقايضة للمواطن القطري بين القطاع العام والقطاع الخاص، والتي يفضل الأغلب التنازل عن جزء من الحوافز مقابل الراحة التي تتمتع بها أغلب القطاعات العامة، التي تتطلب مهارات متواضعة نسبياً، وجهداً وظيفياً أقل يتم خلال ساعات عمل أقل، ولا سيما بأن الأمان الوظيفي في القطاع العام أهم عامل لجذب أغلب المواطنين، ومن جانب آخر لعل عدم وجود آليات لتهيئة المواطنين وتدريبهم لمستوى يؤهلهم للعمل في القطاع الخاص عامل مهم في شعور المواطن بأنه غير قادر على مجابهة أقرانه ومنافستهم في العمل بالقطاع الخاص.

وفي إطار الأسباب الاجتماعية والثقافية المتسببة بشكل كبير في نشوء البطالة المقنعة تسهم الثقافة المجتمعية السائدة في المجتمعات الريعية التي تسود فيها فكرة الرفاهية مقابل اللا إنتاجية، فالأسباب تعود إلى وجهه نظر

[42] مدير إدارة التدقيق الداخلي في وزارة المواصلات والاتصالات، مقابلة رقم (2)، مقابلة شخصية، الدوحة، 2021/2/24.

الثقافة في تلك المجتمعات عن أحقيتها في الحصول على الخدمات بأعلى المعايير لأصل الجنسية المكتسبة لا الإنتاجية أو المخرجات المقدمة من قبلهم[43]،

ومن وجهه نظر أخرى تمثل الثقافات السائدة القائمة على البحث عن الراحة الوظيفية - التي تمتاز بالركود في معظم الفترات - عامل جذب للعديد من العاملين إلى هذه الوظائف، وهذا ما تمتاز به القطاعات العامة بشكل أخص، ورغم أن القيم الدينية والإسلامية مما تمتاز به دولة قطر، إلا أن هناك ممارسات تتناقض معها وتعكس ضعف الثقافة والوازع الديني، ومنها القيم القائمة على الإتقان الوظيفي والإخلاص في العمل والنشاط وتحقيق المسؤولية المجتمعية من خلال نفع الجمهور والوطن بصورة مرضية، فالواقع يعكس بعض الممارسات مثل: اللجوء إلى الكسل والتمارض واللجوء إلى الحلول السهلة والبسيطة التي تعطي مخرجات ذات جودة رديئة نسبياً[44]، وأكدت دراسة الكندري على الآثار الاجتماعية المنوطة بالبطالة المقنعة من أوقات الفراغ غير المستغلة المؤدية إلى قتل الرغبة والدافعية عند العامل للإنجاز والإبداع وإحلال قيم الأنانية والفردية محل القيم الجماعية والمصلحة العامة[45].

ومن خلال الجانب البشري نجد بأن انصباب الاهتمام نحو المعرفة والتعلم والتطبيق بدأ بصورة ملموسة على أرض الواقع من خلال الجامعات والمدارس التي تنمي المهارات والقدرات التي تؤهل الفرد لسوق العمل، لذلك نخلص بأن دولة قطر سعت بشكل كبير في وضع خطط مستقبلية على المدى البعيد لتفعيل دور القطاع الثالث للمساهمة في عملية التنمية في جميع الجوانب، وعلى الرغم من أن هناك توجهاً وحرصاً من الدولة، إلا أن هناك أدوات ناقصة في جعل العملية تسير بصورة صحية أكثر، فهناك فجوة كبيرة بين من يعدون الإستراتيجية (أشخاص ذوو دراية وخبرة عالية) وبين من ينفذونها في المستويات الإدارية (المدراء)، تلك الفجوة تجعل عملية إعادة تعيين الأشخاص الذين يتولون المهام في بعض المستويات الإدارية أمراً لابد منه، لأنها غير مؤهلة لإدارة العملية بصورة صحيحة، و من الممكن استيعاب المدير لدورة في تنمية موظفيه، من خلال تدريبهم ونقل خبراته إليهم، ولكن قد تدخل بعض الأمور الشخصية التي قد تعرقل أداء العملية، مثل خوف المدير على منصبه، فهناك عوامل قد تؤثر بشكل كبير خاصة أنه لا توجد سياسات خاصة بالمساءلة عن الأعمال أو مستويات الأداء والإنجاز، ويكمن الحل في وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، والاستعانة بالخبرات الوطنية المهمشة التي لم يتم الاستفادة منها بصورة صحيحة، وأيضا الالتفات إلى الأشخاص الذين يمتلكون قابلية للتعلم، ويمكن التعويل أيضاً على الأجيال القادمة الواعدة، التي يمكن لها أن تؤدي بصورة فاعلة بما يحقق الرفاهية،

---

[43] مديرة العلاقات العامة، وزارة المواصلات والاتصالات، مقابلة رقم (5)، الدوحة، 2021/3/4.

[44] مديرة التعاون الدولي، وزارة المواصلات والاتصالات، مقابلة رقم (4)، الدوحة، 2021/3/4.

[45] الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf

ولكن على المستوى التطبيقي لم نصل إلى المستوى المأمول فهناك تأكيد من القيادات الموجودة في دول قطر على أننا اليوم نعيش اقتصاد المعرفة، لذلك علينا استثمار هذا في منظماتنا العامة أو الخاصة[46].

بالإضافة إلى أن عدم تلاؤم التخصصات المتوفرة مع الشواغر المتاحة عامل مساهم في تفاقم ظاهرة البطالة المقنعة، ولعل ذلك يعود إلى ضعف التنسيق بين الجامعة وجهات العمل لمعرفة أعداد الخريجين في كل تخصص، ومدى الحاجة إلى تخصصات معينة أكثر من أخرى، فيلحظ وجود تكدس في التخصصات الإدارية، وافتقار إلى التخصصات الفنية، ويعود ذلك إلى عدم نشر الوعي المسبق لدى خريجي المرحلة الثانوية بالمستقبل الوظيفي لمجالات العمل الجديدة المطلوبة لمواكبة النهضة الاقتصادية التي تشهدها البلاد، الذي ربما يعود إلى ضعف مخرجات التعليم، أو ثقافة المجتمع القطري وتركيبته، كعامل مساهم في الوساطة والمحسوبية، خاصة مع ضعف الرقابة والمحاسبة والمسؤولية من قبل جهات التعيين، وفي المقابل يرى رأي آخر بأن التكدس قد يكون في مكان توجهه تلك التخصصات وليس في التخصصات نفسها وذلك بأن دولة قطر صغيرة نسبياً من حيث عدد السكان، مقابل نمو استثماري كبير يحتاج إلى العديد من القوى العاملة من جميع التخصصات، لذلك نتصور بأنه لو تم توزيع الأيدي العاملة بين القطاعين العام والخاص، فسنلاحظ بأن هناك فقراً في العديد من التخصصات في القطاع العام، بينما أسهمت نتائج دراسة الكندري في تأكيد آثار سوء توزيع التخصصات، التي تخلق إحساساً للفرد بأن العمل الخدمي لا يسهم في تحقيق الطموحات الفردية، ما يساهم في تثبيط عملية التنمية البشرية، ويؤكد حقيقية الاعتماد على المورد الأجنبي دون المواطن الاصيل[47].

البطالة المقنعة عائق في تحقيق التنمية المستدامة، وسيكون لها تأثيرٌ كبير في التنمية الاقتصادية الناتجة عن وجود فئة كبيرة معطلة تتقاضى أجوراً مرتفعة قد تشمل تأمينات صحية أو تعليمية لدى بعض القطاعات مقابل إنتاجية محدودة، في الوقت الذي تعاني فيه بعض القطاعات أو الجهات من نقص في القوى المنتجة، فينتج عن ذلك إهمال لتلك الطاقات، وتركها للفراغ الذي يحبط الروح المعنوية، والرغبة في التطوير والابتكار، خصوصاً أن الدولة تتطلع للانفتاح على الاقتصاد العالمي في مختلف المجلات وعلى مختلف الأصعدة، فاقتصار العمل على القطاع الحكومي، في مجالات معينة، وتعطيل باقي القطاعات سواء الخاصة أو الزراعية أو الصناعية، سينعكس بشكل سلبي على خطط التنمية الاقتصادية وسيطال أثره مجالات التنمية الاجتماعية والسياسية .

لعل من أبرز آثار البطالة المقنعة استنزاف موارد الدولة المالية، فعلى الرغم من حاجة الدولة الماسة لنمو مواردها الاقتصادية الناتج عن التوظيف الكامل والكفء، نجد أن جزءاً كبيراً من العاملين لا يساهم بكفاءة في أنشطتها الإنتاجية، فنجد بأن دولة قطر تسهم في الإنفاق على المواطن في مسيرته التعليمية من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية وتهيؤه إلى درجة الدكتوراه، ومن ثم يتم التكديس دون استفادة منه،

[46] مدير إدارة التدقيق الداخلي في وزارة المواصلات والاتصالات، مقابلة رقم (2)، مقابلة شخصية، الدوحة، 2021/2/24.

[47] الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf

حتى يصل إلى الشعور بأنه شخص غير مرغوب فيه، ما يخلق فيه نزعة عدم الرضا الوظيفي، التي تدفعه نحو التقاعد المبكر أو العمل لأموره الخاصة فيكون عبئاً على وطنه، ومن وجهة نظر أخرى تسهم البطالة المقنعة في خلق الصراعات الإدارية في المؤسسات العامة، وعدم وجود الثقة التنظيمية في القطاع العام وينتج من ذلك التسيب الوظيفي، بسبب شعور الموظف بعدم أهميته في العمل، الأمر الذي يدفعه إلى الخوف والقلق وتلمس الأعذار أو التمارض أو الإهمال مما يؤدي صراعات داخلية بين الموظفين ومرؤوسيهم أو حتى مع زملائهم، وعند تعيين أشخاص متقاربين في الأعمار والتخصصات في وظائف محددة دون إعطائهم أهدافاً لإنجازها، سيسعى كل منهم لهدفه وسيتجهون للأمور الشخصية وغير المفيدة التي ستكون عوامل هدم لأي نجاح، فعندما يكون هناك أكثر من موظف لتأدية عمل معين، قد يؤدي هذا العمل موظف واحد فقط، بينما لا يقوم الآخرون بشيء، وهذا قد يولد حالة من الصراع بينهم حول التعاون في القيام بنفس العمل.

الآليات أو الإجراءات التي يمكن من خلالها اقتلاع تلك الظاهرة تكمن في تدوير الموارد البشرية بين الأجهزة والأنشطة الحكومية المختلفة، بعد منحها التدريب التحويلي الضروري، لذلك بداية يجب أن نقوم بعمل تحليل الوظيفة، وعند تحليلها نقوم بتحديد المهام التي تتطلبها تلك الوظيفة، ثم نقوم بربطها مع الاحتياجات المطلوبة من القوى العاملة، وعندها توفر الاحتياجات الدقيقة من القوى العاملة، حيث إنه في الوقت الذي تعانى فيه أجهزة حكومية من ظاهرة «عاملون لا يعملون»، فإن هناك أجهزة وأنشطة حكومية أخرى تفتقر للكوادر البشرية المدربة[48]، وينبغي استحداث أدوات تقييم فعلية ذات مؤشرات قياس واقعية من خلال إنجاز أهداف مدروسة معينة لكل موظف، ومن ثم يتم بناء استراتيجيات الترقيات والمكافآت[49]، كما ينبغي تعزيز الشراكة مع القطاعات غير الحكومية لتأهيل الكوادر البشرية وإعطائها التدريب الكافي، وكذلك تشجيع الاستثمار داخل الدولة مما يساعد على خلق فرص وظيفية جديدة، وعلى الجامعات العمل من أجل مواكبة التطور الصناعي والتكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم، وتحديث الخطط والمناهج الدراسية بما يؤهل طلبتها لمواكبة متطلبات سوق العمل الحديث، والاستغناء عن العمالة الوافدة وإحلال العمالة المحلية بدلاً منها، والتوعية من خلال اللقاءات والزيارات الميدانية لطلبة المدارس بالمجالات الجديدة المواكبة لسوق العمل، وتطوير وتحديث مناهج التعليم العام بما يتواكب مع التطور الذي يشهده العالم، لذا ينبغي توجيه الخريجين وتهيئتهم نحو القطاع الخاص بشكل أكبر، ودراسة أسباب العزوف عن القطاع الخاص بشكل أعمق وموسع مع البحث عن الحلول الجذرية، ونجد في قطاع البنوك تخصصات معينة لا وجود فيها للقطريين بشكل تام، أو هناك وجود لكنه نسبي يقتصر على وظائف محددة مثل خدمة العملاء، بينما في تخصصات الاستثمار والتمويل على مستوى البنوك بصورة خاصه نادراً ما نجد العناصر قطرية التي قد تكون نسبتها 5% [50]،

[48] رئيس قسم مركز الاتصال الطلابي، جامعة قطر، مقابلة رقم (1)، مقابلة شخصية، الدوحة، 2021/2/22.

[49] مساعد مدير، MAZARS LLC، مقابلة رقم (7)، الدوحة، 2021/3/11.

[50] مدير إدارة التدقيق الداخلي في وزارة المواصلات والاتصالات، مقابلة رقم (2)، مقابلة شخصية، الدوحة، 2021/2/24.

لذلك وجب النظر في أسباب العزوف والبحث عنها، وقد أكدت دراسة الأسرج نظرة المجتمع الدونية للتعليم المهني والتقني، منوهة إلى ضرورة التعاون مع القطاعات الخاصة لاستحداث معايير وطنية لمستوى المهارات المهنية[51].

ومن خلال إطار المقابلات التي أجريت بين مختلف المستويات والقطاعات تم الاستنتاج بأن المستويات السياسية والمتوسطة تجد بأن الإشكالية المتأصلة في البطالة المقنعة لا تكمن في كثرة أعداد الخريجين سنوياً أو توجههم نحو القطاع العام، لأنه في حال تم توظيفهم بصورة جيدة بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، سنجد بأن السوق القطري يفتقر إلى العديد من الأيدي العاملة والتخصصات، ولكن تكمن الإشكالية في عدم وجود التوظيف الأمثل للأيدي العاملة، بالإضافة إلى أن السوق القطري يتمتع بقيادات واختصاصات نادرة لا يتم استغلالها واستثمارها لتدعيم السوق القطري، ويتم الاستعانة عوضاً عنها بخبرات واستشارات أجنبية، لذلك يجب وضع خطط تفصيلية لكل موظف، وتصميم خطط تطويرية فردية لكل موظف لتنميته وتأهيله، بالإضافة إلى وضع أهداف فردية لكل موظف، ويتم قياس الأداء بناء على الإنجاز، واتفق جميع المقابَلين على أن وزارة التنمية والعمل تشكر جهودها، إلا أنها بسبب الضغط التي تتعرض له، تُعَرِّض المؤسسات في القطاع العام لنوع من تلك البطالة المقنعة بشكل نسبي من خلال إجبار الجهات على توظيف الموظفين، بينما واجهت الإشكالية المستويات التنفيذية والقطاعات الخاصة بأن التخصصات الإدارية تكتظ بالسوق العمل القطري، ولا يوجد تنوع في التخصصات، واقترحت تلك القطاعات بأن يتم توجيه الطلبة مبكراً نحو احتياجات السوق المستقبلية، وتدعيم تطبيق العملي خلال مراحل الدراسة، ليقيسَ كُلُّ طالب اهتماماته وقدراته، بالإضافة إلى إيقاف بعض التخصصات مؤقتاً.

خامسا: الخاتمة والنتائج والتوصيات:

البطالة المقنعة آفة وهي واقع معاش في القطاع العام القطري، ومع تعدد أسبابه وآثاره، إلا أنه من الواجب البدء في مكافحته واتباع إستراتيجيات فاعلة وحقيقية تسهم في وأده، من خلال الاستثمار في اقتصاد المعرفة بصورة فعلية، وتهيئة الخريجين للدخول إلى سوق العمل المتنامي والمتسارع في ظل الرؤية القادمة للتنويع الاقتصادي بشكل أكبر، وعمل دراسة حقيقية والبحث عن مسببات اتجاهات الموظفين للقطاعات العامة دون الخاصة، والعمل على تحليل الأسباب وبدء الحلول الجذرية التي تمكن الفرد من استثمار إمكاناته وقدراته لخدمة وطنه دون الحاجة إلى البديل الخارجي، وتحقيق الاكتفاء الذاتي للمورد البشري، خاصة في ظل توفر الإمكانات التعليمية المتقدمة في دولة قطر، التي بإمكانها تخريج وتأهيل المواطنين بأكفأ صورة، وستسهم هذه التغييرات في إحداث نقلات نوعية وجذرية في المورد البشري الأصيل الذي سيتجه لخدمة بلدة ووطنه.

[51] الأسرج، حسين (2014). إشكالية البطالة في دول مجلس التعاون الخليجي. وزارة التجارة والصناعة المصرية. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://mpra.ub.uni-muenchen.de/54600/1/MPRA_paper_54600.pdf

وبناء على ما تم دراسته وتحليله من معطيات سابقة الذكر، نستنتج بأن البطالة المقنعة في القطاع العام القطري واقع ملموس بشكل كبير، وتكمن أسبابه نتيجة توجه القوى العاملة للقطاع العام مقابل تقشف الأيدي العاملة القطرية في القطاعات الخاصة، وذلك نتيجة مساعٍ شخصية فردية تتعلق بالرفاهية، وشجع على هذا السلوك القدرات والمهارات والجهود الوظيفية المتواضعة التي يتطلبها القطاع العام، ومن جانب آخر فإن القطاع الخاص ما زال يفتقر إلى عامل الجذب للعنصر القطري، ورغم الظواهر الواضحة المسببة لذلك، إلا أنه لا تزال هناك أسباب أعمق وتحتاج لدراسة واقعية تحليلية عن اتجاهات الموظفين، وذلك لفهم الأسباب ومعالجة الظاهرة، لذلك نستنتج بأن البطالة المقنعة عائق يحول دون تحقيق التنمية المستدامة من خلال ما يواجه القطاع العام القطري من هدر في الموارد المالية والبشرية دون إنتاجية تذكر. ولوحظ بأن من مسببات البطالة المقنعة وجود فجوة بين الخطط الموضوعة من قبل استشاريين ذوي تفكير إستراتيجي فذ، وبين القائمين على تنفيذ الرؤى والإستراتيجيات الموضوعة وتنم عن قدرات متواضعة للمدراء على مستوى القطاعات العامة. وأخيراً لوحظ وجود قدرات وقيادات قطرية فاعلة مركونة، لم يتم استغلالها بصورة صحيحة، وتم الاستعانة عوضاً عنها بالمورد البشري الأجنبي. وهناك أيضاً قصور في عمليات تقييم الموظفين في القطاعات العامة تحد الإنجاز والإبداع، وتقتصر تلك التقييمات على مؤشرات غير قابلة للقياس. ولربما شكَّلَ العامل المتعلق بسياسات وآليات عمل التعيين في وزارة التنمية والعمل ضغطاً على القطاعات العامة وساهم في تكديس الأيدي العاملة دون إنتاجية.

تتطلب البطالة المقنعة مجهودات وإصلاحات تسهم في إلقاء الضوء عليها وتخفيضها إلى أدنى مستوى من خلال بعض المقترحات التي تسهم بشكل كبير في ذلك، واستقيت هذه المقترحات من مختلف المستويات الأكاديمية ومن رؤى وتجارب تم الاطلاع عليها من دراسات سابقة، ومن خبرة عملية في مجال العمل والدراسة، يمكن إيجازها بعدد من النقاط: دراسة حالة ضعف توجه القطريين نحو القطاع الخاص ومعرفة الأسباب والحلول، وأيضاً تهيئة وتنمية الطالب من خلال استثمار معرفته وقدرته للدخول إلى القطاع الخاص بقوة، والعمل على تغيير الصورة النمطية والثقافية المجتمعية نحو القطاع الخاص من خلال الجهات التعليمية لتحفيز ثقافة التوجه للقطاعات الخاصة، وإعادة النظر في السياسات القائمة من قبيل التعيينات التي تصدر عن وزارة التنمية والعمل، واستحداث سياسية التدوير الموظفين بشكل سلس، وعمل دراسة حقيقية عن أسباب القصور والفجوات بين التخطيطين الإستراتيجي والتنفيذي، التي تنم عن وجود قيادة غير متناسقة ومتكافئة مع المخططين الإستراتيجيين على مستوى الدولة، والسعي للتنسيق بين وزارة التنمية ووزارة التعليم، حول اتجاهات السوق واحتياجاته الفعلية لتوجيه الطلبة من خلال المعرفة والتدريب وتأهيلهم لسوق العمل دون تصادم بين رؤيتهم والواقع، واستحداث سياسات تجريبية لعينة من الوزارات، لقياس مستوى التحسن في مستويات الأداء والإنتاجية وتعميمها في حال النجاح، وعمل خطة تدريبية مدروسة للموظف الجديد خلال مسيرته الوظيفية، تتضمن ما يتطلب منه الوصول إليه ضمن سقوف زمنية محددة.

المصادر:

المراجع العربية:

- إبراهيم، علي (2020). البطالة المقنعة في قطاع الحكومة. مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية. 2 (21). تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://mbes.journals.ekb.eg/article_118243_16ea4a69fb8bf06a9935a04c20c33ae6.pdf

- إيمان، صالحي (2016). دور الموارد البشرية في تحقيق التنمية المستدامة. جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي. تم الاسترجاع من الرابط التالي: https://2u.pw/opkYO
- أيوب، بولين (2016). إشكالية التنمية المستدامة في العالم العربي. دار أفكار، 93. متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/0ZHVK
- الأسرج، حسين (2014). إشكالية البطالة في دول مجلس التعاون الخليجي. وزارة التجارة والصناعة المصرية. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://mpra.ub.uni-muenchen.de/54600/1/MPRA_paper_54600.pdf

- الحسن، عبد الرحمن (2011). إستراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة [نسخة إلكترونية]. تم استرجاعه من بيانات قاعدة ريسيرش جيت.

https://www.researchgate.net/publication/326408723_altnmyt_almstdamt_wmttlbat_thqyqha

- الجمالي، مصطفى (2008). مشكلة البطالة وإمكانات الإحلال بين العمل ورأس المال في الدول العربية النفطية. جامعة طرابلس في لبنان. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

http://oa.uot.edu.ly/handle/123456789/744

- الديوان الاميري (2021). نظام الحكم. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://www.diwan.gov.qa/hh-the-amir#data---fc8e9caac7424beb99ad376c3623378b

- الزهراء، العجاج (2020). أثر التضخم على البطالة في الجزائر خلال الفترة 1990-2017. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 3(2)، 146-164.
- السقا، محمد وشاهين، مصطفى (9 أكتوبر، 2017). العدالة وارتفاع الأجور والمزايا المعيشية أبرز عوامل دعم منظومة العمالة، جريدة لوسيل. تم الاسترجاع من: https://2u.pw/rYKF7

- الغرباوي، شهدان (2020). التنمية المستدامة: ما بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالمورد البشري [نسخة إلكترونية]. تم استرجاعه من قاعدة بيانات مكتبة قطر الوطنية.

- الكندري، أحمد (2019). البطالة المقنعة وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم والاغتراب الوظيفي بدولة الكويت. المجلة العلمية بكلية الآداب. 36. متاح على الرابط التالي:
https://jartf.journals.ekb.eg/article_122651_2b7b5f26b5bf796fde8de8cc480a434b.pdf
- الموسوي، محمد (2018). آليات توليد البطالة في العراق وأنواعها واحتساب المقنعة منها: دراسة تحليلية للمدة 2003-2015. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، 24 (108). 312-330.

- الميزان. (2021). السلطات الدستورية والحكومة للعام 2021. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://almeezan.qa/CustomPage.aspx?id=3&language=ar
- دوام، الطوخي (8-6-2020). 2.17 مليون حجم القوى العاملة في قطر، جريدة الراية. تم الاسترجاع من: https://2u.pw/kQtFt

- رؤية قطر الوطنية 2030. الأمانة العامة للتخطيط التنموي. (2008). التنمية البشرية 2008. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://www.psa.gov.qa/en/knowledge/HomePagePublications/QNV2030_Arabic_v2.pdf
- سليم، ريم (د.ت). أرصدة للبيع: نظرة على القطاع العام في مصر. فكر أونلاين. أكاديميا. تم الاسترجاع من الرابط التالي: https://2u.pw/OXXGO
- صالح، هدى (2020). الأزمات الاقتصادية المالية في بيئة القطاعين العام والخاص: الأسباب والحلول في ظل المفهوم الإسلامي. مجلة بحوث. 35. تم الاسترجاع من رابط قاعدة بيانات مكتبة قطر الوطنية. متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/cMiQf
- عبد، أزهر (2020). الإطار المفاهيمي للبطالة وإستراتيجية مكافحتها من منظور قانوني. مجلة الكوفة القانونية والعلوم السياسية، 46، 109-128. متاح على الرابط التالي:
https://2u.pw/Wtpst
- عبد القادر، رجب ومرسي، محمد، حسين، حمادة (2009). البطالة نظرة واقعية وحلول عملية. جامعة القاهرة في مصر. تم الاسترجاع من الرابط التالي:
https://cu.edu.eg/userfiles/3(1).pdf

- لعجال، ليلى (2009). واقع التنمية وفق مؤشرات الحكم الراشد في المغرب العربي. (رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر). تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://bu.umc.edu.dz/theses/sc-politiques/ALAA3546.pdf

- محمد، حياة (2018). رؤيا مستقبلية لتحقيق التنمية المستدامة في العراق. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. 2 (31).189-205. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/220/160

- مهيدي، نزار (2020). نموذج مقترح لإستراتيجية التنمية المستدامة في محافظة الأنبار – العراق (2017م-2019م). (رسالة دكتوراة، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا). تم استرجاعها من الرابط التالي: https://2u.pw/ju0rG

- نوري، سعيد (2020). التنمية بين المفهوم والاصطلاح. موقع ريسيرش جيت. تم الاسترجاع من

https://2u.pw/zr76P

- وزارة التخطيط التنموي والإحصاء. (2017). الاستعراض الوطني الطوعي لدولة قطر المقدم إلى المنتدى السياسي الرفيع المستوى بشأن التنمية المستدامة لعام 2017. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/15693Qatar_Arabic.pdf

المراجع الأجنبية:

- Abdelbary, I. (2021). Reviving Arab Reform: Development Challenges and Opportunities. Emerald Group Publishing.
- Abdelbary, I. (2021). Institutions and Political Aspects of Arab Reform. In Reviving Arab Reform: Development Challenges and Opportunities. Emerald Publishing Limited.
- The Arab Planning Institute. & Fergany, N. (2001). Aspects of labor migration and unemployment in the Arab region. Almishkat Center for Research, Cairo, 3.
- Almishkat & Fergany, N. (2001). Aspects of labor migration and unemployment in the Arab region. Center for Research, Cairo, 3 .
- Al-Habees, & M. A., & Rumman, M. A. (2012). The relationship between unemployment and economic growth in Jordan and some Arab countries.
- Breisinger, C., Ecker, O., Al-Riffai, P., & Yu, B. (2012). Beyond the Arab awakening: policies and investments for poverty reduction and food security. Intl Food Policy Res Inst.

- Common, R. (2008). Administrative change in the Gulf: Modernization in Bahrain and Oman. International Review of Administrative Sciences, 74(2), 177-193.
- Elayah, M. (2016). Lack of foreign aid effectiveness in developing countries between a hammer and an anvil. Contemporary Arab Affairs, 9(1), 82-99.
- Miles, R. (2002). Employment and unemployment in Jordan: The importance of the gender system. World development, 30(3), 413-427.
- Noland, M., & Pack, H. (2007). The Arab economies in a changing world. Peterson Institute.
- Pascual, U., Muradian, R., Brander, L., Gómez-Baggethun, E., Martín-López, B., Verma, M., ... & Polasky, S. (2010). The economics of valuing ecosystem services and biodiversity. The economics of ecosystems and biodiversity: Ecological and economic foundations, 183-256.
- Ramady, M. A. (2010). The Saudi Arabian economy: Policies, achievements, and challenges. Springer Science & Business Media.
- Scharfenort, N. (2012). Urban development and social change in Qatar: the Qatar National Vision 2030 and the 2022 FIFA World Cup. Journal of Arabian Studies, 2(2), 209-230.
- Van der Waldt, G. (2004). Managing performance in the public sector: concepts, considerations and challenges. Juta and Company Ltd.
- World Applied Sciences Journal, 18(5), 673-680 & Jelili, R. B. (2010). The Arab Region's Unemployment Problem Revisited. Kuwait: The Arab Planning Institute.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.5

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

الخروج من المعنى الوضعي بالتغليب في المعجم العربي

Getting out of the positive meaning of the Arabic lexicon

إعداد الباحثة/ وفاء سليمان سعيد الجهني
طالبة دكتوراه، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
Email: walgehani@gmail.com

الملخص:

حاول المعجم العربي الاهتمام بكل تفاصيل اللفظ، وبكل ما يخرج عن المعنى الوضعي في الألفاظ لمعانٍ أخرى ومنها التغليب، فكانت هذه الدراسة لإثبات مدى اختلاف المعاجم العربية في الاهتمام بإيراد خروج المعنى الوضعي بالتغليب اللغوي، فتبين أن بعض المعاجم اهتمت بذلك وأولها معجم "الصحاح" للجوهري، ومعجم "لسان العرب" لابن منظور، ثم تفاوتت بقية المعاجم ما بين إيراد للتغليب الذي وقع في اللفظ ، وما بين معاجم أخرى ككتاب "الجيم" للشيباني لم يهتم بإيراد خروج المعنى الوضعي في اللفظ بالتغليب، والمعجم العربي ليس ملزم بمثل هذه الأمور يكفيه شرح المادة اللغوية شرح تام ومفهوم، وقد بدأت الحديث عن خروج المعنى الوضعي بالتغليب بهذا البحث بمقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل لها البحث، وأردفتها بأهم التوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع، فاشتملت المقدمة على: أهمية البحث، وهي كشف مدى عناية المعجميين العرب بذكر كل ما يتصل بمعاني المادة اللغوية، وما خرجت له هذه المعاني بالتغليب، ثم أتبعتها بأهداف البحث التي تمثلت في: معرفة دور المعجم العربي في إثراء مفردات اللغة العربية وتنميتها، بيان اهتمام المعجم العربي بإيراد كل خروج في دلالة الألفاظ عن معناها الوضعي بالتغليب، إيضاح وجوه الاختلاف بين المعجميين العرب في شرح المادة اللغوية موضع الدراسة، ثم أتبعته بأهم تساؤلات البحث، ثم بدأت بسرد فصول البحث وهي:

الفصل الأول: بينت فيه مفهوم المعنى الوضعي ومفهوم التغليب، وهما أساس الدراسة، ثم الفصل الثاني: وتحدثنا فيه عن التغليب عند العلماء، من أورده ومن اهتم فيه، ثم الفصل الثالث: كان شروط حدوث التغليب، فكل ظاهرة لغوية لا تكون هكذا من تلقاء نفسها بل لابد فيها من شروط لتطبيقها، ثم الفصل الرابع: حصرت به أسباب التغليب، ثم الفصل الخامس: وهو يشمل الناحية التطبيقية للبحث، وهي استخراج المادة المدروسة من المعاجم العربية المختلفة المختارة للدراسة، وقد ارتأيت أن اختار معجم واحد مشهور من كل مدرسة معجمية ليكون مثال لورود الظاهرة في المعجم العربي.

الكلمات المفتاحية: المعنى الوضعي، الخروج عن المعنى، المعجم العربي، التغليب، الدلالة.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

Getting out of the positive meaning of the Arabic lexicon

Summary:

The Arabic lexicon tried to pay attention to all the details of the pronunciation and to every thing that departs from the positive meaning in the words for other meanings including the predominance. And the lexicon "Lisan al- Arab" by lbn Manzur, then the rest of the dictionaries varied between mentioning the glaring that occurred in the word, and among other dictionaries such as the book "Al- Jim" by Al- Shaibani, he did not care about the exclusion of the positive meaning in the utterance by thaleb, and the Arabic lexicon is not obligated to such matters. Linguistic material is a complete and understandable explanation. I started talking about the exit of the positive meaning by giving precedence to this research with an introduction, five chapters, and a conclusion that included the most important results that the research reached, and accompanied them with the most important recommendations, then a list of sources and references. It relates to the meanings of the linguistic material, and what these meanings came out of with predominance Then I followed it with the objectives of the research, which were represented in: Knowing the role of the Arabic lexicon in enriching and developing the vocabulary of the Arabic language, showing the interest of the Arabic lexicon to include each deviation in the semantics of the words from their positive meaning by giving precedence, clarifying the differences between the Arab lexicographers in explaining the linguistic material under study, then I followed it with the most important The research questions, and then began to list :the research chapters, namely

The first chapter: I explained in it the concept of the positive meaning and the concept of primacy, which are the basis of the study, then the second chapter: we talked about primacy according to scholars, who mentioned it and those who cared about it, then the third chapter: It was the conditions for the occurrence of

primacy, for every linguistic phenomenon is not like this on its own Rather, there must be conditions for its application, then the fourth chapter: the reasons for the priority are limited to it, then the fifth chapter: it includes the applied aspect of the research, which is extracting the studied material from the different Arabic dictionaries selected for study, and I thought that I chose one famous lexicon from .each lexical school to be an example For roses phenomenon in the Arabic lexicon

Keywords: Positive meaning, deviation from meaning, Arabic lexicon, primacy, significance.

- **المقدمة:**

ظاهرة التغليب من الظواهر الدلالية التي عرفتها العرب منذ القدم، واستعملوها في كلامهم شعرًا ونثرًا، وكان من أوائل من ألف في التغليب محمد بدر الدين المنشي (1001هـ) "رسالة المثنى والمثلث في اللغة" وقد اطلع الاستاذ الدكتور سليمان العايد على نسخة خطية لهذه الرسالة، ونقل قطعة من مقدمتها تدل على أنها ليست في المثنى، ثم قال معقباً: "وواضح أنه لا يقصد المثنى المعروف في كتب النحو، بل يقصد في المثنى ما فيه وجهان في النطق، مثل المثلث، وهو مافيه ثلاثة أوجه أو حركات"[1]، وكان أغلب العلماء الأخرين يذكرون التغليب خلال مباحث مؤلفاتهم، فظاهرة التغليب منتشرة بين اللغويين والبلاغيين والنحاة والفقهاء والمفسرين، فهي ظاهرة لا يمكن نكرانها.

- **أهمية البحث:**

الكشف عن مدى اهتمام المعجميين العرب بخروج المعنى الوضعي بالتغليب في بعض الألفاظ العربية، ومعرفة مدى الاختلاف بين المعجميين العرب في إيراد هذا الخروج للمعنى الوضعي بالتغليب، وكيف أشاروا إليه وشرحوه في معجماتهم.

- **أهداف البحث:**

1- معرفة دور المعجم العربي في إثراء مفردات اللغة العربية وتنميتها.
2- بيان اهتمام المعجم العربي بإيراد كل خروج في دلالة الألفاظ عن معناها الوضعي بالتغليب.
3- إيضاح وجوه الاختلاف بين المعجميين العرب في شرح المادة اللغوية موضع الدراسة.

وهكذا يكون عند الحديث عن التغليب يتبادر إلى الذهن العديد من الأسئلة منها:

[1] نقلا عن: (الصاعدي، 2000م، ص11)

فما مفهوم المعنى الوضعي؟ وما التغليب؟ من ذكره من العلماء؟ هل دخل في كل علوم العربية؟ ما شروطه؟ وما أنواعه إن كانت له أنواع؟ وما أهم أنواعه وأشهرها استخداما؟ وهل ورد التغليب عند الجوهري؟ وهل اهتم به أصحاب المعاجم الأخرى أيضا؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه خلال هذا المبحث الذي يهتم بالحديث عن خروج المعنى الوضعي بالتغليب.

- **الفصل الأول: مفهوم المعنى الوضعي:**

"الوضع: في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء متى أطلق، أو أحسن الشيء الأول، فهم منه الشيء الثاني"[2].

- **مفهوم التغليب:**

ظاهرة التغليب عرفها الكثير من العلماء، ويعرفه القرطاجني بقوله: "هو أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى"[(3)].

وابن الشجري يقول: "إنهم أجروا المختلفين مُجرى المتفقين، بتغليب أحدهما على الآخر لخفته أو شهرته، جاء ذلك مسموعًا في أسماء صالحة، كقولهم للأب والأم: الأبوان، وللشمس والقمر: القمران"[(4)].

ويعرفه القزويني فيقول: "التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة، قال تعالى[(5)]:" لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك أو لتعودن في ملتنا"[(6)]. أدخل شعيبًا عليه السلام في لتعودن في ملتنا بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلا"، وقد يسمى" ترجيح أحد المعلومين على الآخر"، ويكثر التغليب في التثنية من ذلك "أبوان" للأب والأم، و"الخافقان" للمشرق والمغرب، و"العمران" لأبي بكر وعمر[(7)].

- **الفصل الثاني: التغليب عند العلماء:**

ذكر التغليب عددٌ من علماء اللغة العربية بكافة فنونها، فكما ذكرنا سابقًا أن علوم اللغة العربية تكمل بعضها بعضا، وأيضًا ورد التغليب في القرآن الكريم فاهتم به المفسرون وأصحاب علوم القرآن والفقهاء، وقد تحدثنا سابقًا عن دور الأصوليين في التفريق بين المعاني، وأن هذا يساعد في فهم النصوص الشرعية واستخراج أحكامها الفقهية وغيرها.

---

[2] (الشريف الجرجاني، 1983م، ص 253)
[(3)](القرطاجني، ص 103) وانظر: (مطلوب، 2007م، ص 394)
[(4)](ابن الشجري، 1413هـ- 1992م،1/ 19)
[(5)] سورة الأعراف: آية 88
[(6)](خطيب دمشق، 120/2)، وانظر: مطلوب، 2007م، ص 349)
[(7)] (مطلوب، 2007م، ص 394)

فعند النحاة نجد سيبويه (ت 180هـ) يذكر في "الكتاب" بابًا لما غلبت فيه المعرفة النكرة فيقول[8]: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة، وذلك قولك: هذان رجلان وعبد الله منطلقين..."، ونراه ذكر تغليب المذكر على المؤنث في العدد المركب إذا كان المعدود مختلطًا فقال[9]: " **وتقول: هذا حادي أحد عشر إذا كن عشر نسوةٍ معهن رجل؛ لأنَّ المذكر يغلب المؤنث"**، وباب ما يكون فيه الشيء غالبا عليه اسم[10].

ويقول الفراء (ت 207هـ): في قوله "يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ" [11]: يريد: ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ويقال: إنه أراد المشرق والمغرب، فقال المشرقين، وهو أشبه الوجهين بالصواب لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما، فيقال: قد جاءك الزهدمان، وإنما أحدهما زهدم"، فنراه يورد ما يثنى بالتغليب على الشهرة ولا يصرح بالفظ التغليب.

وصرح أبو عبيده (ت 209هـ) في كتابه "مجاز القران" بتغليب المذكر على المؤنث فقال[12]: " **إذا أشركوا فعل ذكر مع فعل أنثى غلّب فعل الذّكر وذكّروهما"**، و" **لأن العرب إذا أشركوا بين الآدميين والموات غلب تقدم فعل الآدميين على فعل الموات"** [13] وغيرها من المواضع التي صرح فيها بالتغليب.

وأورد ابن السكيت (ت 244هـ) التغليب أيضًا في كتابه (إصلاح المنطق)، فقال: " **باب: الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه؛ لشهرته أو لخفته، من الناس"**[14] ثم يورد أمثله للمثنى على التغليب.

ويقول[15] المبرد (ت 285هـ) " **وقد يجتمع الرجال مع الرجل في التثنية إذا كان مجازهما واحدًا في أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قولهم: العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن ذلك قولهم: "الخبيبان" لعبد الله ومصعب"**، فنراه يلمح للتغليب ولم يفرده في باب مستقل. ويقول في المقتضب: **"هَذَا رَابِع أَرْبَعَة إِذا كَانَ هُوَ وَثَلَاث نسْوَة لِأَنَّهُ قد دخل مَعَهُنَّ فَقلت: أَرْبَعَة بالتذكير لِأَنَّهُ إِذا اجْتمع مُذَكّر ومؤنث جعل الْكَلَام على التَّذْكِير لِأَنَّهُ الأَصْل"**[16] ونراه يلمح لتغليب المذكر على المؤنث عند اجتماعهما، ويقول أيضًا: "ألا ترى أَنَّك تَقول فعل أبواي وَهَذَانِ أَبَوَاك تَعْنِي الْأَب وَالأُم وَإِنَّمَا أخرجته مخرج قَوْلك أَب وأبة كَمَا تَقول صَاحب وصاحبة لِأَن كل جَار على الْفِعْل من الْأَسْمَاء فتأنيثه جَار على تذكيره"[17] فيغلب التذكير أيضًا هنا فيما جاء مثنى على التغليب.

---

[8] (سيبويه، 1988م، 81/2)
[9] المرجع سابق: 561/3
[10] المرجع سابق: 100/2
[11] (الفراء، 33/3)
[12](أبو عبيدة، 1381هـ، ص184)
[13] المرجع السابق: ص150
[14] (ابن السكيت ،1423هـ- 2002م، 281/1)
[15] (المبرد، 1417هـ- 1997م، 220/3)
[16] (المبرد، 182/2)
[17] المرجع السابق: 263/4

وأورد أبو بكر الأنباري (ت 328هـ) في كتابه (المذكر والمؤنث) تغليب المذكر على المؤنث، فيقول: "**اعلم أن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر على المؤنث**"[18] **وورد في باب ذكر عدد المذكر والمؤنث**[19]**، وباب ثاني اثنين، وثانية اثنتين**[20]**، وباب الجمع بين المذكر والمؤنث**[21].

وأورد أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ) في كتابه(المثنى) المثنى على الاستعمال تثنية لازمة من كلام العرب وصنفه إلى عشرة أصناف[22]، أورد لفظ التغليب في أكثر من باب للمثنى على التغليب وهو: "الاثنان غلب اسم أحدهما على اسم صاحبه"، وباب "الاثنان غلب نعت أحدهما على نعت صاحبه"، و"الاثنان غلب عليهما لقب واحد منهما"، وهكذا نرى أنه أورد لفظ التغليب صراحة في مؤلفه ومثل للظاهرة[23].

وذكر ابن جنى (ت 392هـ) في كتابه "الخصائص" التغليب في استعمال المتصل موضع المنفصل فقال: " **لمَّا كانوا متى قدروا على المتَّصل لم يأتوا مكانه بالمنفصل غلب حكم المتصل**"[24] وفي باب إمساس الألفاظ اشباه المعاني، غلب المعنى على اللفظ فقال: "**تغليبًا للمعنى على اللفظ وإعلامًا أن قدر المعنى عندهم أعلى وأشرف من قدر اللفظ**"[25].

وذكر التغليب ابن فارس (ت392هـ) في كتابه" الصاحبي في فقه اللغة"، في (باب القول على لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح)، قال: "إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلَّب ما يعقل، وهي سُنَّة من سنن العرب، أعني "باب التغليب"[26] وذلك كقوله جل ثناؤه: "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع"[27] فقال: "منهم" تغليبًا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم"[28].

وأما ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) فيقول في القاعدة الرابعة من كتابه (مغني اللبيب): "إنهم يغلبون على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط، فلهذا قالوا: الأبوين في الأب والأم"[29] وذكر بعد ذلك مسائل للتغليب، فيقول: "**وَمن التغليب {أَو لتعودن فِي ملتنا}**[30] **بعد {لنخرجنك يَا شُعَيْب وَالَّذين آمنُوا مَعَك**

---

[18] (أبو بكر الأنباري، 1401هـ- 1981م، 278/2)
[19] انظر: المرجع السابق: 229/2
[20] انظر: المرجع السابق: 2/ 254
[21] انظر: المرجع السابق: 278/2
[22] انظر: (اللغوي، 1380هـ -1960م، ص2-3)
[23] انظر: المرجع السابق: ص 3
[24] (ابن جني، 197/2)
[25] المرجع السابق: 2/ 159
[26] (ابن فارس، 1997م، ص13)، وانظر: (السيوطي، 1998م،18/1)
[27] سورة النور: آية 45
[28] سورة النور: آية 45
[29] (ابن هشام، 1985م، ص 900)
[30] سورة الأعراف: آية 88

من قريتنا}[31] فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام لم يكن فِي ملتهم قطّ بِخِلَاف الَّذين آمنُوا مَعَه وَمثله قوله تعالى: {جعل لكم من أَنفسكُم أَزْوَاجًا وَمن الْأَنْعَام أَزْوَاجًا يذرؤكم فِيهِ}[32] **فَإِن الْخطاب فِيهِ شَامِل للعقلاء والأنعام فغلب المخاطبون والعاقلون على الغائبين والأنعام، وَمعنى يذرؤكم فِيهِ يبثكم ويكثركم فِي هَذَا التَّدْبِير وَهُوَ أَن جعل للنَّاس وللأنعام أَزْوَاجًا حَتَّى حصل بَينهم التوالد**[33].

ونجد السيوطي (ت911هـ) في كتابه (المزهر في علوم اللغة) يفرد التغليب بدراسة مستقلة فيذكر في النوع الأربعين معرفة الأشباه والنظائر، ومنها (ذكر المثنى على التغليب) [34] و (ذكر المجموع على التغليب) [35] فنجده أفرد له أبواب خاصةً به، فقال: "قال ابن السكيت- باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته"[36] ثم يورد أمثلة المثنى على التغليب مع الشواهد.

أما البلاغيون فكان السكاكي (ت 626هـ) أول من تحدث عن التغليب في كتابه "مفتاح العلوم" فذكر بعض مواضع التغليب بشواهدها، فيقول: "والتغليب باب واسع يجري في كل فن"[37] " **وقال تعالى: " إلا امرأته كانت من الغابرين "[38] وفي موضع أخر " وكانت من القانتين "**[4039] **عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب. وقال تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس"[41] عد إبليس من الملائكة بحكم التغليب كما عد الأنثى من الذكور" وغيرها من المواضع.**

وعرف الشريف الجرجاني (ت816هـ) التغليب بقوله: "هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما، وقيدوا إطلاقه عليهما للاحتراز عن المشاكلة"[42].

أما المفسرون والفقهاء وأصحاب علوم القرآن فاهتموا بدراسة الظاهرة في القرآن الكريم فكان الزركشي (ت 794هـ) أول من أفرد للتغليب بابًا في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، فأورده في النوع السادس والأربعين وذكر بدايةً مفهومه فقال: "التغليب وَحَقِيقَتُهُ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ. وَقِيلَ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمَغْلُوبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ أَوْ إِطْلَاقُ لَفْظَةٍ عَلَيْهِمَا إِجْرَاءً لِلْمُخْتَلِفَيْنِ مَجْرَى الْمُتَّفِقَيْنِ"[43] ثم بدأ بتعداد أنواع التغليب مع التمثيل وهي[44]:

---

(31) سورة الأعراف: آية 88
(32) سورة الشورى: آية 11
(33) (ابن هشام، ص 901-902)
(34) (السيوطي، 1998م، 149/2)
(35) المرجع السابق: 164/2
(36) المرجع السابق: 2/ 149
(37) (السكاكي، 1987م، ص242)
(38) سورة الأعراف: آية 83
(39)) سورة التحريم: آية 12
(40) (السكاكي، 1987م، 242/1)
(41) سورة الكهف:50 آية
(42) (الشريف الجرجاني، 1983، ص 63)
(43) (الزركشي، 1376هـ- 1957م، 302/3)
(44) انظر: المرجع السابق، 3/ 302-312

1- تَغْلِيبُ الْمُذَكَّرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى[45]: {وَجُمِعَ الشمس والقمر} غُلِّبَ الْمُذَكَّرُ لِأَنَّ الْوَاوَ جَامِعَةٌ لِأَنَّ لَفْظَ الفعل مقتص وَلَوْ أَرَدْتَ الْعَطْفَ امْتَنَعَ.

2- تَغْلِيبُ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ عَلَى الْغَائِبِ. فَيُقَالُ: أَنَا وَزَيْدٌ فَعَلْنَا وَأَنْتَ وَزَيْدٌ تَفْعَلَانِ وَمِنْهُ قوله تعالى[46]: {بل أنتم قوم تجهلون} بِتَاءِ الْخِطَابِ غَلَّبَ جَانِبَ [أَنْتُمْ] عَلَى جَانِبِ [قوم] والقياس أن يجيء بالياء؛ لأنه وصف القوم وقوم اسْمُ غَيْبَةٍ وَلَكِنْ حَسُنَ آخِرُ الْخِطَابِ وَصْفًا لِقَوْمٌ لِوُقُوعِهِ خَبَرًا عَنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ.

3- تَغْلِيبُ الْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِهِ. بِأَنْ يَتَقَدَّمَ لَفْظٌ يَعُمُّ مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ فَيُطْلَقُ اللَّفْظُ الْمُخْتَصُّ بِالْعَاقِلِ عَلَى الْجَمِيعِ كَمَا تَقُولُ: "خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَرَزَقَهُمْ"، فَإِنَّ لَفْظَ [هُمْ] مُخْتَصٌّ بِالْعُقَلَاءِ.

4- تَغْلِيبُ الْمُتَّصِفِ بِالشَّيْءِ عَلَى مَا لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ.كَقَوْلِهِ تَعَالَى[47]: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا على عبدنا} قيل: غلب غير المرتابين على المرتابين وَاعْتُرِضَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى[48]: {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادقين} وَهَذَا خِطَابٌ لِلْكُفَّارِ فَقَطْ قَطْعًا فَهُمُ الْمُخَاطَبُونَ أَوَّلًا بِذَلِكَ ثُمَّ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لَا يَتَمَيَّزُ فِيهَا التَّغْلِيبُ ثُمَّ هِيَ شَاهِدَةٌ بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ مَعَهُمْ يَخُصُّ.

5- تَغْلِيبُ الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ. بِأَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْجَمِيعِ وَصْفٌ يَخْتَصُّ بِالْأَكْثَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى[49]: {لنخرجنك يا شعيب وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ في ملتنا} أُدْخِلَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: {لَتَعُودُنَّ} بِحُكْمِ التَّغْلِيبِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ أَصْلًا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا.

6- تَغْلِيبُ الْجِنْسِ الْكَثِيرِ الْأَفْرَادِ عَلَى فَرْدٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْجِنْسِ مَغْمُورٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَنْ يُطْلَقَ اسْمُ الْجِنْسِ عَلَى الْجَمِيعِ. كَقَوْلِهِ[50]: {فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس}، وَأَنَّهُ عُدَّ مِنْهُمْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ تَغْلِيبًا لِكَوْنِهِ جِنِّيًّا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلِأَنَّ حَمْلَ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الِاتِّصَالِ هُوَ الْأَصْلُ.

7- تَغْلِيبُ الْمَوْجُودِ عَلَى ما لم يوجد، كقوله[51]: {بما أنزل إليك} قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنَّ الْمُرَادَ: الْمُنَزَّلُ كُلُّهُ وَإِنَّمَا عُبِّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمُضِيِّ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مُتَرَقَّبًا تَغْلِيبًا لِلْمَوْجُودِ عَلَى مَا لَمْ يُوجَدْ.

8- تَغْلِيبُ الْإِسْلَامِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى[52]: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ} قاله الزَّمَخْشَرِيُّ: لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ لِلْعُلُوِّ وَالدَّرَكَاتِ لِلسُّفْلِ فَاسْتُعْمِلَ الدَّرَجَاتُ فِي الْقِسْمَيْنِ تَغْلِيبًا.

9- تَغْلِيبُ مَا وَقَعَ بِوَجْهٍ مَخْصُوصٍ عَلَى مَا وَقَعَ بِغَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى[53]: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أيديكم} ذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال.

---

[45] سورة القيامة: آية 9
[46] سورة النمل: آية 55
[47] سورة البقرة: آية 23
[48] سورة البقرة: آية 23
[49] سورة الأعراف: آية 88
[50] سورة البقرة: آية 34
[51] سورة البقرة: آية 4
[52] سورة الأحقاف: آية 19
[53] سورة آل عمران: آية 182

10- تَغْلِيبُ الأشهر. كقوله تعالى[54]: {يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين} أَرَادَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَغَلَّبَ الْمَشْرِقَ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ الْجِهَتَيْنِ

ثم حكم على التغليب بأنه يعتبر من المجاز[55]،

وممّن عني بالتغليب الزركشي وشرحه وبيّن أنواعه مع التمثيل لها، فهذا يدل على مدى عناية أصحاب علوم القرآن بالعلوم اللغوية الدلالية لأهميتها في فهم التعبير القرآني وتفسير النصوص، واستخراج الأحكام الشرعية والفقهية من النص القرآني.

وقد أفرد أحد الباحثين دراسة بعنوان[56]: "التغليب الفقهي" أورد فيها تعريفه فقال: "هو إعطاء الشيء حكم غيره لعلاقة بينهما"[57]، ثم يورد بعد ذلك أركان التغليب وشروطه. ويتضح أن التغليب عنده كما في اللغة يشمل تغليب أحد الشيئين على الآخر[58].

أما حديثًا فلم يفرد أحد كتابًا خاصًّا بالتغليب فالمعاجم اقتصرت على إيراد مفهومه، فقد ورد في المعجم الوسيط[59]: "(التغليب) (فِي اللُّغَة) إِيثَار أحد اللَّفْظَيْنِ على الآخر فِي الْأَحْكَام الْعَرَبِيَّة إِذا كَانَ بَين مدلوليهما عُلقَة أَو اخْتِلَاط كَمَا فِي الْأَبَوَيْنِ الْأَب وَالأُم والمشرقين الْمشرق وَالْمغْرب والعمرين أبي بكر وَعمر"، وأورد أحمد مختار عمر نفس التعريف لمفهوم التغليب في (معجم اللغة العربية المعاصرة)[60].فنرى أنهم لم يضيفوا جديدًا على ما قاله القدماء عن التغليب، أوردوا نفس المفهوم ولم يفردوا مؤلفات خاصة بظاهرة التغليب.

ومن خلال الاستعراض السابق لحدود التغليب وأنواعه نستطيع ان نخرج بالمفهوم التالي للتغليب: بأنّه هو ما يطلق على أكثر من واحد بسبب وجود علاقة بينهما، إما لفظية أو معنوية بهدف افرادهم عن غيرهم في ميزة خاصة (أي تمييزهم عن غيرهم)، أو للاختصار في الكلام وجلب الانتباه لهم.

- **الفصل الثالث: شروط حدوث التغليب:**

استنتج أحد الباحثين الشروط الواجب توافرها لحدوث التغليب في الكلام، وبعض هذه الشروط تفضيلية من خلال استقراء ما كُتب عن الظاهرة، وخلاصتها [61]:

- وجود طرفين للتغليب، الأول (المُغلب)، والثاني (المُغلب عليه).
- لابد من وجود علاقة ما (معنوية أو لفظية) تربط بين ركني التغليب.

---

[54] سورة الزخرف: آية 38
[55] (الزركشي، 1376هـ ت1957م، 312/3)
[56] (الشهابي، 2019م، ص 320)
[57] المرجع السابق: ص320
[58] انظر: المرجع السابق: ص 321 وما بعدها
[59] المعجم الوسيط: مادة (غ ل ب)
[60] (عمر، 2008م، 1632/2)
[61] (عيسوي، 2010م، ص 244- 245)

- عدم الوقوع في الوهم أو اللبس عند حدوث التغليب؛ لأنه عند وقوعهما لا يصح التغليب، فيجوز إطلاق الوالدين على الوالد والوالدة لعدم الوقوع في الوهم، ولكن لا يجوز إطلاق لفظ (الابنان)، ونحن نريد الولد والبنت للوقوع في الوهم.
- العلم التام بطرفي التغليب، فالتغليب هو: ترجيح أحد المعلومين على الآخر، وإطلاقه عليهما.
- تغليب الأخف من جهة اللفظ.
- الأصل في العربية تغليب الأدنى على الأعلى.
- الأصل في العربية تغليب المذكر على المؤنث.
- الأصل في العربية تغليب العاقل على غير العاقل.
- الأصل في العربية تغليب اللفظ على المعنى.
- الأصل في العربية تغليب ضمير المخاطب على غيره من الضمائر.

الفصل الرابع: أسباب التغليب:

مما ذكره العلماء نرى أن للتغليب اسمًا أو صفة على أخرى أسباب منها[62]:

- تغليب أحد الاسمين على الأخر لشرف المغلوب على الغالب.
- تغليب أحد الاسمين على الأخر لاحتقاره وهو عكس الأول.
- تغليب أحد الاسمين على الأخر لكثرة استعماله.
- تغليب أحد الاسمين على الأخر لشهرته أو لخفته عند الناس.
- تغليب أحد الاسمين على الأخر لعظمه.
- تغليب أحد الاسمين على الأخر للاختصار في الكلام.

الفصل الخامس: المعجم العربي وظاهرة التغليب اللغوي:

ومن خلال ما سبق سأستخرج التغليب الخاص باللغة، وهو ماورد من المثنى على التغليب في المعجم العربي، فالجوهري في معجم الصحاح أورد هذا النوع من التغليب، ومن أمثلة ذلك:

- في مادة (زهر)[63]: "والأَزْهَرُ: النَيِّرُ. ويُسَمَّى القمر الازهر ابن السكيت: الأزهران: الشمس والقمر"، فنرى الجوهري أورد المثنى على التغليب، وبين أن التغليب جاء على اسم القمر؛ لأنه يسمى بالأزهر فغلبه على الشمس، وهو من قبيل تغليب المذكر على المؤنث،
- وعند النظر في معجم "العين "للخليل بن أحمد" نجده يقول في (مادة زهر)[64]: "والأَزْهرُ: القَمَرُ"، ويكتفى بذلك ولا يورد المثنى على التغليب من هذا اللفظ.

---

[62] (محمد، 2016م، ص 314-317)
[63] الصحاح: مادة (ز هـ ر)
[64] العين: مادة (ز هـ ر)

- ولم يورد أبو عمرو الشيباني هذا المثني في كتابه "الجيم"، ولم أقف على مادة "زهر" في كتاب الجيم باب الزاي.
- وعند النظر في "معجم الجمهرة "لم يذكر لفظ الأزهر من ضمن (مادة زهر)، فالعين بين أن الأزهر: هو القمر، ولكن الجمهرة قال: في (مادة رزه)[65]: " وقمر زَاهِر"، ولم يورد اللفظ التغليبي.
- و في معجم "مقاييس اللغة" نجد ابن فارس وافق الخليل ببيان معنى الأزهر، ولم يورد التغليب على المثنى منه فيقول في (مادة زهر)[66]: "وَالْأَزْهَرُ: الْقَمَرُ".
- أما عند الذهاب لابن منظور في "لسان العرب " نجده يورد التغليب على المثنى كما أورده الجوهري، ولا غرابة في ذلك فابن منظور استقى بعض مادته من الصحاح، فيقول في (مادة زهر)[67]: "والأَزْهَرُ: الْقَمَرُ. والأَزْهَرَان، الشمسُ والقمرُ لِنُورِهِمَا".
- أما في "القاموس المحيط" فقد تبع ما جاء بـ "الصحاح" و"اللسان"، فأورد التغليب على المثنى، فقال في (مادة زهر)[68]: "والأَزْهَرُ: القمرُ، والأَزْهَرانِ: القَمَرانِ".
- وقال الجوهري: في (مادة هيغ)[69]: "وقع فلانٌ في الأَهْيَغَيْنِ، أي في الاكل والشرب".
- وعند الخليل[70]: "الأَهْيغ: أَرْغَد العَيْش وأَخْصبهُ"، عرف الكلمة، ولم يورد المثنى التغليبي لها.
- وأبو عمرو الشيباني تبع الخليل بذكر المعنى دون إيراد المثنى التغليبي، فقال:[71] "عامٌ أَهْيغُ أَي مُخصِبٌ".
- ونجد ابن دريد يقول[72]: "وَيُقَال: تركته فِي الأَهْيَغَيْن، أَي فِي الشُّرب والنِّكاح".
- ونجد ابن فارس يقول[73]: " وَيَقُولُونَ: الْأَهْيَغَانِ: الْأَكْلُ وَالنِّكَاحُ".
- وابن منظور يقول فيها[74]: "وتَرَكَه فِي الأَهْيَغَينِ أَي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَقِيلَ: فِي الشرْبِ وَالنِّكَاحِ، وَقِيلَ: فِي الأكل وَالنِّكَاحِ".
- أما الفيروز آبادي فأورد هذا المثنى في (مادة هيغ) [75] فقال: " والأهيغان: الخصب وحسن الحال، والأكل، والنكاح، أو الأكل والشرب"، وأورده أيضًا في (مادة رفش)[76]: فقال: "وأَرْفَشَ: وقَعَ في الأَهْيَغَيْنِ، أي: الرَّفْشِ والقَفْشِ، وهُما الأَكْلُ والنِّكاحُ".

---

[65] جمهرة اللغة: مادة (رزه)
[66] مقاييس اللغة: مادة (ز هـ ر)
[67] لسان العرب: مادة (ز هـ ر)
[68] القاموس المحيط: مادة (ز هـ ر)
[69] الصحاح: مادة (هـ ي غ)
[70] العين: مادة (هـ ي غ)
[71] الجيم: مادة (هـ ي غ)
[72] جمهرة اللغة: مادة (غ ي هـ)
[73] مقاييس اللغة: مادة (هـ ي غ)
[74] لسان العرب: مادة (هـ ي غ)
[75] القاموس المحيط: مادة (هـ ي غ)
[76] المرجع السابق: مادة (ر ف ش)

فنرى ورود المثنى على التغليب من (مادة هيغ) عند الأغلب ماعدا الخليل وأبا عمرو الشيباني، فلم يوردا هذه المادة بصيغة التغليب على المثنى، مع اختلاف المعنى بعض الشيء عند اصحاب المعاجم من حيث تعني الأكل والنكاح، أو الأكل والشرب، ولكن غلبة صفة الأهيغ في الجمع بين شيئين يدلان على حسن الحال ورغد العيش.

- وقال الجوهري أيضًا: في (مادة يهم)[77]: "ابن السكيت: الأيْهَمانِ عند أهل البادية: السيلُ والجملُ الهائِجُ الصؤُولُ، يُتَعَوَّذُ منهما. وهما الأعْمَيان. قال: وعند أهل الأمصار السيلُ والحريقُ"، ونجد أن صاحب الصحاح اقتفى أثر الخليل.
- حيث قال في (مادة يهم)[78]: "والأَيْهَمانِ: السَّيْلُ والحريق".
- وأيضًا تبع الخليل أبو عمرو الشيباني في كتاب الجيم "باب الياء"، فقال[79]: " الأيهمانِ: الجمل والماءُ "، فعبر عن السيل بالماء.
- ونجد ابن دريد يورد اللفظ المثنى ويفسره في مادة غير مادة "يهم" التي وردت عند بقية المعجميين فأوردة في (مادة صلو)[80]: فقال: "وَقَالُوا: الأيهمان: السَّيْل وَاللَّيْل، وَيُقَال: اللَّيْل والقَرْم الصؤول".
- ونجد ابن فار س اقتفى أثر الخليل أيضًا، فقال[81]: "وَيُقَالُ الْأَيْهَمَانِ: السَّيْلُ وَالْحَرِيقُ".
- وعند الذهاب لابن منظور فنجد عنده ما هو عند الخليل والجوهري وابن فارس، فيقول[82]: "والأَيْهَمانِ عِنْدَ أَهل الحَضَر: السيلُ والحريقُ، وَعِنْدَ الأَعراب: الحريقُ والجملُ الهائجُ، لأَنه إِذا هاجَ لَمْ يُستَطَعْ دَفْعُه بِمَنْزِلَةِ الأَيهَمِ مِنَ الرِّجَالِ وإِنما سُمِّيَ أَيْهَمَ لأَنه ليسَ مِمَّا يُسْتطاعُ دَفْعُه، وَلَا يَنْطِق فيُكلَّم أَو يُسْتَعْتَب" فنراه فسر سبب التسمية أيضًا، والجمع بينهما وهو القوة الطائشة العمياء.
- وقد اقتفى أثرهم أيضًا، صاحب القاموس المحيط فقال[83]: " الأيْهمانِ عِنْدَ أَهْلِ البادِيَةِ: السَّيْلُ والجَمَلُ الهائِجُ الصَّؤُولُ، وعِنْدَ الحاضِرَة: السَّيْلُ والحَريقُ".

فنجد أن الجميع أورد هذا المثنى على التغليب بداية من الخليل وتبعه بقية العلماء، وورد عند السيوطي فقال[84]: " **وفي كتاب المقصور والممدود لابن ولاد: الأيْهمان: السيل والليل"**، فغلب الأيهمان على ما يجمع بينهما صفة القوة الطائشة العمياء.

والأمثلة كثيرة على هذا النوع من التغليب، منها: " الهجرتان، والأيبسان، والوالدان، والثعلبتان، والثقلان، والزهمدان"، وغيرها كثير مما ورد في الصحاح، ونكتفي بهذه المواد على سبيل التمثيل لا الحصر.

---

(77) الصحاح: مادة (ي هـ م)
(78) العين: مادة (ي هـ م)
(79) الجيم: مادة (ي هـ م)
(80) جمهرة اللغة: مادة (ص ل و)
(81) مقاييس اللغة: مادة (ي هـ م)
(82) لسان العرب: مادة (ي هـ م)
(83) القاموس المحيط: مادة (ي هـ م)
(84) (السيوطي، 1987م، 148/2)

- **الخاتمة:**

نخلص من خلال التعرف على ظاهر التغليب، ودراستها وتتبع ورودها في المعجم العربي، نستنتج ما يلي:

1- تبين لنا من خلال البحث اهتمام المعجم العربي بصفة عامة بتوضيح ما خرج له المعنى الوضعي بالتغليب في الألفاظ، ولكنه لم يجعله أساسًا في شرح الكلمات، بل كان معنى توضيحي زائد، يورده صاحب المعجم، والدليل وجود بعض ألفاظ التغليب عند معجم وعدم إيراد معجم أخرى لها بنفس المادة المدروسة.

2- نستنتج أيضاً، أن أصحاب المعاجم غير ملزمين بشرح ما خرج له المعنى الوضعي بالتغليب، فيكفيهم شرح الكلمة ومعناها اللغوي، وشرح ما تيسر لهم من معانيها الاستعمالية.

3- من خلال الدراسة نلاحظ اهتمام الجوهري بإيراد ما خرج له المعنى الوضعي بالتغليب وشرحه لسبب حدوث التغليب غالباً.

4- نلاحظ اتباع معجم "لسان العرب" لابن منظور لما جاء به الجوهري في شرح المواد اللغوية، وزيادته بإضافة أقوال علماء اخرين أن وجدت في معنى المادة المدروسة، ولا غرابة في ذلك؛ فهو معجم جماعة لما سبقه من المعاجم.

- **أهم التوصيات:**

1- ربما نحن بحاجة لمعجم يورد ما خرجت له ألفاظ اللغة العربية بالتغليب اللغوي.

2- الاهتمام بعمل معجم الكتروني شامل وموسوعي، يهدف لمساعدة مختلف الباحثين بمختلف التخصصات.

3- دراسة ظاهرة خروج المعنى الوضعي بالتغليب في معجم واحد، مع رصدها إحصائياً، وبيان ماورد في المعجم من تغليب نحوي، ولغوي.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، 1423هـ- 2002م، اصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي.
- ابن الشجري، **ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة**، 1413هـ - 1992م، أمالي ابن الشجري، تحقيق: هبة الله بن على الحسن العلوي، ط1، مطبعة المدني، القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، 2010م، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، 2008م، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، 1997م، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط1، محمد على بيضون.
- ابن منظور الافريقي المصري، أبي الفضل، جمال الدين محمد مكرم، 2011م، لسان العرب، ط7، دار صادر، بيروت.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين، 1985م، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، ط6، دار الفكر، دمشق.
- أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن الأنباري، 1401هـ- 1981م، المذكر والمؤنث، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، راجعه: د. رمضان عبد التواب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، جمهورية مصر العربية.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري،1381هـ، مجاز القران، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، 2009م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: د. محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة.
- الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 2003م، ت: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، 1376هـ- 1957م، البرهان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه، بيروت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن علي، 1987م، مفتاح العلوم، علق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أب بكر جلال الدين، 1998م، المزهر في علوم اللغة، ت: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشريف الجرجاني، على محمد على الزين، 1983م، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، معاني القران، تحقيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن السراج، 2009م، القاموس المحيط، ت: د. محمود مسعود أحمد، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم محمد ابن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- اللغوي، أبي الطيب عبد الواحد، 1380هـ -1960م، المثنى، تحقيق: عز الدين التنوخي، مكتبة مروان العطية مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.

- المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، 1417هـ- 1997م، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة.
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- خطيب دمشق، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، 1988م، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عمر، د أحمد مختار عبد الحميد، 2008م، معجم اللغة العربية المعاصرة، ومعه فريق عمل، ط1، عالم الكتب.
- لأبي عمرو الشيباني، 2020م، كتاب الجيم، ت: عبد الكريم العزباوى، مراجعة: عبد الحميد حسن، مطابع ديكو، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- مطلوب، د. أحمد، 2007م، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

المجلات العلمية:

- الشهابي، عمر عبد الله، 2019م، "التغليب الفقهي"، دراسة تأصيلية، بحث منشور، مجلة الشريعة والدراسات لإسلامية، جامعة الكويت: 34(118).
- الصاعدي، د. عبد الرزاق بن فراج، 2000م، "المثنى التغليبي وتراث العربية فيه"، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض:2 (3).
- عيسوي، أحمد عبد الوهاب صابر، 2010م، "ظاهرة التغليب اللغوي في القران الكريم وأثرها على الحكم الشرعي"، صحيفة الألسن: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة عين شمس- كلية الألسن، العدد 26.
- محمد، كمال الدين عبد الحميد، 2016م، " قواعد تغليب المذكر والمؤنث في القرآن الكريم: نماذج مختارة"، مجلة كلية القرآن الكريم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 7.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.6

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

المثل الأخلاقي وفن المديح

Moral parable and the art of compliment

الباحثة/ لطيفة إبراهيم الرشيدي

ماجستير لغة عربية، كلية العلوم والدراسات الانسانية، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية

Email: Lalrashyde@su.edu.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الأخلاق من منظور غربي وفلسفي وإسلامي ومدى تفاوت الأراء في تحديد مفهوم القيم الأخلاقية ومصدرها حيث يرى الغرب بأن الأخلاق هي نظرة متغيرة نسبية قوامها مصلحة الجميع، والمثل الأخلاقية من المنظور الفلسفي تشير إلى أنها نتاج المجتمع التي يلتزم بها الأفراد وأحكامهم العقلية التي تصدر منهم، ومن الناحية الإسلامية ينظر إلى المثل الأخلاقية بأنها علاقة الفرد بربه والمجتمع، وجاءت هذه الدراسة ايضا في الحديث عن أهم الأغراض الشعرية وهو المديح ومفهومه وعلاقته بحياة الشاعر وقبيلته.

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وفصل يتكون مبحثين وخاتمة تليها المصادر والمراجع، ومن أهم النتائج التي توصلت الباحثة إليها أن المثل الأخلاقية كانت موضع جدل وخلاف بين النقاد العرب والقدامى والمحدثين وشعر المديح الذي قيل بغرض التكسب أكسب الشعر الوانا جديدة واهتمام الشاعر في التألق بقصيدته حتى تكون محط إعجاب الممدوح.

الكلمات المفتاحية: الاخلاق، قصيدة، أبي تمام، العرب، الادب، المدح.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

Moral parable and the art of compliment

Abstract

This research aims to shed light on the concept of ethics from a Western, philosophical and Islamic perspective, and the extent of disparity in opinions in defining the concept of moral values and their source. And their mental judgments that come from them, but from the Islamic point of view, moral ideals are seen as the relationship of the individual to his Lord and society, and this study also came to talk about the most important poetic purposes, which is praise and its concept and its relationship to the life of the poet and his tribe.

This study included an introduction and a chapter of two sections and a conclusion followed by sources and references, and among the most important findings that the researcher reached is that moral ideals were the subject of controversy and disagreement between Arab critics, ancient and modern, and praise poetry that was said for the purpose of earning. Mamdouh's admiration.

Keywords: Eithics, Poem, Abutmmam, Arabs, Literature, Praise

المقدمة:

العلاقة بين المديح وإبراز المثل الأخلاقية عند الممدوحين وثيقة؛ فالمديح قائم على أساس إظهار المحاسن والمناقب للممدوحين. ولما للأخلاق من أهمية بالغة عند العرب، فقد حرص الأدب على إثباتها، أن بعض الشعراء سعوا جاهدين إلى ترسيخ الأخلاق الحميدة في مديحهم، كما يعد المديح لديهم منظومة من الآداب الإسلامية، كذلك أظهر فن المديح قوة العقيدة عند الشعراء، حيث أنهم ضمّنوا الصورة المديحيَّة كثيرا من أبيات الحكمة والأدلة النقلية والمنطقية كما هو الشأن في قصيدة فتح عمورية التي مدح بها المعتصم وغيرها من القصائد.

أهمية الدراسة:

العلاقة بين الشعر والأخلاق علاقة وطيدة؛ فالأدب تعبير عن المجتمع الذي لا يستقيم ولا ينهض إلا بهذه الأخلاق؛ ولهذا ارتبط فن المديح برصد الأخلاق الحميدة للممدوح. من ثمَّ يحاول البحث أن يكون إضاءة حول القيم والمثل الأخلاقية، هذه القيم التي تعد مُثلا أخلاقية ترسخت في أذهاننا وسلوكنا، ونقلت هذه المثل الأخلاقية في شعر المديح من مجرد معنًى مدحيّ إلى قيمة عظيمة يدعو إليها الشاعر، ويستقبلها الفرد المجتمع، وهذا ما دعا الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

أن الأعراف والعادات والتقاليد المجتمعيّة تُمثِّل الركيزة الأساسية التي يستمد منها الفرد أولويات سلوكه، وهذا يُفسر التباين في المثل الأخلاقية بين المجتمعات، فلكل مجتمع أو أمة مُثلها المختلفة عن غيرها من الأمم، وإن كان بينهم مُثل مشتركة، فالكرم يُعد من أهم المكارم عند العرب، ولا نجده بهذه الأهمية عند الغربيين، والنظرة للرجولة في المجتمع العربي ليست كمثيلتها في المجتمعات الغربية من حيث: الطبيعة والمهام والمسؤوليات... وهذا لا ينفي اشتراك البشر بقيم ثابتة لا تتغير وإن تباينت درجة اهتمام المجتمعات بها، كالصدق والأمانة والشجاعة... إلخ.

وقد اختلفت الأخلاق عند العرب قبل الإسلام عما أصبحت عليه بعد الإسلام؛ فقد اتصف العرب ببعض الأخلاق الحميدة التي افتخروا بها في أشعارهم، ومن تلك الصفات: الكرم، وحماية الجار، ونصرة الضعيف، وحفظ الأعراض. وكان للعرب-قبل الإسلام- عادات سيئة بعيدة عن مكارم الأخلاق، مثل: العبودية، والتعدي على غيرهم، ووأد البنات، والتشاؤم، والتعصب القبلي، فلما بزغت شمس الإسلام، دعاهم إلى التخلي عن هذه الأخلاقيات السيئة مؤكداً أنه دين الأخلاق الحميدة.

وقد بعث الرسول ﷺ بالأخلاق الحسنة مؤكداً أن الغرض من البعثة هو نشر مكارم الأخلاق وإتمام نواقصها، فقال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]؛ لذلك قال ابن القيم: "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[2].

(1) محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، الأدب المفرد، حققه وقابله على أصوله سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م، ج1، ص 143 رقم (273)، وحسنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2004م، ج 1 ص 112، رقم (45).

(2) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ط 2، 1393 – 1973م، ج2، ص 307.

ويُرغِّب رسول الله في الأخلاق الحسنة مؤكدا أن خير الناس أحسنهم خُلقا فيقول: «إنَّ مِن خياركم أحسنَكم أخلاقًا»[3]، وكان ﷺ يحثُّ على كل خلق حسن؛ فأحب الناس إليه وأقربهم منه منزلة يوم القيامة ذوي الأخلاق الحميدة، وفي ذلك يقول: «إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنَكم أخلاقًا ... إلخ»[4]، وسُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق ...»[5]، وقال ﷺ: « ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[6]، بل جمع الرسول ﷺ كل جوانب الخير في الأخلاق فقال: "البِرُّ حُسْن الخُلُق، والإثمُ ما حاك في صدرك، وكَرهتَ أن يطَّلِع عليه الناس"[7].

هذا غيض من فيض؛ فالشواهد الدالة على منزلة الأخلاق في الدين الإسلامي الحنيف كثيرة؛ فالأخلاق سبب في سعادة المسلم في الدنيا والآخرة لكونها توجه سلوكه إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، قد كانت أخلاق التجار الإسلامية سببا رئيساً في دخول كثير من الناس الإسلام من كل حدب وصوب، ولا يزال الإسلام ينتشر في بلاد العالم بقوة الأخلاق وتعاليمه السمحة.

ومن أجل ذلك ازدادت عناية الأمة الإسلامية بالأخلاق، وخاصة بين مثقفيها وعلمائها وشعرائها، وكثر إنتاجهم الثقافي والشعري في دعم الأخلاق الحميدة.

وهذا يأخذنا حثيثا إلى موضوع الدراسة؛ فقد زادت عناية الشعر بالأخلاق والمثل الأخلاقي، وتناول الشعراء الأخلاق في أغراض الشعر كافة: الغزل، والمديح، والفخر، والرثاء، حتى الهجاء كان بذكر مثالب القوم وأخلاقهم القبيحة.

ولعل ذلك ما دفع الباحثة إلى الخوض في غمار هذا الموضوع بحثا ودراسة؛ فهذه الدراسة لإظهار أثر المثل الخلقي في الشعر العربي.

---

(3) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـ.ج4، ص189 برقم (3559).

(4) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم (2018).

(5) المرجع السابق، حديث رقم 2004.

(6) المرجع السابق، حديث رقم 2003.

(7) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، حديث رقم (2553).

منهج الدراسة:

وأما عن المنهج العلمي المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي يقوم على تسلسل منطقي للأفكار.

محتوى الدراسة:

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وفصل واحد من مبحثين، وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة. وفيما يلي بيان بالبناء الهيكلي للدراسة وفق الآتي:

المقدمة: يعرض للمقدمة النظرية للدراسة، والمتمثلة في: أهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهج الدراسة، وحدود الدراسة.

الفصل الأول: (المثل الأخلاقي وفن المديح)، وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: (مفهوم المثل الأخلاقي): تناول تعريفًا شاملًا كاملًا للمثل الأخلاقي والأخلاق عند العرب وغيرهم، قديمًا وحديثًا، ويستعرض رؤية الباحثين والمفكرين للأخلاق، ودورها في تنمية المجتمعات، وعلاقة الأخلاق بالأفراد والجماعات وما لها من أثر في تكوين نفسية الفرد وتنظيم شؤون المجتمعات.

وبرز في هذا المبحث أوجه الاتفاق والاختلاف بين وجهة النظر الإسلامية المتعلقة بموضوع الأخلاق ووجهة النظر اليونانية والنظرة الغربية في ذات الشأن. كما تطرق إلى ما يمكن أن ينطوي تحت منظومة الأخلاق البشرية من دعامات كالعادات والأعراف البشرية، إضافة إلى الضمير والنفس البشرية.

المبحث الثاني، وقد جاء بعنوان: (العلاقة بين فن المديح والمثل الأخلاقي)، وابتُدِئ هذا المبحث بتعريف المدح مع إيراد شواهد قرآنية وشعرية، كما مال إلى تأصيل كلمة المدح ببيان جذرها اللغوي والاصطلاحي. وتطرّق المبحث إلى بيان أسلوب المدح وطرائقه اللغوية.

وكذلك بيان أهمية غرض المدح بين أغراض الشعر العربي، وما لهذه الأهمية من صلة وثيقة بحياة الشاعر القبلية، وعلاقته بقبائل ممدوحيه، وظهر هنا التدرج الذي واكب تطور المدح في الشعر؛ إذ بدأ مدحًا خالصًا صادقًا فيه الشاعر إن افتخر بنفسه أو بقبيلته أو مدح غير قبيلته وصولا بهذا التطور إلى الغلو والمبالغة بسبب التكسب بالشعر. ومن وجهة نظر أخرى نجد أن وصول المدح إلى باب التكسب قد أكسب الشعر ألوانًا جديدة وعناية بالغة من الشاعر حول القصيدة قبل أن يظهرها إلى العلن.

المبحث الأول: مفهوم المثل الأخلاقي

الدعوة إلى المُثل الأخلاقية من أفضل الدعوات التي دعا إليها الدين الإسلامي؛ ولكونه دين الفطرة فإن كل مولود مفطور على حب الخير له وللناس؛ فالأخلاق تعمل على تغذية الشعور الإنساني، وتكيُّف الفرد تكيفًا سليمًا مع غيره.

فالأخلاق "صفة مستقرة في النفس- فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة"**(8)**. وقد عرَّفها الجرجاني بقوله: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمَّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا"**(9)**.

والأخلاق منها ما هو ذاتية: كالشجاعة، والأمانة، والثقة بالنفس. ومنها ما هو مجتمعية: كإعانة المحتاج، والحلم، والعفو عن الناس، الإحسان إليهم، والوفاء بالعهود.

وسوف تسلط الباحثة الضوء في هذا الورقة العلمية على الأخلاق من منظور غربي وفلسفي وإسلامي.
فالنظرة الفاحصة على المنظور الغربي للأخلاق تدل على تفاوت أراء فلاسفة أوربا في تحديد مفهوم القيم، يقول رالف بارتن: "الحقيقة أنه لا يوجد للقيمة معنًى ثابت ... فمختلف الناس يعنون أشياء مختلفة في سياقات مختلفة"**(10)**.

ومن "أجود ما قيل في القيم عند الغربيين هو: إنها محطات أو مقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال من حيث حسنها وقيمتها أو من حيث عدم قيمتها"**(11)**.

وتتسم القيم الشخصية بأنها متغيرة لكونها تتغير من بداية حياة الإنسان؛ فهي تنمو في مرحلة مبكرة من حياته، ثم تتغير تبعا لتطور المجتمع وثقافتهم. يقول رضوان زيادة: "التطور التاريخي هو الذي يساهم في تحديد القيم الشخصية"**(12)**.

(8) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط5، ـ 1999م، ص 10.
(9) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، -1983م، ص101.
(10) مانع محمد المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة، الرياض، 2005م، ص 17.
(11) المرجع السابق، ص 22.
(12) رضوان زيادة وكيفن جيه، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق 2010م، ص 47.

أما من حيث مصدر القيم والقول بأنها نشأت من صنع المجتمع أو الفرد نفسه، فيرى أندريه بريدو: أن "القيم مصدرها الأحكام الشخصية أولًا، أحكام القيمة التي يصدرها الشخص على الأشياء بناءً على حاجته إليها أو منفعته، وشيئًا فشيئًا تتموضع القيم مع الحياة الاجتماعية لتصبح ذات طابع اجتماعي"[13].

إذن نظرة الغرب للأخلاق هي نظرة متغيرة نسبية، قوامها مصلحة الجميع. واعتمدت على الإنسانية والديمقراطية التي تعد عند الغرب من أهم القيم التي تتيح للأفراد والجماعات التعايش والتوافق معًا.

وهكذا اختلفت الأخلاق من أمة إلى أخرى؛ فالأخلاق عند فلاسفة اليونان تختلف في توجهها عن الأخلاق عند غيرهم من الأمم والشعوب الاخرى، والنظرية الأخلاقية في الإسلام تختلف عن الفلسفة الأخلاقية في مذاهب الرأسمالية أو النفعية والاشتراكية.

فالأخلاق عند فلاسفة اليونان (سقراط وأفلاطون وأرسطو) تختلف في منهجها عن منهج السفسطائيين الأخلاقي؛ فهي عند الفلاسفة تتميز بأنها مطلقة ثابتة، بيد أن السفسطائيين يرون أنها نسبية متغيرة؛ وذلك لاختلافهم حول "الهدف الذي رآه السفسطائيون بأنه مصلحة شخصية. في حين كان أفلاطون ممن عارضوا هذا الفكر، ورأي أن ذلك يهدم الفضيلة، ويشوه الهدف الحقيقي من الأخلاق"[14]. ووقف سقراط في وجه السفسطائيين رافضًا نظريتهم الأخلاقية؛ مؤكداً أن الأخلاق مطلقة "لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الظروف والأحوال"[15].

والحقيقة أن الأخلاق في الفلسفة اليونانية قامت على تمييز الشعب اليوناني وتفضيلهم على غيرهم، وقد تأثر بذلك الإنسان الأوربي؛ فدفعه ذلك إلى تحقير ما دونه من أجناس أخرى، وتبرير استعمار الشعوب غير الأوروبيين واستغلالهم واستعبادهم، يؤكد ذلك الفيلسوف البريطاني برتراند رسل قائلا: "لقد أخطأ اليونان خطأ فاحشًا حين أحسوا شعور السيادة على الشعوب البربرية، ولا شك أن أرسطو قد عبَّر عن فكرتهم العامة في ذلك حين قال: إن أجناس الشمال مليئة بشعلة الحياة وأجناس الجنوب متحضرة، واليونان وحدهم هم الذين يجمعون الطرفين: فشعلة الحياة تملؤهم، وهم- في الوقت نفسه- متحضرون. وأفلاطون وأرسطو كلاهما قد ذهبا إلى أنه من الخطأ أن يُتَّخذ من اليونان عبيد، لكن ذلك عندهما جائز بالنسبة للشعوب البربرية"[16].

وتتفق الفلسفة النفعية مع رأي السوفسطائيين في أن الأخلاق نسبية، وكل ما يحقق منفعة الفرد فهو خير؛ فمذهب النفعية يقوم على "أساس أن اللذة هي الغرض الوحيد الذي تهدف إليه رغبات الإنسان،

(13) المرجع السابق، ص26.
(14) حسين حمزة شهيد، الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، مركز دراسات الكوفة 2008 م، ص261.
(15) توفيق الطويل، الفلسفة الخُلقية نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية. القاهرة، 2006م، ص 11.
(16) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، وترجمة: د. زكي نجيب محمود، ومراجعة أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967م، ج1 ص251.

وأنها مستوى الأفعال الإنسانية ومعيار الأحكام الخُلقية، وكلا الأمرين لا يصمد للنقد؛ ومن هنا كان تداعي النفعية بتداعي الأسس التي قامت عليها"[17].

وأما فلسفة العقليين، وإمامهم الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت، فلم تعترف باللذة مقياساً للأخلاق، بل عدّوا "الواجب أمرا مطلقا يتنافى مع نزعاتنا الطبيعية وميولنا الفطرية، وأقاموا الأخلاقية على قهر النفس ووأد مطالبها وقمع رغباتها [18].

ونجد أن الفلسفة الوضعية تتناغم إلى حدٍّ كبير مع المنطق الحقيقي لجوهر المُثل الخلقية وعلاقتها بالفرد والمجتمع؛ فتشير إلى أن المثل الأخلاقية علم واقعي يخضع لأسلوب الاستقراء، وينصب تركيزه على الملاحظة، ويتجلى في العادات والأعراف والمثل العليا للجماعة، وللفلسفة الأخلاقية ملامح كثيرة، منها:

- إنها تعتمد على الملاحظة، وتنظر للشخص نظرة واقعية.

- إن المثل الأخلاقية نسبية وليست ثابتة؛ لاعتبارهم أن المعرفة نسبية.

- إن الميول نحو الآخر أمر فطري، وهي أساس الأخلاق في تعامل الشخص مع غيره.

- إن مصدر المثل هي الميول والعواطف الفردية بين البشر، ثم تتطور لتصبح عواطف ذات صيغة عقلية [19]".

ويرى "أفلاطون أن المُثل هي الخير، ومصدر الوجود والكمال. أما جون ديوي فيعتبر الأفكار والمَثل الأخلاقي مجرد وسيلة وذريعة يستعين بها الفرد لتوجيه سلوكه للوصول إلى مطالبه وغاياته"[20].

وهذ يعني أن ديوي ينظر إلى الأخلاق على أنها وسيلة تحقيق غاية عظيمة؛ فإن كانت المُثل ليست إلا جسرًا يَعبُر من خلالها الفرد إلى أهدافه وغاياته؛ فإن ذلك يتنافى مع النظرية اليونانية المعتمدة على العقل؛ فالفرد ليس بحاجة للمثل الخلقية للوصول إلى هدفه إلا إن كان الأمر من باب الخداع، وهذا أمر فردي ليس عامًّا. وإن كان الفرد يستخدم المثل الخُلقي كوسيلة أو ذريعة فهو في الحقيقة ابتعد عن المثل الخلقي، ودخل في باب النفاق الاجتماعي أو الوظيفي، أو أي نوع من النفاق الذي هدفه تحقيق المصلحة للذات.

أما ابن مسكويه فقد عرَّف الأخلاق قائلًا: "إنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"، ثم قام بتقسم الأخلاق إلى قسمين، هما:

(17) توفيق الطويل، مذهب النفعية العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1953م، ص295.

(18) المرجع السابق، ص318.

(19) مصطفي حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م، ص 74.

(20) هاني الطويل، النظام التربوي والقيم، بحث مُقدَّم إلى مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، المنعقد في جامعة اليرموك، الأردن، 28-1999/9/30م.

أولًا: ما يكون طبيعيًّا من أصل الإنسان، والذي يحركه أدنى شيء في الإنسان.

وثانيًا: ما كان مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة خلقًا"[21].

ويشير الساعاتي إلى أن: "المثل: مفاهيم عاطفية تقوم على أسس نفسية اجتماعية يوجدها الإرث الاجتماعي من خبرات الزمان الماضي والثقافة المتمثلة بالتنشئة الاجتماعية، وقد تصبح المثل فكرًا اعتقاديًّا قويًّا يتعلق بأشياء مفيدة داخل الحياة الاجتماعية"[22].

وفي الحقيقة أن هذا التعريف قد أجْمَل كل ما يتعلَّق بالمُثل من خبرات حياتية وثقافات ومعتقدات اجتماعية، بينما يرى غريب أن المثل: "نسبية، وتختلف من شخص لآخر بناءً على الحاجات والرغبات والظروف المحيطة بالفرد؛ بمعنى أنها إنسانية شخصية"[23].

وهذا كلام سليم؛ لأن المجتمع بأعرافه وتقاليده وقوانينه ليس قادرًا على توحيد كل الناس على منظور أخلاقي واحد؛ ففي البيت الواحد تجد تباينًا في تبنِّي الأفكار، ومنها المُثل الأخلاقية؛ وعليه وجدنا الباحث يصفها بأنها نسبية، وتختلف من شخص إلى آخر.

وتُعرِّف المثل بأنها: "مجموعة من الأحكام التي يصدرها الفرد على المحيط الإنساني والاجتماعي؛ فهي نتاج اجتماعي تقبَّله الفرد ورضي به "[24].

ويُعرِّفُها عوض بأنها: "مجموعة المعايير الاجتماعية الانفعالية التي تتصل بمستويات خلقية تُقدِّمُها الجماعة، ويتشربها الفرد من خلال التفاعل مع الآخرين"[25].

ويرى بركات أنها: "مجموعة من المعايير التي تنبثق من مجتمع ما، وهي بمنزلة القدوة لهم، وعليهم الالتزام بها، وأن الخروج عنها بمنزلة الخروج على المجتمع ومثله العليا"[26].

(21) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 41.
(22) حسن الساعاتي، نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي في القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن، أبحاث الندوة الأولى، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1988م، ص100.
(23) غريب محمد سيد، الإطار القيمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص24.
(24) فؤاد أبو حطب، علم النفس التربوي، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1996م،، ط 5، ص87.
(25) عباس عوض، في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م، ص52.
(26) لطفي بركات أحمد، القيم والتربية، دار المريخ، القاهرة، 1983 م، ص4.

كما يُنْظر إلى المثل على أنها: "وحدات معيارية اجتماعية يلتزم بها أفراد جماعة ما، وتميز السلوك المرغوب فيه من السلوك غير المرغوب فيه. وهي إصدار الحكم القيمي للمشكلات الاجتماعية والخيارات الخلقية"[27].

وتُعْرَف بأنها: "القيم الحقيقية التي يُحْكَم من خلالها على السلوك الخلقي وتحكمه، وهي تُخْضِعُ الفعل والسلوك والهدف من العمل على مستوًى مقبول أو غير مقبول".[28]

ويمكن القول: إن المُثل الأخلاقية تشير إلى:

- إنها نتاج المجتمع التي يلتزم بها الأفراد.
- إنها أحكام عقلية انفعالية تصدر عن الأفراد أو المجتمع.
- إنها تحكم السلوك؛ من خلال المعايير يتم الحكم على السلوك.
- إنها نسبية تختلف من مجتمع لآخر[29].

وقد جعل الإسلام الأخلاق وسطا بين الفلسفتين: فلسفة النفعيين وفلسفة العقليين؛ فلم يُبح اللذة للإنسان مطلقا، ولم يقهر النفس البشرية ويقمع رغباتها، فلا رهبانية وتشددا، ولا تهاونا وتفريطا. ويؤكد ذلك قوله تعالى: (وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)**(30)**. يقول الطبري مفسراً هذه الآية: "وأرى أن الله -تعالى ذِكْره- إنما وصفهم بأنهم: "وسَط" لتوسطهم في الدين؛ فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه؛ فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها"[31]

(27) عبد الودود مكروم، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ط1، ص233.

(28) هناء الجبالي، التربية الجمالية وتنمية القيم الأخلاقية، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2001م، ص18.

(29) عبد الودود مكروم، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، ص 235.

(30) سورة البقرة: الآية: 143.

(31) محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، - 2001م ج2، ص626- 627.

ومن الناحية الإسلامية يُنظر إلى المُثل الأخلاقية بأنها: "علاقة الفرد بربه والمجتمع، ونظرة الفرد لنفسه وللآخرين، ولسلوكه وكيفية ضبطه، ومكانته الاجتماعية"[32]. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[33].

ويُعرِّفها كفافي بأنها: "المعتقدات والأحكام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يمثّلها الإنسان المسلم ويلتزم بها، والتي يتحدد في ضوئها علاقته بالله -تعالى-، واتجاهاته نحو الحياة الآخرة، وموقفه من بيئته المادية والإنسانية"[34].

وقد عَرَّف جابر قميحة المثل الأخلاقية بأنها: "مجموعة من الأخلاق التي تصنع شخصية الفرد، وتجعل منها شخصية متكاملة قادرة على التفاعل مع الآخرين، والتوافق مع أعضائه، وأشارت إلى المثل الإيجابية التي يجب التحلي بها، كمكارم الأخلاق، والصدق والرحمة والكرم وغيرها من هذه المثل"[35]. ويشير إبراهيم إلى ثلاثة مبادئ عامة للمثل هي:

- "السعادة في الآخرة، وهي الغاية الأعلى للفضيلة.
- الغيرية، وهي تحقيق الخير للآخرين من غير الأسرة.
- التناسق الخلقي، وهو ما يضبط ممارسة الأخلاق"[36].

ومن خلال ما تقدَّم عند هذين الباحثين (كفافي، جابر قميحة) نلحظ أن نظرتهما للمثل الخُلقي نابعة من منظور إسلامي بالدرجة الأولى، ومن العادات والتقاليد العربية؛ فاهتمامهما بالجانب الروحي واضح، على خلاف ما وجدنا عند المفكرين الغربيين.

"فالمُثل الأخلاقية تأخذ أبعادًا روحية ووجدانية واجتماعية، فمن الناحية الاجتماعية تؤدي دورًا ساميًا في قوة وتماسك أفراد المجتمع"[37]. "وتعدُّ المُثل نتاجًا اجتماعيًّا يحدد المجتمع وأنماط القيم المختلفة في الحياة،

(32) محمد عفيفي، في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص 44.
(33) سورة النحل، الآية 90.
(34) محمد كفافي، تصنيف مقترح لبعض القيم الإسلامية، مجلة الأبحاث التربوية، السنة السابعة، العدد 14، مصر، 1989، ص 71.
(35) جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة1984م، ص41.
(36) أحمد عبد الرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م. ص313-314.
(37) أحمد كمال أبو المجد، القيم والتحولات الاجتماعية المعاصر، نشر مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، المنامة، ط1، 1990م، ص60.

وهي مُلزِمَة للفرد والآخرين"[38]. "ومن الناحية الروحانية فهي التي تتحكم بالسلوك بناء على اهتماماته واتجاهاته الدينية، وهي معيار لقياس تصرفاته وقناعته"[39].

وهذا ما يؤكد أن الباحثينِ قد ارتكزَا على ذلك في تعريفهما للمُثل الأخلاقية؛ فالمفكر المُسلم لا يرى انفكاكًا للمثل عن الدين الإسلامي؛ إذ إن إلزام الفرد بالمُثل من أهم ما جاء به الإسلام، قال -تعالى- واصفًا سيدنا محمدًا –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- ردًّا على ادعاءات الكُفّار: **(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)(40)**. ومن خلال حديث لرسول لله ﷺ تظهر أهمية الأخلاق الدينية والاجتماعية؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ لأتمم مكارم الخلاق**»[41].

وخلاصة القول: إن الدين الإسلامي قد رسَّخ القيم والمثل الإنسانية النبيلة في نفس المسلم وعقله، وهذا الأمر قد انعكس على المجتمع المسلم، فحياة المسلم تسير وفق المنهج الإسلامي الرباني؛ لأن القيم والمُثل في الإسلام المصدر الأول للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ الأمين؛ وهذا يصبغها بصبغة القدسية، فالأخلاق الإسلامية ثابتة ومرنة وشاملة لكل مراحل العمر، صالحة لكل زمان وكل مكان، وهذا ما لم تنادى به الفلسفة اليونانية، ولم تقل به معظم الفلسفة الغربية خاصة القائمة على النفعية.

المبحث الثاني: العلاقة بين فن المديح والمثل الأخلاقي

بعد التعرف على مفهوم المثل الأخلاقي، يجدر بنا أن نتعرف على المديح لغة واصطلاحا. فمعنى المديح في اللغة: اشتقت لفظة "المديح" من "مدح: قال ابن فارس: "الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف محاسنٍ بكلامٍ جميلٍ. ومنحه يمنحه منحا: أحسن عليه الثناء. والأمْدُوحة: المدح"[42].

فالمديح: "هو إحسان الثناء على المرء بما له من الصفات الحسنة، مَدحَهُ كمنعهُ، مَدحًا ومدحةً: أحسن الثناء عليه ... والمديح والأمدوحة ما يمدح به، جمعه: مدائح، وأماديح"[43].

(38) صلاح الدين بسيوني، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1990م، ص8-9.

(39) نبيل سفيان، فهم الناس من خلال قيمهم، 2002، من الموقع الالكتروني التالي: http://www.Khayma.com/dr-nabil/makalat/h4.htm. تم الرجوع إليه بتاريخ 2016/06/14

(40) سورة القلم، الآية 4.

(41) الإمام مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1985، ص 904.

(42) أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 1999م ص 503 (مادة: مدح).

(43) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 2005 م، ص 240. مادة مدح.

ولا يقتصر المديح على الشعر بوجه خاص أو الكلام بوجه عام، بل إن" المديح: خطبة أو حديث أو كتابة تطري إنسانا أو إنجازا، وتهيل عليه الثناء بغير حساب"[44].

وشاع المديح عند العرب في أقوالهم وكتاباتهم، وانتشر وازدهر في الشعر والنثر على حد سواء، وللعرب فيه صيغ محددة للمديح سميت قياسية باستخدام الفعل (نِعْم)، وهو فعل جامد خُصِّص لإنشاء المدح، كقولنا: نعم الرجل العابد، ونعم الفتاة المحتشمة، واستخدم هذا الفعل في القرآن الكريم بعدة مواضع، منها قوله تعالى: **(وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ)**[45]. **وقوله تعالى: (وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ)(46).**

وفي الشعر قال زهير يمدح سنان بن أبي حارثة المُرِّي [47]:

نِعْمَ الفَتَى المُرِّيُ أَنْتَ، إِذا هُمُ حَضَرُوا، لَدَى الحُجُراتِ، نَارَ المَوْقِدِ

أو باستخدام الفعل حَبَّذا، وهو أيضًا فعلٌ جامد، صيغ لإنشاء المدح، وجاء مركبًا مع اسم الإشارة (ذا) كقولنا: حَبَّذا الرجلُ المخلص، حَبَّذا المرأةُ المُخلصة، أما في الشعر فمنه قول جرير[48]:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَيَّانِ مِن جَبَلٍ! وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَيَّانِ مَن كَانَا

كذلك فقد وَضَعَ علماءُ اللغةِ بَعضَ الأفعالِ القياسيةِ للدلالةِ على المدح والذم في آن واحد، تَمثَّلت في الفعل الثلاثي المفتوح الفاء والمضموم العين، مثل: حَسُنَ، كَبُرَ، شَرُفَ...نحو قوله تعالى: **(وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا)**[49].

أمَّا الصيغ الأخرى للمدح التي تسمى غير قياسية أو سماعية فهو الذي دل على معنى المدح دون استخدام هذين الفعلين: (نعم، حَبَّذا)، وله ألفاظ كثيرة متعددة تقود إلى معنى المدح دون صِيغٍ محددةٍ، سواء في النثر أو الشعر، مثل: لله دره... وغيرها. ومن ذلك: قول المتنبي في وداع أبي العشائر[50]:

والْجُودُ عَيْنٌ وأَنْتَ نَاظِرُهَا وَالْبَأسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

(44) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، نشر المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس – تونس، 1986 م، ص 317.

(45) سورة النحل؛ الآية 30.

(46) سورة الذاريات؛ الآية 48.

(47) زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م، ص47. البحر الكامل.

(48) جرير بن عطية الخطفي، ديوان جرير، ديوان العرب، دار بيروت، بيروت 1986م، ص493. البحر البسيط.

(49) سورة النساء؛ الآية 69.

(50) أحمد بن حسين الجعفي المتنبي أبو الطيب، ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت 1983م، ص252. البحر الوافر

وقول جرير[51]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطَونَ رَاحِ

ويُعدُّ بيت جرير السابق أمدح بيتٍ قالته العرب، فقد وصف ممدوحة بالشجاعة في الشطر الأول، وبالكرم في الشطر الثاني، في حين يظهر الكرم في الشطر الأول عند المتنبي وتظهر القوة والشجاعة في الشطر الثاني.

والأخلاق العالية والمُثُلُ النبيلةُ من الأمور والصفات المُحبَّبةِ لدى العرب والعجم، إلَّا أنها للعربي ألزم وأوجب وأحب، وتلك المفاخر والمحاسن ليست مما يتقادم عليه الزمان؛ فتنتفي قيمته، فما كان محببًا من الصفات الكريمة في الجاهلية بقي محببًا في الإسلام، ولم ينتقص من قيمته، بل إن الإسلام أقرَّ بعض العادات الجاهلية الحميدة، وهي صفات لا تختلف عليها في أصالتها أي أُمَّة، كالكرم والشجاعة والشهامة وحفظ الوُدِّ والعهد والحكمة والتَّأني.

وقد تَنَوَّعت أغراض الشعر العربي بتنوعِ المُناسباتِ والوقائع التي يعيشها العربي؛ فكانت قصائد الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والغزل والخمريات إلى غير ذلك من تصويرٍ لوقائع الحياة، كالوصف إضافة إلى النصائح والمواعظ.

وكان المدح من الأغراض الأصيلةِ الرئيسةِ في الشعرِ العربي؛ وذلك لعلاقته الوثيقة بحياة الشاعر القَبَلِيَّةِ، فهو المُدافعُ عن قبيلته، يُمجدُ أيَّامها ويَمدح فرسانها. ويعدُّ المدح من أقدم أغراض الشعر، فالإنسان يأنَس له، ويضفي على النفس شيئًا كبيرًا من الألفة والراحة؛ وذلك لما له من أثر بالغ في العاطفة، وهذا يجعلنا نربط بدايات المدح بالغزل، فالغزل أساسه الثناء على الحبيب وتصوير العواطف والأشواق، ثم يتناسب الأمر أيضا مع الفخر فما هو إلاّ مدح للذات وللقبيلة.

ومن الأدلة على ذلك ما قاله عمرو بن كلثوم في معلقته[52]:

أَبَا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا

بِأنّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا ونُصَدِّرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أنْ نَدِينَا

وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَد تَوَّجُوهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينَا

(51) جرير بن عطية الخطفي، ديوان جرير، ص77.البحر الوافر.

(52) عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت،-1991م، ط1، ص71.البحر الوافر .

ففي الحقيقة هذه هي مفاخر بالقبيلة ومن ثم هي مدحٌ لقبيلته، وبالتالي لنفسه وكان الفخر بالقبيلة من أحد أبنائها أمر عظيم، ولا يَقِلُّ الأمر أهمية إذا مدحت القبيلة من شاعرٍ مُتَكَسِّبٍ ليس من بطونها؛

فللمدح أثرٌ عظيم عند الأشخاص أو القبائل، فالشِعر يرفع شأن الوضيع، ويحط شأنَ الرفيعِ، ويرفع قبيلةً ويحُطُّ أخرى. وها هو الحُطيئة يمدح قبيلة (أنف الناقة) الذين كانوا يخجلون من اسم قبيلتهم فيقول (53):

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بَأنْفِ النَاقَةِ الذَنَبَا

قَوْمٌ إذا عَقَدُوا عَقْدًا لِجَارِهِمُ ... شَدّوا العِنَاجَ وَشَدّوا فَوقَه الْكَربَا

وكذلك الحال عند الحارث بن حِلِّزة يمدح كرم قبيلته (54):

أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيفِ خَيرَ عِمَارةٍ ... إنْ لمْ يَكنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

فالشاعر يعمد للمديح ويقصدهُ لأسباب عديدة، منها: إعجاب الشاعر بالممدوح وصفاته ومآثره وفضائله، أو شكره على معروف أسداه إليه أو إلى قبيلته، أو التكَسُّب عن طريق المدح. ومثال ذلك في الجاهلية الشاعر النابغة الذبياني الذي تنقل بين الغسانيين وملوك الحيرة مُتكسبًا طامعًا بالصِّلات من النعمان بن المنذر.

ومن شعراء التكسب بالمديح -أيضًا- الأعشى الذي جال البلاد متكسبًا مادحًا؛ فقد مدح الأسود بن المنذر اللخمي، فقال (55):

عِنْدَهُ الْحَزْمُ والتُّقَى وأَسا الصَّر ... عِ وَحمْلٌ لمُضْلِعِ الأَثْقَالِ

وصِلاتُ الأَرْحَامِ قَد عَلِمَ النّا ... سُ وَفَكُّ الأَسْرَى مِنَ الأَغْلالِ

ووَفَاءٌ إذَا أَجْرَتْ فَما غَرَّ ... ت حِبَالٌ وَصَلْتَهَا بِحِبَالِ

إنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وإنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلًا فَإنّهُ لا يُبَالِي

فهو بمدحه هذا - وإن كان مُتكسبًا - فإن مدحه يَزْخَر بالمُثل الأخلاقية والقيم العليا التي يطمح إليها كل ممدوح.

(53) جرول الحطيئة العبسي أبو مليكة، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السّكيت، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،1993م، ط1، ص 45. البحر البسيط.

(54) الحارث بن ظليم بن حلزة اليشكري، ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي،1991 م، ط1، ص44. البحر الكامل.

(55) مأمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط. المطبعة النموذجية، (د.ت)، ص 9. البحر الخفيف

ويبدو أن الأمرُ بالمدح بدأ مدحًا خالصًا لصفات أُعجبَ بها الشاعر، أو لإظهار فضائل ممدوحة إلى أن أصبح مع تقدم صنعة المدح لِيُصبحَ تكسبًا صريحًا وطلبًا للعطايا والهدايا. والشاعر يجهد نفسه في شعر المديح تكسبا أكثر من مدحه بغير تكسب، فنجد أبا تمام "كان يفتت اللغة من أجل الوصول إلى معانيه ويصقلها، ويكثفها، وكان يضع بابتكاراته توقيعه الخاص على عوالم شعرية جديدة اكتسبها بالكدح الشديد"[56].

ويمكن القول: إنّ التَكَسُّب أكسب الشعر ألوانًا جديدة، واهتماما بالغًا من الشاعر في التأنُّق بقصيدته، وذلك لتكون محط إعجاب الممدوح؛ ليُجزَل له العطاء، وتمثَّل هذا الاهتمام في التركيز على المُثل الخلقية والتغيير في القوالب الشعرية التقليدية فجاءت الزخرفة اللفظية وأيضًا الثورة على المقدمة الطللية، كما رأينا عند أبي نواس ورأينا أبا تمام والمتنبي وغيرهم من الشعراء يمدحون بما لم يكن مألوفًا أو دارجًا فيما قبلهم، وهذا لا ينفي وجود تكسب قديم، ولا ينفي وجود زخرف لفظي وبديعي كما أسلفت الباحثة، وهذا لا يقلل من أهمية صدق العاطفة والتجربة الشعورية إذ هي من أهم عناصر الشعر، وقد أكد أكثر النقاد أن التكسب عامل قوي من عوامل الإبداعي الشعري.

ويتحدث أبو هلال العسكري عن فضيلة شعر المديح الذي قيل بغرض التكسب فيبين سحره، وقوة تأثيره في الممدوحين، فيقول: "ولا يفوز أحد من مؤّلفي الكلام كما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة، والعوارف السنية، ولا يهتز ملك أو رئيس، كما يهتز له، ويرتاح لسماعه، وهذه فضيلة أخرى لا يلحقه فيها شيء من الكلام"[57]. فالعسكري ومن تبعه [58] رأوا أن شعر التكسب بلغ "أعلى درجات الإبداع الفني لأن قائله يضطر إلى تجويده وتحسينه؛ ليلائم مقام الممدوحين، ويتصيد به عطاياهم وهباتهم، وينال الحظوة الكبرى عندهم."[59]

لقد كان أبو تمام يتكسَّب بشعره لكنه كان "شديد الاعتداد بنفسه، يأبى الذل، ويترَّفع عن الدون"[60]. وماذا عن أبي تمام من لوم؟! فإنه "عندما كان يمدح فإنه يساير عصره، ويكتسب قوته"[61].

---

(56) عبده بدوي، أبو تمام وقضية التجديد في شعره، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت، ص133.

(57) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1401م، ص155.

(58) وافقه على هذا الرأي كل من: ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ص30، ص33. وابن رشيق في العمدة،ج1 ص214. وأبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ط 2، حققه وقدم له: د .محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، لبنا ن،1405هـ، ص45.

(59) رائد مصطفي عبد الرحمن، ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم، مجلة جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، سلسلة العلوم الإنسانية 2010 م، المجلد 12، العدد 1، ص461.

(60) كوركيس عواد ومخائيل عواد، أبو تمام حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1971م، ص6.

(61) عبد الله المحاربي، أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا، القاهرة، ط1، 1992م، ص511.

الخاتمة والنتائج

كان العرب أهل الكرم، وأهل الشجاعة، وأهل الحياء، والمروءة والنخوة، والوفاء بالعهد، وأهل فِطنة وفِراسة وذكاء... إلخ. ولا يمنع ذلك من وجود بعض الأخلاق الذميمة لديهم ثم جاء الإسلام كي يؤكِّد هذه الأخلاق، ويُثْنِي عليها، ويُعزِّزها ويمدحها، كذلك جاء الإسلام بالنماذج الخُلُقية، والأوامر الأخلاقية، والنواهي السلوكية، وبذلك يكون الإسلام قد خلق قواعد لسلوك الإنسان وأخلاقه وأفعاله، فمتى يقم بالأوامر يَنَلِ الثواب، ومتى يُخالِف ذلك يُعاقَب.

ومن أبرز النتائج:

كانت المثل الأخلاقية الواردة في قصائد المديح موضع جدل وخلاف بين النقاد العرب القدامى والمحدثين من عدة جوانب أهمها: معاني الصدق والكذب في القصيدة، تقييد فضائل الممدوح وإطلاقها، أثر البداوة والحضر على القصيدة، وقد أيدت الباحثة الرأي القائل إنه يحق للشاعر في قصيدة المديح أن يذكر صفات ممدوحه بصورة فيها مبالغة ومتكلفة فهذا يعطي للمتلقي فرصة لاكتساب الفضائل الحميدة، كذلك له حرية ذكره الفضائل المختلفة لممدوحه دون تقييد، وأن شعراء البداوة أكثر التزاما بالمثل الأخلاقية من شعراء الحضر، لأن البداوة وليدة الفطرة والأخلاق الحميدة.

إنّ أكثر شعراء العصر العباسي اعتنوا بالمديح في الشعر العربي، وبثوا صورًا حية للمثل الخلقية في مدائحهم، وأضافوا معاني الحزم والمروءة والعفة والكرم وعلو الهمة والشجاعة إلى غير ذلك من مروءات النفس وصفات الفارس العربي، وصفات الإنسان القائد الحليم الحكيم؛ إذ استطاع الشاعر العباسي أن يُجسِّم تلك المثل الخلقية في ممدوحه تجسيدًا قويًّا، وهذا نِتاج العقول الخصبة والخيال البارع.

ازدهر المِديح على لسانِ بعض الشعراء في تمثيل العناصر المديحيَّة القديمة وما تحويه من قيم اجتماعية ودينية عالية، وبثوا فيها من فرائدهم الخاصة، وأودعوا فيها عناصر جديدة استلهموها من البيئة الحضارية التي يعيشون فيها ومن ثقافتهم وفكرهم ومنطقهم، فنزعوا إلى مدح الخلفاء بالتقوى والعدل، وأطالوا في مدح القادة وشجاعتهم في المعارك والحروب، وعند مدح الوزراء والساسة نجد الحكمة والحنكة والدراية.

المصادر والمراجع

1/ البخاري، محمد (1998م)، الأدب المفرد، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

2/ الزرعي، محمد (1393-1973م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

3/ الجعفي، محمد (1422ه)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله □ وسننه وأيامه، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

4/ الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

5/ النيسابوري، مسلم (1991م)، صحيح مسلم، ط1، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي.

6/ الميداني، عبد الرحمن (1999م)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط5، دار القلم، دمشق.

7/ الجرجاني، علي (1983م)، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

8/المانع، مانع (2005م)، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ط، دار الفضيلة، الرياض.

9/ زيادة، رضوان...واخرون(2010م)، صراع القيم بين الإسلام والغرب،ط1،دار الفكر، دمشق.

10/ شهيد، حسين (2008م)، الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، ط، مركز دراسات الكوفة

11/ الطويل، توفيق (2006)، الفلسفة الخُلقية نشأتها وتطورها، ط، دار النهضة العربية. القاهرة

12/ رسل، برتراند (1967م)، تاريخ الفلسفة الغربية، ط1 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة

13/ الطويل، توفيق (1953م)، مذهب النفعية العامة في فلسفة الأخلاق، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

14/ حلمي، مصطفى (2004م)، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت

15/ الطويل، هاني (1999م)، النظام التربوي والقيم، ط،

16/ يعقوب، أحمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

17/ الساعاتي، حسن(1988م)، نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي في القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن، ط1، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

18/ سيد، غريب (1987م)، الإطار القيمي، ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

19/ أبو حطب، فؤاد (1996م)، علم النفس التربوي، ط5، الأنجلو المصرية.

20/ عوض، عباس (1991م)، في علم النفس الاجتماعي، ط، دار المعرفة الجامعية.

21/ أحمد، لطفي (1983م)، القيم والتربية، ط، دار المريخ، القاهرة.

22/ مكروم، عبد الودود (1996م)، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.

23/ الجبالي، هناء (2001م)، التربية الجمالية وتنمية القيم الأخلاقية، جامعة عين شمس.

24/ مكروم، عبد الودود (1996م)، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، ط1، دار الفكر العربي،

25/ سورة البقرة: الآية: 143.

26/ الطبري، محمد (2001)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

27/ عفيفي، محمد (1980م)، في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

28/ سورة النحل، الآية 90.

29/ كفافي، محمد (1989م)، تصنيف مقترح لبعض القيم الإسلامية، مجلة الأبحاث التربوية.

30/ قميحة، جابر (1984م)، المدخل إلى القيم الإسلامية، ط1، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.

31/ إبراهيم، أحمد (1982م)، الفضائل الخلقية في الإسلام، ط 1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض

32/ أبو المجد، أحمد (1990م)، القيم والتحولات الاجتماعية المعاصر، ط1، نشر مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، المنامة.

33/ بسيوني، صلاح الدين (1990م)، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

34/ نبيل سفيان، فهم الناس من خلال قيمهم، 2002، من الموقع الالكتروني التالي:
http://www.Khayma.com/dr-nabil/makalat/h4.htm. تم الرجوع إليه بتاريخ 2016/06/14

35/ سورة القلم، الآية 4.

36/ أنس، مالك (1985م)، الموطأ، ط، دار إحياء التراث العربي.

37/ الرازي، احمد (1999م)، معجم مقاييس اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

38/ الفيروز آبادي، مجد الدين (2005م)، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

39/فتحي، إبراهيم (1986م)، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، نشر المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس.

40/ سورة النحل؛ الآية 30.

41/ سورة الذاريات؛ الآية 48.

42/ أبي سلمى، زهير (1986م)، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

43/ الخطفي، جرير (1986م) ديوان جرير، ديوان العرب، ط، دار بيروت، بيروت

44/ سورة النساء؛ الآية 69.

45/ المتنبي، أحمد (1983م)، ديوان المتنبي، ط1، دار بيروت، بيروت.

56/ الخطفي، جرير (1986م) ديوان جرير، ديوان العرب، ط، دار بيروت، بيروت

47/ كلثوم، عمرو (1991م)، ديوان عمرو بن كلثوم، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

48/العبسي، جرول (1993م)، ديوان الحطيئة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

49/ اليشكري، الحارث (1991م)، ديوان الحارث بن حلزة، ط1، دار الكتاب العربي.

50/ قيس، مأمون (1437ه)، ديوان الأعشى الكبير، ط. المطبعة النموذجية، مكتبة الآداب، القاهرة.

51/ بدوي، عبده (1985م)، أبو تمام وقضية التجديد في شعره، ط1، مكتبة الشباب، القاهرة.

52/ العسكري، أبو هلال (1401م)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ط1، دار الكتابة العلمية، بيروت.

53/ عبد الرحمن، رائد (2010م)، ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم، عدد1، مجلة جامعة الأزهر بغزة، فلسطين.

53/ ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ص30، ص33. وابن رشيق في العمدة، ج1 ص214. وأبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ط

54/ الداية، محمد (1405ه)، عالم الكتب، ط، بيروت، لبنان.

55/ عواد.... واخرون، كوركيس (1971م)، أبو تمام حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية، ط1، مكتبة الإرشاد، بغداد.

54/ المحاربي، عبد الله(1992م)، أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا، ط1، القاهرة.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.7

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثالث والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 سبتمبر 2021م

الخروج عن المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره في المعجم العربي

Deviating from the positive meaning by expressing a thing and the will of another in the Arabic lexicon

إعداد الباحثة/ وفاء سليمان سعيد الجهني
طالبة دكتوراه، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
Email: walgehani@gmail.com

إشراف البروفيسور الأستاذ الدكتور/ سليمان بن إبراهيم العايد حفظه الله
جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

الملخص:

حاول المعجم العربي الاهتمام بكل تفاصيل اللفظ، وبكل ما يخرج عن المعنى الوضعي في الألفاظ لمعانٍ أخرى ومنها خروجه عن المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، فكانت هذه الدراسة لإثبات مدى اختلاف المعاجم العربية في الاهتمام بإيراد خروج المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، فتبين أن بعض المعاجم اهتمت بذلك وأولها معجم "الصحاح" للجوهري، ومعجم "لسان العرب" لابن منظور، ثم تفاوتت بقية المعاجم ما بين إيراد للخروج عن المعنى الوضعي باللفظ بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، وما بين معاجم أخرى ككتاب "الجيم" للشيباني لم يهتم بإيراد خروج المعنى الوضعي في اللفظ بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، والمعجم العربي ليس ملزم بمثل هذه الأمور يكفيه شرح المادة اللغوية شرح تام ومفهوم، وقد بدأت الحديث عن خروج المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره بهذا البحث بمقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل لها البحث، وأردفتها بأهم التوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع، فاشتملت المقدمة على: أهمية البحث، وهي كشف مدى عناية المعجميين العرب بذكر كل ما يتصل بمعاني المادة اللغوية، وما خرجت له هذه المعاني بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، ثم أتبعتها بأهداف البحث التي تمثلت في: معرفة دور المعجم العربي في إثراء مفردات اللغة العربية وتنميتها، بيان اهتمام المعجم العربي بإيراد كل خروج في دلالة الألفاظ عن معناها الوضعي بالتعبير عن الشيء و إرادة غيره، إيضاح وجوه الاختلاف بين المعجميين العرب في شرح المادة اللغوية موضع الدراسة، ثم أتبعته بأهم تساؤلات البحث، ثم بدأت بسرد فصول البحث وهي:

الفصل الأول: السياق والكناية، وهما أساس الدراسة، ثم الفصل الثاني: وتحدثنا فيه عن مفهوم الكناية، ومفهوم المعنى الوضعي، ثم الفصل الثالث: الفرق بين المجاز والكناية، فلا بد من إيضاح الفرق بين هذين الفنيين البلاغيين، ثم الفصل الرابع: أنواع الكناية، ثم الفصل الخامس: وهو يشمل الناحية التطبيقية للبحث، وهي استخراج المادة المدروسة من المعاجم العربية المختلفة المختارة للدراسة، وقد ارتأيت أن اختار معجم واحد مشهور من كل مدرسة معجمية ليكون مثال لورود الظاهرة في المعجم العربي.

الكلمات المفتاحية: المعنى الوضعي، الخروج عن المعنى، المعجم العربي، التعبير عن الشيء وإرادة غيره، الدلالة، الكناية.

Deviating from the positive meaning by expressing a thing and the will of another in the Arabic lexicon

Abstract:

The Arabic lexicon tried to pay attention to all the details of the pronunciation, and to everything that departs from the positive meaning in the words for other meanings, including its departure from the positive meaning by expressing the thing and the will of another. Some dictionaries are concerned with this, the first of which is the dictionary of “Al-Sihah” by Al-Jawhari, and “Lisan Al-Arab” by Ibn Manzur. The emergence of the positive meaning in the utterance by expressing the thing and the will of others, and the Arabic lexicon is not obligated to such matters. Which the research reached, and included the most important recommendations, then a list of sources and references. By expressing the thing and the will of another, then I followed it with the research objectives that were represented in: Knowing the role of the Arabic lexicon in enriching and developing the vocabulary of the Arabic language, showing the interest of the Arabic lexicon to include each deviation in the semantics of the words from their positive meaning by expressing the thing and wanting others, clarifying the differences between the two lexicographers.

The Arabs explained the linguistic material under study, then I followed it up with the most important research questions, and then I started listing the research chapters, which are:

The first chapter: context and metonymy, which are the basis of the study, then the second chapter: we talked about the concept of metonymy, and the concept of positive meaning, then the third chapter: the difference between metaphor and metonymy. The difference between these two rhetorical technicians must be clarified. Then the fifth chapter: It includes the applied aspect of the research, which is extracting the studied material from the different Arabic dictionaries selected for study.

Keywords: Positive meaning, deviation from meaning, Arabic lexicon, expression of something and the will of another, connotation, metonymy.

المقدمة:

تتغير أساليب إيصال المعنى والتعبير عنه من متكلم لآخر، ومن هذه الأساليب عدم ذكر المتكلم مراده مباشرة للمتلقي بل يعبر عنه بشيء آخر، وهذا أسلوب بلاغي يخرج به عن المعنى الوضعي لمعنى آخر وهو التعبير عن الشيء وإرادة غيره، وهو ما يسمى بأسلوب "الكناية" وهي من الأساليب البلاغية المعروفة منذ القدم، فهي من المعاني البلاغية التي تتميز بعنايتها بالمعنى بأسلوب مبالغ فيه يعطي قوة وجمالًا في آن واحد، وهذه القوة تكون بإيرادها للمعنى مع ما يتعلق به، وهذا ما يجعلها أحد أهم الأساليب البلاغية في اللغة، وبما أنها تختص بالمعنى، كالمجاز فهي تدخل تحت علم البيان[1]،

[1] علم البيان هو: "معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه"، وهو أحد علوم البلاغة في اللغة العربية، ويستخدم في إيصال المعنى بطرق مختلفة مثل: استخدام فن التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية، ومثاله: معنى "كالشجاعة" يمكن تأديته بطرق مختلف لتوضح الدلالة عليه، فيعبر عنها من طريق التشبيه: "محمد كالأسد في الشجاعة"، وتارة عن طريق الاستعارة، فيقال: "رأيت أسدًا يخطب القوم على المنبر"، وتارة عن طريق الكناية، فيقال: "زارنا أبو الحرب" فإن أبوته لها كناية عن ملازمته إياها كما يلزم الأب ابنه، وهذا كناية عن شجاعته. وأوضح التراكيب دلالة على هذا المعنى هو الأول، ويليه الثاني، ثم الثالث، وهكذا، انظر: (عوني، 1/ 37)

ولا يخفى علينا مدى اهتمام العرب بعلوم البيان عامة وبالكناية خاصة فقد "أقدموا عليها اتساعًا في الكلام واقتدارًا واختصارًا، وثقة بفهم المخاطب"[2]، وكان أولَ من تكلم عنها أبو عبيدة "209هـ" في كتابه "مجاز القرآن"[3].

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تتلخص مشكلة البحث في:

بيان اهتمام المعجم العربي بإيراد خروج المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره (الكناية).

فما مفهوم الكناية؟ وما الفرق بينها وبين المجاز الذي أوردناه سابقًا؟ وما أنواعها؟ وما دور السياق في إيضاح المعنى الكنائي؟ وهل اهتم المعجم العربي بأسلوب الكناية؟

أهمية الدراسة:

تتركز أهمية هذه الدراسة في إبراز جهود المعجميين العرب، ومدى توسعهم في إيضاح معاني المفردات في المعجم العربي، بكشفهم عن خروج المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره.

أهداف الدراسة:

وتتلخص فيما يلي:

1- إبراز الفروق بين المعجميين العرب في شرح معاني المفردات في معاجمهم.
2- توضيح اهتمامهم بإيراد ما خرج له المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره.
3- بيان أهمية السياق بأنه هو المكان الوحيد الذي يبين المراد من المعنى، وهو الذي يجمع الكلمة بالقرينة التي تخرجها من معناها الوضعي للمعنى الاستعمالي المراد، فالكناية تعتمد على السياق في إظهار المعنى المراد، فرأيت أن أبدأ بأهمية ودور السياق في إيضاح المعنى الكنائي.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بإيراد ما جاء به صاحب المعجم من معاني المفردات، ثم تحليل خروجها بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، ثم مقارنتها بما أورده أصحاب أشهر المعاجم العربية في المدارس المعجمية المختلفة.

---

[2] (الثعالبي، 2002م، ص 222)

[3] (انظر: عتيق، 1982 م، ص 203)

الفصل الأول: السياق والكناية:

إن صور البيان المختلفة لا يمكن أن نستخرج المعنى فيها من ظاهر اللفظ وحده، ولا من الدلالة المعجمية لهذا اللفظ، بل لابد من عمق التفكير للوصول للمعنى المقصود، وهذا ما عبر عنه الجرجاني بقول[4]: " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على «الكناية» و «الاستعارة» و «التّمثيل»"، فيبين الجرجاني أن اللفظ يدل على معناه المعجمي، وهذا المعنى الأول يدلك على معنى أو دلالة ثانية تصل من خلالها للمعنى المقصود.

وعليه تعتبر الكناية من أكثر الفنون البيانية بعد المجاز التي تعتمد في إظهار المعنى المراد منها على السياق، فهي أقرب للسياق الاجتماعي[5] والثقافي، وهذا ما يجعلنا نركز اهتمامنا على دور السياق في إظهار المعنى الكنائي "وقد أدرك البلاغيون اختلاف بنية الكناية عن باقي فنون البيان، فحددوها بعلاقة اللازم والملزوم، وهذا ما جعلهم يدرجونها في نهاية أبواب علم البيان بعد التشبيه والاستعارة والمجاز"[6].

فالكناية تختلف عن المجاز في أن قرينتها غير واضحة، وبالتالي يجوز للمتلقي حملها على المعنى الحقيقي، وهذا التأرجح في الكناية بين حمل اللفظ على ظاهره أو حمله على المعنى المحال إليه جعل الأصوليين[7] يشترطون فيها شرطين هما:

1- أن يتجاذب الكناية جانبا الحقيقة والمجاز، واستدلوا بقوله تعالى[8]:" أو لامستم النساء" حيث يجوز حمله على الحقيقة والمجاز[9].

2- لابد من وجود وصف جامع بينها وبين الصريح[10]؛ لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها، فعند وجود هذا الوصف تكون الكناية صحيحة، وتأويلها سليم، كاللمس والجماع، فإن الجماع اسم موضوع حقيقي واللمس كناية عنه،

---

[4] (الجرجاني، 2001م، ص173)

[5] السياق الاجتماعي: "هو مجموعة الظروف الاجتماعية التي يمكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي، ونقول هو السياق المقامي أو "سياق المقام" وهو المعطيات التي يشترك فيها المرسل والمستقبل حول المقام الثقافي والنفسي، والتجارب المشتركة بينهما والمعارف الخاصة بكل من منهما"، نقلاً عن: (بودوخه، 2012م، ص200)

[6] (النوباني، 1438هـ -2017م، ص251)

[7] الكناية عند الأصوليين: "هي ما استتر المراد منه بالاستعمال"، انظر: (أحمد، البخاري، 1/ 66)

[8] سورة النساء: الآية 43

[9] "فيصح حمل (اللمس) على الحقيقةِ وعلى المجاز، دون خللٍ في كل منهما، ومن ثَم ذهَب الشافعي -رحمه الله- إلى أن اللمس هو مصافحةُ الجسد، فأوجب الوضوءَ على الرجل إذا لمس المرأةَ، وتلك هي الحقيقةُ في اللمس، وذهب غيرُه إلى أن المرادَ باللمس هو الجِماع، وذلك مجازٌ فيه، وهي الكناية"، (بن الأثير، بن محمد، 3/ 51)

[10] الصريح عند الأصوليين: "هو ما ظهر المراد منه ظهوراً بيناً زائداً"، انظر: (أحمد، والبخاري، 65/1)

وبينهما الوصف الجامع؛ إذ الجماع لمس وزيادة، فكان دالا عليه بالوضع المجازي، فهو كناية لتوفر الشرطين، ولكن تأويل الثياب بالقلب في قوله تعالى[11]: " وثيابك فطهر" غير سليم؛ لعدم الوصف الجامع بين الثياب والقلب[12].

فهذا التأرجح في الكناية بين جواز إيراد المعنى الظاهر من اللفظ، أو حمله على المعنى الثاني كما قال الجرجاني يجعلنا ننظر للكناية من خلال استعمالاتها وما تدل عليه من قبل مستعمليها، وفي هذا يقول "صاحب كتاب علوم البلاغة"، أحمد المراغي عن الكناية[13]: "إن العرب تلفظ أحيانًا بلفظ لا تريد منه معناه الذي يدل عليه بالوضع، بل تريد منه ما هو لازم له في الوجود بحيث إذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفا وعادة، فنقول: فلان رحب الصدر، ونقصد أنه حليم من قبل أن الحليم يكون ذا أناة وتؤدة ولا يجد الغضب إليه سبيلا، لما في صدره من السعة لاحتمال كثير من الحفاظ والأضغان".

فدلالات الكناية ومقاصدها لا يمكن عزلها عن المتلقي وخلفياته الاجتماعية والثقافية، وفهمه وتأويله للدلالات والمقاصد التي يرمي إليها منشئ النص، فيقول الجرجاني[14]: "ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: «هو كثير رماد القدر»، وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنّك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنّه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرّماد، فليس إلا أنّهم أرادوا أن يدلّوا بكثرة الرّماد على أنه تنصب له القدور الكثيرة، ويطبخ فيها للقرى والضّيافة. وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرّماد لا محالة وهكذا السبيل في كلّ ما كان «كناية»". فهنا وضح أن الدلالة الظاهرة ليست هي المقصودة وإنما المراد انتقال المتلقي منها لما هو أولى وأحق بالفهم وهو المعنى المقصود المستتر خلف الكلام.

فالدلالة بالكناية تكون ضمن سلسلة مترابطة من اللوازم [15](الوسائط) التي يرتبط بعضها ببعض، حتى يصل بها المتلقي للمعنى المطلوب، ويؤكد الجرجاني على ذلك فيقول أيضًا[16]: "إنك إذا قلت: «هو كثير رماد القدر»، أو قلت: «طويل النجاد»، أو قلت في المرأة: «نئوم الضحى»، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ، ولكن يدل اللّفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضك، كمعرفتك من «كثير رماد القدر» أنه مضياف، ومن «طويل النجاد» أنّه طويل القامة، ومن «نئوم الضحى» في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها". فالجرجاني يبين أن دلالة الكناية استنتاجية كما قلنا عبر التنقل خلال لوازم المعنى لا تعتمد على مجرد اللفظ.

---

[11] سورة المدثر: الآية 4
[12] انظر: (بن الأثير، بن محمد، 3/ 50- 53)
[13] ((المراغي، ص 301- 302)
[14] (الجرجاني، 2001م، ص 274)
[15] سنرى هذا خلال حديثنا عن أنواع الكناية فيما بعد.
[16] (الجرجاني، 2001م، ص 173)

فمن خلال هذه الأمثلة تظهر أهمية انتماء المتخاطبين مستخدمي الكناية لسياق اجتماعي وثقافي واحد، كما يظهر في المثال الذي شرحه الجرجاني شرحه أيضًا القزويني وبين كيف توصلنا من خلال السياق الاجتماعي والثقافي للدلالة المرادة فقال: "قول العرب "فلانة نئوم الضحى"، أي: مرفهة مخدومه غير محتاجة إلى السعي بنفسها، وهذا لأن وقت الضحى هو وقت سعي نساء العرب للمعاش، وكفاية أسبابه، وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من يكون لها خدم ينوبون عنها في السعي"[17] فهنا يتبين لنا أن هذه الكناية لا تفهم إلا في سياق البيئة العربية، الذي يربط وقت السعي بالصباح الباكر.

فمن يقوم بإنتاج النص سواء كان شاعرا أو كاتبا يقوم بهذه العملية المتسلسلة المتلازمة ينقل من خلالها المعنى إلى أحد لوازمه فيذكره، ويكون هذا اللازم المذكور هو نقطة الانطلاق للمتلقي في تحديد المعنى الكنائي، فيمر بلوازم المعنى التي مر بها صاحب النص إلى أن يصل إلى المعنى المراد، فهناك كناية تكون كثيرة اللوازم، وكناية قليلة اللوازم، في الوصول للمعنى المراد وهذا سنعرفه لاحقًا. فالغرض من نظم الكلام تناسق دلالته وليس ضمه إلى بعض، فلا بد من تتبع أثر المعاني بما يرتضيه العقل "فالألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتُعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائد"[18].

فمن هنا تتضح لنا أهمية السياق وخلفيات المتلقي وثقافته في التوصل للمعنى المستتر المقصود من الكناية فهي: "عدول عن إفادة المعنى المراد مباشرة إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، ويكون على المتلقي أن ينتقل من المعنى الحرفي المذكور إلى المعنى المراد المتروك"[19].

فالسياق يعد من أكبر القرائن لاعتماده على القرائن اللغوية وغير اللغوية' ويقول ابن قيم الجوزية فيه[20]: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته". فهو يؤكد أهمية السياق في إيضاح المعنى المراد، فالكناية بسبب بعد معانيها عما وضعت له في الأصل فهي تؤثر في السياق؛ لأن الوصول إلى دلالاتها لا يكون إلا بتعدد الوسائط (اللوازم).

الفصل الثاني: مفهوم الكناية:

وقد أورد الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، فصلًا بعنوان: "اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره" تعريف الكناية بأنها[21]: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: «كثير رماد القدر»، يعنون كثير القرى، فقد أرادوا في هذا، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به،

---

(17) (الخطيب القزويني، 1434هـ -2003م، ص 241)
(18) (الجرجاني، 2001م، ص 353)
(19) (بودوخه، 2012م، ص 206)
(20) (ابن قيم الجوزية، 9/4)
(21) (الجرجاني، 2001م، ص 51)، وانظر: (السكاكي، 1987 م، ص402)، وانظر: (المراغي، ص 301)

ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان". وهي عند البلاغيين[22]: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي". ومثالها[23]: "«طويل النجاد» المراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضًا. فالنجاد حمائل السيف، وطول النجاد يستلزم طول القامة، فإذا قيل: فلان طويل النجاد، فالمراد أنّه طويل القامة، فقد استعمل اللفظ في لازم معناه، مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنّه طويل حمائل السيف وطويل القامة، أي: يراد بطويل النجاد معناه الحقيقي واللازمي".

ومن خلال التعريفات السابقة للكناية يتضح لي أنها تكون بمثابة إخفاء للمعنى الحقيقي فهي لا تصرح به مباشرة بل تصرح عنه بلفظ آخر، ولهذا سميت بالكناية[24]، فمثلا نقول: "وقف مرفوع الرأس"، فالمعنى الظاهر هو أنه رفع رأسه لأقصى ارتفاع، في حين يدل المعنى الخفي لها على الفخر والاعتزاز. ونقول: "فلان كبير العقل " و "فلان كبير القلب" فالمعنى الظاهر كبر حجم عقله وكبر حجم قلبه، ولكن المعنى الخفي للأول هو الحكمة والتروي في حل المشاكل، والمعنى الخفي للثاني هو تسامحه وطيبته.

- **مفهوم المعنى الوضعي:**
- "الوضع: في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء متى أطلق، أو أحسن الشيء الأول، فهم منه الشيء الثاني"[25].

الفصل الثالث: الفرق بين المجاز والكناية:

قلنا في بداية المبحث: إن الكناية تندرج تحت علم البيان الذي يشتمل على: التشبيه والمجاز والكناية، فما الفرق بينها؟

الكناية كما عرفناها سابقا: لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد معنى ملازم للمعنى الحقيقي، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، فمن هنا يتضح لنا الفرق بين المجاز والكناية وهو: صحة إرادة المعنى الحقيقي(الأصلي) في الكناية، ولا يصح ذلك في المجاز، فالمجاز يكون مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[26]، وقد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع،

---

[22] (الصعيدي، 2005م، 3/ 538)، وانظر: (السكاكي، 1987م، 402/1)، وانظر: (الدمشقي، 1996م، 2/ 127)، وانظر: (الجارم، وأمين، 2002م، ص124)، وانظر: (عتيق، 1982م، 203/1)، وانظر: (اقاسم، وديب، 1/ 241)، وانظر: (الهاشمي، ص287)، وانظر: (التفتازاني، 2010م، 2/ 190)

[23] (عتيق، 1982م، ص 203/1)

[24] " لأن (ك ن ى) كيفما تركبت دارت مع تأدية معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكنى إذ لم يصرح به ومنه الكنى، وهو أبو فلان وابن فلان وأم فلان وبنت فلان سميت كنى لما فيها من إخفاء وجه التصريح بأسمائهم الأعلام"، (السكاكي، 1987م، 1/ 402)، وانظر: (مطلوب، 2007م، ص 568)

[25] (الشريف الجرجاني، 1983م، ص 253)

[26] انظر: (الهاشمي، 288/1)

نحو: قوله تعالى[27]: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كناية عن الاستيلاء والملك، وقوله تعالى[28]: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}، كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة، أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلي؛ لأن المجاز ملزوم قرينة مانعة لإرادة الحقيقة كما عرفنا سابقا، فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قولك: "في الحمام الأسد"[29].

والجرجاني يجمع كلًّا من " الكناية" و"الاستعارة"، فيعبر عنهما [30]"بالمعنى" و"معنى المعنى"، ويعنى "بالمعنى" المفهوم الظاهر من اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة"، أما "معنى المعنى" فهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر". فالجرجاني عبر عن الصورة التي تخرج بالمعنى عن معناه الوضعي إلى معنى آخر سواء بالمجاز أو الكناية بـ "معنى المعنى".

الفصل الرابع: أنواع الكناية:

قسم العلماء الكناية ثلاثة أقسام، وهي[31]: كناية عن صفة[32]، وكناية عن موصوف[33]، وكناية عن نسبة[34].وهذه الأقسام معروفه لدى الجميع، وما يهمنا هنا ما يتصل ببناء المعنى الذي تقصده الكناية، وهما معنيان:

1- معنى قريب[35]: "ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه" وهي التي يسهل على المتلقي فهمها، مثل: أن تقول "فلان طويل النجاد"،

---

[27] سورة طه: الأية 5

[28] سورة الزمر: الأية 67

[29] انظر: (الهاشمي، 1/ 288)، وانظر: (الصعيدي، 2005م، 538/3)، "وفرّق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضا، وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى النبت، ومن الأسد إلى الشجاع"، (الصعيدي، 2005م، 3/ 538)، وانظر: (التفتازاني، 2010م، 1/ 192)، وقد رد هذا الفرق "بأن اللازم مالم يكن ملزوماً بنفسه أو بانضمام قرينة إليه لم ينتقل منه إلى الملزوم؛ لأن اللازم من حيث انه لازم يجوز ان يكون أعم ولا دلالة للعام على الخاص فإذا كان اللازم ملزوماً يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز فلا يتحقق الفرق، والسكاكي أعترف بأن اللازم ما لم يكن ملزوماً أمتنع الانتقال منه"،(مطلوب، 2007م، 2/ 193)، .
ونرى ابن الأثير جعل الكناية جزء من الاستعارة، وليست نوعاً مستقلاً من المجاز؛ "لأنّ الاستعارة لا تكون إلّا بحيث يطوى المستعار له، وكذلك الكناية فإنّها لا تكون إلّا بحيث يطوى ذكر المكنّى عنه، فيقال: كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية"(عتيق، 1982م، 44/1).

[30] (الجرجاني، 2001م، 173)

[31] انظر: (السكاكي، 1987م، ص 204) وما بعدها.

[32] مثالها: كما تقول (هو ربيب أبي الهول) تكنى عن شدة كتمانه لسره. وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام، انظر: (الهاشمي، ص 288)

[33] مثالها: كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن المصريين، وتعرف بذكر الصفة مباشرة، أو ملازمة، انظر: المرجع سابق، ص 288

[34] مثالها: كقولك «خير الناس من ينفع الناس» كناية عن نفي الخيرية عمّن لا ينفعهم، انظر: المرجع السابق، ص 288

[35] المرجع السابق: ص 288، وانظر: (السكاكي، 1987م، ص404)

كناية سهل يفهم المتلقي من خلالها أن المقصود طول قامته، فهي كناية موجهة لأي متلقٍ، فهو لم يقم بأي جهد ذهني في الوصول للمعنى المراد.

2- وأما معنى بعيد[36]: "فهي أن تنتقل على مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم (وسائط) متسلسلة"، مثل: أن تقول "فلان كثير الرماد"، فالوسائط (اللوازم) هي: الانتقال من كثرة الرماد على كثرة الجمر، ومن كثرة الجمر على كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومن كثرة إحراق الحطب على كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ على كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة على كثرة الضيفان، ثم من كثرة الضيفان على أنه مضياف فيوجد أكثر من واسطة بين الكناية وبين المطلوب بها، فهي موجهه لمتلقي مخصوص؛ لأن المتلقي بذل جهدا ذهنيًّا في الانتقال من معنى لآخر عبر سلسلة من المعاني ليصل للمعنى المراد وهو "الكرم".

ومن خلال هذه الوسائط (اللوازم) في معانيها جاءت أنواع الكناية بحسبها وبحسب السياق كما ذكرنا في (السياق والكناية)، فهذه الأنواع تبين ما تكلمنا عنه بدايةً من أهمية السياق في إيضاح المعنى المراد من الكناية.

وتقسم بحسب السياق واللوازم إلى ما يلي[37]:

1- التعريض: "وهو نوع لطيف من الكناية يطلق فيه الكلام مشارا به إلى معنى آخر يفهم من السياق أو المقام الذي يتحدث فيه" مثاله: قولك أما كاذب، ما أقبح الكذب!

2- التلويح[38]: "هو كناية تكثر فيها الوسائط بين اللازم والملزوم"، وسمّيت بالتلويح لأنها تقوم على الإشارة من بعيد، مثاله: "أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي" كناية عن بخلهم، فقد انتقل من الإيقاد في الوادي المنخفض، إلى إخفاء النيران، ومن هذا إلى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم إليها، ومن ذا إلى بخلهم.

3- الرمز: " هو كناية قليلة الوسائط، خفيّة اللوازم أو الكناية القائمة على مسافة قريبة فيكون فيها الخفاء نسبيا"، مثاله: "فلان عريض الوسادة"، فعرض الوسادة يستلزم كبر الرأس، ويلزم منه البلاهة، فكان كناية عن أنّه أبله.

4- الإيماء أو الإشارة: " وتتميّز بأنها قليلة الوسائط، فتدلّ على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تومئ إليه"، فالعلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد واضحة بها، وهي كناية تتوسط بين التلويح والرمز. مثالها: كقول أبي تمام يصف إبله مادحا أبا سعيد:

أبين فما يزرن سوى كريم ..... وحسبك أن يزرن أبا سعيد

---

(36) (السكاكي، 1987م، ص405)، وانظر: (الهاشمي، ص 288)
(37) (قاسم، وديب، ص 248- 250)
(38) (المراغي، ص 305)

فمن هنا يتبين أهمية السياق في إيضاح المعنى المراد، وبيان الوسائط فيه، فالسياق هو المرجع الوحيد في فهم الدلالة المرادة من الألفاظ، وبيان الوسائط (اللوازم) الدالة على المعاني المقصودة، ففنون البيان جميعها تقوم على تعبير غير مباشر، غير أن فن الكناية يتميز بأنه فن سياقي لا تتضح الدلالة منه إلا من خلال السياق الاجتماعي (المقامي والثقافي)، فهي ترتبط بالنسق الثقافي في الثقافة العربية، فهي تعبر عن القيم العربية، كالكرم، والبخل، والمروءة، والعفة والشرف والدناءة والمكانة، وغيرها[39]. وبذلك نرى أن السياق هو الذي يوضح المعنى المراد من الكناية، ويتضح دورها في استخدامها عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه[40]، كما في قولنا الآن للمطلقة "منفصلة"، لما يشعر اللفظ بضيق في صدر المرأة فكني عنه بالانفصال، وهذا من سنن العرب، "ومن كنايات البُلَغاء: بِهِ حاجَةٌ لا يَقْضيها غَيرُه كناية عن الحدث"[41].

الفصل الخامس: المعجم والكناية:

أصحاب المعاجم كما ذكرنا غير مطالبين وغير ملتزمين بحصر المعاني الاستعمالية من كناية وغيرها في المعجم؛ لأنها متغيرة بتغير الزمان والمكان، وإن أوردوا بعضها، ومما ورد عندهم من الكناية ما يلي:

- الصحاح أورد في (كبر)[42]: " الكِبَرُ في السنّ...وأكبر الصبيُّ، أي تَغَوَّطَ، وهو كنايةٌ" فنرى أنه أورد سياق لغوي من أسناد الفعل إلى الصبي فأخرج المعنى الوضعي في (كبر وهو كبر السن) إلى معنى آخر استعمالي وهو (التغوط)، وكان بالكناية، ووضح ذلك وبينه بقوله: "وهو كناية".
- وفي العين[43]: "الكَبَرُ: طبل له وجه بلغة أهل الكوفة. والكِبرُ: الإثم الكبير من الكبيرة...والكِبْرُ: مصدر الكبير في السن من الناس والدواب" فنرى أنه لم يورد المعنى الكنائي لصيغة أكبر كما أورده الجوهري.
- أما الجيم[44]: " كِبْر هَمِّه كَذَا وكَذَا" ثم قال في موضع أخر" تَقولُ وأَسَد: كبَرتُه وأَنا أَكبُرُه في الكِبَرِ" فلم يورد المعنى الكنائي الذي يخرج له المعنى الوضعي للكبر من (الكبر في السن) إلى (التغوط).
- أما جمهرة اللغة[45]: " وَالْكبر ضد الصغر" فلم يورد المعنى الكنائي للمادة كما أورده الجوهري واكتفى بالمعنى الوضعي فقط.

---

(39) انظر: (النوباني، 2017م، ص 257)
(40) ورد عند الثعالبي" الفصل السابع والتسعون: في الكناية عما يُستقبح ذكره بما يستحسن لفظه"، (الثعالبي، 2002م، ص276)
(41) (الثعالبي، 2002م، ص276)
(42) الصحاح: مادة (ك ب ر)
43 العين: مادة (ك ب ر)
(44) الجيم: مادة (ك ب ر)
(45) جمهرة اللغة: مادة (ب ر ك)

- أما في مقاييس اللغة[46]: " الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّغَرِ" أيضًا فلم يورد المعنى الاستعمالي الذي أورده الجوهري للمادة.
- أما في لسان العرب[47]: " الكَبير فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى: الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ والمُتَكَبِّر الَّذِي تَكَبَّر عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ...ثم يذكر...الكبر ضد الصغر...وأَكْبَر الصبيُّ أَي تَغَوَّطَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ" فنراه يورد المعنى الذي خرجت له الكلمة عن معناها الوضعي لمعنى أخر بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، وهو التعبير عن (الغائط) بالكبر، وأورده بنفس المثال والتصريح بكونه كناية كما فعل الجوهري، وهو منقول عنه.
- أما القاموس المحيط[48]: " نَقيضُ صَغُر...ثم يقول...وأكبَرَ الصَّبِيُّ: تَغَوَّطَ، والمرأةُ: حاضَتْ" فجاء بما خرجت له الكلمة عن معناها الوضعي (الكبر في السن) لمعنى آخر استعمالي فجاءت كناية عن بلوغ المرأة، وتغوط الصبي، وهو منقول عن الجوهري، ولكنه لم يصرح بقولة: "كناية" كما فعل الجوهري.

فنرى أن الجوهري وتبعه ابن منظور والفيروز آبادي أوردوا المعنى الاستعمالي الذي خرجت له مادة (كبر) بالمثال الذي يبين السياق الذي خرج فيه المعنى بقولهم: (أكبر الصبي) وبعدها يصرح كلا من الجوهري وابن منظور بأنها (كناية) خرج لها المعنى في هذا السياق،

- وورد في الصحاح أيضًا: مادة (لعق)[49]: " أي لَحِسته. ولَعِقَ فلان إصبَعه، أي مات، وهو كنايةٌ".." يقال[50]: في الأرض لَعْقَةٌ من ربيع، ليس إلا في الرُطبِ، يَلْعَقُها المال لَعْقا" أورد مثالا: بقولهم "لعق فلان أصبعه" وصرح بكونه "كناية عن موته"، وبين ذلك، فاخرج المادة (لعق) من معناها الوضعي وهو (اللحس) إلى معنى استعمالي آخر وهو (الموت) بالكناية، وهذا المعنى ورد عند الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" حيث قال[51]: "لَعِقَ إِصْبَعَهُ وَضَحَا ظِلُّهُ: إِذَا مَاتَ".
- أما في العين[52]: "اللَّعوقُ: اسمُ كُلِّ شيء يُلْعَقُ، من حلاوة أو دواء" فلم يورد ما خرج له المعنى الوضعي لمعنى استعمالي آخر، واكتفي بالمعنى الأصلي.
- أما الجيم[53]: فقد وردت مادة علق عنده بمعنى: "والإِلعاقُ: خِفَّةُ غَزْلِ الثَّوْب، يقال: هو مُلعَقٌ" ولم يورد المعنى الوضعي للمادة،

---

(46) مقاييس اللغة: مادة (ك ب ر)
(47) لسان العرب: مادة (ك ب ر)
(48) القاموس المحيط: مادة (ك ب ر)
(49) الصحاح: مادة (ل ع ق)
(50) أخرج المعنى الوضعي لمعنى استعمالي أخر بالمجاز، فانتقل بنا من الحقيقة (اللعق: اللحس) إلى المجاز (في الأرض لعقة من الربيع) العشب الأخضر القليل في الأرض كأنه لعقة من الربيع. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي هي قوله: "من الربيع". فنلاحظ ان أكثر أمثلة المجاز عند الجوهري جاءت بعد قوله: "يقال".
(51) (الثعالبي، 2002م، ص 79)
(52) العين: مادة (ل ع ق)
(53) الجيم: مادة (ل ع ق)

وإنما أورد معنى استعماليًّا مجازيًّا جديدا للإلعاق وهو: "خفة غزل الثوب" وهذا المعنى الاستعمالي لم يورده أحد من أصحاب المعاجم التي أبحث بها، ولكني وجدته في "معجم أساس البلاغة"، أورده الزمخشري من ضمن ما خرج له المعنى الوضعي لمادة (ل ع ق) بالمجاز فقال[54]: "ألعق النساج الثوب: خفف غزله".

- أما جمهرة اللغة[55]: "اللَّعْق: مصدر لَعِقْتُ العَسَلَ وَغَيره ألعَقه لَعْقاً" فلم يورد ما خرج له المعنى الوضعي لمعنى استعمالي آخر واكتفى بالمعنى الأصلي للمادة كما فعل الخليل.
- وفي مقاييس اللغة[56]: " أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى لَسْبِ شَيْءٍ بِإِصْبَعٍ أَوْ غَيْرِهَا...ثم يقول... وَيُقَالُ: لَعِقَ فُلَانٌ إِصْبَعَهُ، إِذَا مَاتَ... قَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ مَا بِالْأَرْضِ لَعْقَةٌ مِنْ رَبِيعٍ، لَيْسَ إِلَّا فِي الرُّطْبِ " فأورد ما خرج له المعنى الوضعي لـ(لعق) لمعنى أخر استعمالي وهو(الموت) وسبقه بقوله: "ويقال" كما فعل الجوهري، ولكنه لم يصرح مثله بأنها كناية، وجاء بما خرج له المعنى الوضعي أيضًا لـ(علق) لمعنى استعمالي اخر مجازي كما فعل الجوهري، وسبقه بقوله: "قال بعضهم".
- وفي لسان العرب[57]: " لَعِقَ الشيءَ يَلْعَقُه لعْقاً: لَحِسَهُ.... ولَعِقَ فُلَانٌ إِصْبَعَهُ أَي مَاتَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ... وَيُقَالُ: فِي الأَرض لَعْقة مِنْ رَبِيعٍ لَيْسَ إِلا فِي الرُّطْب يَلْعَقُها الْمَالُ لَعْقًا" نراه أورد ما خرج له المعنى الوضعي للمادة إلى معنى أخر استعمالي كنائي وصرح بهذا المعنى حيث قال:"وهو الكناية" وأورد السياق الذي خرج به للمعنى الآخر وبين أن المعنى الثاني هو (الموت) كما فعل الجوهري، وأورد المعنى الآخر الذي خرجت له الدلالة بالاستعمال المجازي كما فعل الجوهري وابن فارس.
- أما القاموس المحيط[58]: "لَعِقَهُ لَحِسَهُ، وإِصْبَعَهُ: ماتَ.... وفي الأرضِ لَعْقَةٌ من ربيعٍ: قليلٌ من الرُّطْبِ" فنراه يورد المعنى بما يخرج له بدون سياق بالإشارة للمعنى الاستعمالي الآخر للمادة عن طريق عطف الكلام على بعضه بتعداد المعنى دون التفريق بينها، ثم يورد مثالا بسياق جملة لقوله: لعقة من ربيع ويشرحه، ولكن دون بيان نوع المعنى الذي خرج له المعنى الوضعي للمادة.

ومن خلال عرض مادة (لعق) في المعاجم السابقة نرى التشابه الواضح بينها في إدراج المادة بالمعنى الوضعي لها ثم ذكر ما خرجت له من معنى استعمالي كنائي، بذكر سياق يوضح المعنى الآخر، مع ما لاحظناه من جمل يقولها صاحب المعجم قبل إيراد المعنى الاستعمالي للمادة، ورأينا تميز أبي عمرو الشيباني في عرضه للمادة بمعنى استعمالي جديد لم يوافقه فيه أحد من المعاجم محل الدراسة سوى الزمخشري، وأن الخليل وابن دريد اكتفوا بالمعنى الوضعي للمادة ولم يوردوا ما خرجت له من معانٍ استعمالية.

- وورد في الصحاح في (بوع)[59]: " الباعُ: قَدْرُ مَدِّ اليدين... وربَّما عُبِّرَ بالباعِ عن الشَرف والكرم.

---

(54) أساس البلاغة: مادة (ل ع ق)
(55) جمهرة اللغة: مادة (ع ق ل)
56 مقاييس اللغة: مادة (ل ع ق)
(57) لسان العرب: مادة (ل ع ق)
58 القاموس المحيط: مادة (ل ع ق)
(59) الصحاح: مادة (ب و ع)

قال العجَّاج:

إذا الكِرامُ ابتدروا الباعَ بدر[60]"

عبر عن خروج المعنى الوضعي (للباع وهو قدر مد اليد) لمعنى آخر استعمالي وهو(الكرم) بأسلوب الكناية وسبقه بقوله: "ربما عُبِّر" بدون تصريحه بكلمة "وهو كناية"، مثلما فعل بالأمثلة السابقة، وجاء بسياق شعري ورد فيه المعنى المراد فيصف الكرام بالسباقين بمد الباع فهم الذين يبدءون بالكرم دائمًا، وأن الممدوح يسبق جميع الكرام في الكرم.

- أما العين[61]: " البَوعُ والبَاعُ لغتان، ولكنْ يُسَمَّى البَوعُ في الخِلقة، وبَسْطُ الباع في الكَرَم ونحوه فلا يقال إلاّ كريمُ الباع، قال: لهُ في المجْدِ سابقةٌ وباعٌ " فنرى الخليل أورد ما يخرج له البوع بالتعبير عن الكرم فجاء بالسياق الذي يبين الخروج عن المعنى الوضعي للمادة (بوع) للمعنى الآخر بالكناية عن الكرم والجود، وعبر عن المعنى الآخر بقوله: "إنه لغة أخرى للمادة بوع هي: الباع" وخصصه بهذا المعنى الاستعمالي في الكرم بقوله: (لا يقال إلا كريم الباع).
- أما في الجيم: فلم أقف على المادة (ب و ع) عند الشيباني.
- أما جمهرة اللغة[62]: " وَبَاعَ الرجل يبوع بوعا إذا مد بَاعه وتبوع تبوعا"، لم يورد أي مثال يدل على خروج الكلمة لمعنى استعماليّ آخر غير معناها الأصلي.
- أما مقاييس اللغة[63]: "الْبَاءُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ امْتِدَادُ الشَّيْءِ... قَالَ الْخَلِيلُ: الْبَوْعُ وَالْبَاعُ لُغَتَانِ، وَلَكِنَّهُمْ يُسَمُّونَ الْبَوْعَ فِي الْخِلْقَةِ. فَأَمَّا بَسْطُ الْبَاعِ فِي الْكَرَمِ وَنَحْوِهِ فَلَا يَقُولُونَ إِلَّا كَرِيمَ الْبَاعِ. قَالَ:

لَهُ فِي الْمَجْدِ سَابِقَةٌ وَبَاعٌ"

فنرى ابن فارس يورد ما قاله الخليل في مادة (بوع) من كونها على لغتين، وأن هذا المعنى الآخر ليس خروجا عن معناها الوضعي وإنما هو لغة فيها، ويورد نفس المثال.

- أما لسان العرب[64]: "الباعُ والبَوْعُ والبُوع: مَسافةُ مَا بَيْنَ الكفَّيْن إِذا بسَطْتهما... والباعُ: السَّعةُ فِي المَكارم، وَقَدْ قَصُر باعُه عَنْ ذَلِكَ: لَمْ يَسَعْهُ... وَرُبَّمَا عبر بالباء عَنِ الشرَف وَالْكَرَمِ؛ قَالَ الْعَجَّاجُ:

إِذا الكِرامُ ابْتَدَرُوا الباعَ بَدَرْ، ... تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذا البازِي كَسَرْ

وَقَالَ حُجر بْنُ خَالِدٍ:

نُذَهْدِقُ بَضْعَ اللحْمِ للباعِ والنَّدى، ... وبعضُهُم تَغْلي بذَمٍّ مَناقِعُهْ

---

[60] إِذا الكِرامُ اِبتَدَروا الباعَ اِبتَدَر دانى جَناحَيهِ مِنَ الطُورِ فَمَر، موقع الديوان، موسوعة الشعر العربي، https://www.aldiwan.net/poem27820.html

[61] العين: مادة (ب و ع)

[62] جمهرة اللغة: مادة (ب ع و)

[63] مقاييس اللغة: مادة (ب و ع)

[64] لسان العرب: مادة (ب و ع)

ثم يستشهد بقول الأزهري: البَوْعُ والباعُ لُغَتَانِ، وَلَكِنَّهُمْ يُسَمُّونَ البوْع فِي الْخِلْقَةِ، فأَما بسْطُ الْبَاعِ فِي الكَرَم وَنَحْوِهِ فَلَا يَقُولُونَ إِلا كَرِيم الْبَاعِ"... فنرى ابن منظور يستشهد لخروج المعنى الوضعي لمادة (بوع) لمعنى آخر استعمالي كنائي بالسياق الشعري، فأورد بيتين يدلان على المعنى الآخر، ويخصص هذا المعنى الآخر لطول الباع وقصره في المعنى الاستعمالي، وهو: الكرم فقط، ويعبر عنه بنفس عبارة الجوهري بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره بقوله: "وربما عُبِر"، يريد التعبير عن الباع بالمعنى الكنائي، فمعناه الوضعي باللفظ الظاهر (هو: قدر الذراع) وإرادة معنى غيره بالسياق وهو (الكرم) فالعطاء يكون عن طريق مد الباع، فكانت هذه اللوازم التي توصل للمعنى المراد، ويستشهد بقول الأزهري في خروج المعنى للدلالة الأخرى، كما عند الخليل.

- أما في القاموس المحيط[65]: " الباعُ: قَدْرُ مَدِّ اليَدَيْنِ... والشَّرَفُ، والكَرَمُ". فقد ذكر المعنى الوضعي فقط ثم ذكر ما يخرج له هذا المعنى الوضعي للمادة من معنى استعمالي آخر بدون شرح ولا ذكر أمثلة تظهر المعنى من خلال السياق، فنراه قام بتعداد المعاني التي خرج لها المعنى الوضعي، ومنها خروجه بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره بقوله: "والكرم".

ونقول ربما اعتمد الفيروز آبادي في هذا على ما ذكره من سبقه من اصحاب المعاجم، فلم يُرد الإطالة في الشرح وذكر الأمثلة، إلا أن هذا يجعل القارئ الذي يطلع على معجمه دون اطلاعه على المعاجم الأخرى لا يتنبه أن هذه المعاني استعمالية.

ومن خلال عرض هذه النماذج من المعاجم يتبين لنا اهتمام بعض المعجميين من أمثال: الجوهري، وابن فارس ثم ابن منظور، بإيراد ما خرجت له بعض معاني المفردات عن معناها الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، ولكنهم مع إرادهم لذلك الخروج في بعض الكلمات يستهيل أن يحيط المعجمي بالمعاني الاستعمالية التي خرج لها المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، بدليل عدم ذكرهم لما خرج له المعنى الوضعي لمعنى استعمالي في مفردات أخرى، مما يدل على أن المعجميين غير مطالبين بإيراد هذا الخروج للاستعمالات المختلفة لمعنى الكلمات، وأنما الذي يحدد الاستعمال المراد هو السياق وقصدية المتكلم بما يريد إيصاله من معنى للمتلقي، فالمعاني الاستعمالية متجددة ومتغيره بتغير الزمان والمكان.

الخاتمة:

نخلص من خلال التعرف على ظاهر التغليب، ودراستها وتتبع ورودها في المعجم العربي، نستنتج ما يلي:

1- تبين لنا من خلال البحث اهتمام المعجم العربي بصفة عامة بتوضيح ما خرج له المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره في الألفاظ، ولكنه لم يجعله أساسًا في شرح الكلمات،

[65] القاموس المحيط: مادة (ب و ع)

بل كان معنى توضيحي زائد، يورده صاحب المعجم، والدليل وجود بعض ألفاظ التغليب عند معجم وعدم إيراد معجم أخرى لها بنفس المادة المدروسة.

2- نستنتج أيضاً، أن أصحاب المعاجم غير ملزمين بشرح ما خرج له المعنى الوضعي بالتغليب، فيكفيهم شرح الكلمة ومعناها اللغوي، وشرح ما تيسر لهم من معانيها الاستعمالية.

3- من خلال الدراسة نلاحظ اهتمام الجوهري بإيراد ما خرج له المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، وشرحه لبعض الأمثلة السياقية؛ لبيان المعنى الكنائي فيها.

4- نلاحظ اتباع معجم "لسان العرب" لابن منظور لما جاء به الجوهري في شرح المواد اللغوية، وزيادته بإضافة أقوال علماء اخرين أن وجدت في معنى المادة المدروسة، ولا غرابة في ذلك؛ فهو معجم جماعة لما سبقه من المعاجم.

أهم التوصيات:

1- ربما نحن بحاجة لمعجم يورد ما خرجت له ألفاظ اللغة العربية بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره، وهو يخدم الشعراء والكتاب، ومن يتعلم اللغة العربية من غير أهلها في فهم ما يصعب عليهم من معاني في سياقات مختلفة.

2- الاهتمام بعمل معجم الكتروني شامل وموسوعي، يهدف لمساعدة مختلف الباحثين بمختلف التخصصات.

3- دراسة ظاهرة خروج المعنى الوضعي بالتعبير عن الشيء وإرادة غيره في معجم واحد، مع رصدها إحصائياً، وبيان ماورد في المعجم من خروج للمعنى لمعنى كنائي بلاغي.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ابن محمد، ضياء الدين، ونصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.
- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، 2010م، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، 2008م، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، بدائع الفوائد، ط بدون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ابن منظور الافريقي المصري، أبي الفضل، جمال الدين محمد مكرم، 2011م، لسان العرب، ط7، دار صادر، بيروت.

- أحمد، والبخاري، عبد العزيز، علاء الدين، كشف الاسرار، ط: بدون، دار الكتاب الإسلامي.
- التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 792هـ)، 1431هـ - 2010م، مختصر المعاني، ط1، مكتبة البشرى، باكستان.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، 1422هـ - 2002م، فقه اللغة وسر العربية، ط 1، المحقق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي.
- الجارم، وأمين، على الجارم، ومصطفى أمين، 1423هـ ت2002م، البلاغة الواضحة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، 1422هـ - 2001 م، دلائل الإعجاز، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، 2009م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: د. محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة.
- الخطيب دمشق، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، 1434هـ ت2003م، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 2003م، ت: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، 1416 هـ - 1996 م، البلاغة العربية، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن علي، 1987م، مفتاح العلوم، علق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشريف الجرجاني، على محمد على الزين، 1983م، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصعيدي، عبد المتعال، 1426هـ-2005م، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، مكتبة الآداب.
- عتيق، عبد العزيز (المتوفى: 1396 هـ)، 1405 هـ - 1982 م، علم البيان، ط بدون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، بدون ط، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن السراج، 2009م، القاموس المحيط، ت: د. محمود مسعود أحمد، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.

- قاسم، وديب، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، 2003م، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان.
- لأبي عمرو الشيباني، 2020م، كتاب الجيم، ت: عبد الكريم العزباوى، مراجعة: عبد الحميد حسن، مطابع ديكو، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، ط بدون.
- مطلوب، د. أحمد، 2007م، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط بدون، المكتبة العصرية، بيروت.

المجلات العلمية:

بودوخه، د. مسعود، 2012م، "اجتماعية الكناية بين التخييل والتأويل"، مجلة الأثر.

النوباني، د. شفيق طه، 1438هـ -2017م، "الابعاد الثقافية في الكناية"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، (53).

الانترنت:

موقع الديوان، موسوعة الشعر العربي،

https://www.aldiwan.net/poem27820.html

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.23.8